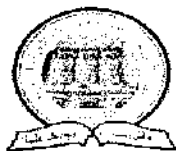


الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
قسنطينة - الجزائر



الدكتور أحمد عروة
المجاهد الحكيم المفكر الأديب
- رحمه الله -

بمناخبة تخرج الصفحة الثامنة والعشرين
14 رمضان 1436 هـ - 01 جويلية 2015 م

معلومات الاتصال بالجامعة:

عنون الجامعة:

ص.ب 137 قدور بومدوس - قسنطينة - الجزائر

الهاتف:

031.92.21.34

031.92.21.99

031.92.26.94

031.92.26.95

الفاكس

031.92.21.79 - 031.92.21.41

العنولن-الإلكرورفر:

E-mail: aziz_haddad_eak@yahoo.fr

موقم الجامعة فر شبكة الإنترنت:

www.univ-emir.dz

الدفعة الثامنة والعشرون

الدكتور أحمد عروة- رحمه الله-

المشرف العام:

- مدير الجامعة أ.د/عبد الله بوخلخال
- رئيس لجنة القراءة والتحكيم: الأستاذ: عزيز حداد

لجنة القراءة والتحكيم:

- أ.د / إسماعيل سامعي
- أ.د/ سكينه قدور
- أ.د/ سمير جاب الله
- د/ عبد الناصر بن طناش
- د/ الجمعي شبايكي
- د/ أحمد عبدلي

الإشراف التقني:

- السيدة/ صبرينة علاق
- السيدة/ نعيمة رواس

بِحَمْدِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا
اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ
مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾

صدق الله العظيم

سورة الأحزاب: 23

كلمة السيد مدير الجامعة

أ.د. عبد الله بوخلخال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَبِهِ نَسْتَعِينُ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ،
المبعوث رحمة للعالمين، وبعد:

يقول تعالى: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَجْبَةً وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَهِسُ مِنْهَا بَدَلًا تَبَارَكَ اللَّهُ (الأحزاب: 23)

ومن هؤلاء الذين يصدق عليهم قول الله عز وجل مدير الجامعة الأسبق الدكتور أحمد عروة: المجاهد الحكيم المفكر الأديب، منذ طفولته الأولى إلى التحاقه بصغوف المجاهدين في ثورة التحرير التي ختمها برئاسة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية من خريف 1989 إلى وفاته في 27 فيفري 1992 في عز أزمة الجزائر.

إنه من الصعب أن نكتب بإيجاز عن رجل ثقل الميزان عند المولى سبحانه وتعالى، وفي ضمير الأمة أثقل بكثير مما يتصور، لا سيما أن هذا يدبج كتاب عن شخصيته وأعماله ونضاله وفكره، وهذا الكتاب الذي درجت الجامعة على إصداره في نهاية كل سنة جامعية مليئة بالتحصيل العلمي، وبمختلف النشاطات الفكرية والثقافية، ويكرم به الطلبة المتخرجون في مختلف التخصصات المدرسة بالجامعة وفي مختلف الأطوار ومنهم الأوائل.

إن الدكتور أحمد عروة قد أفنى حياته في خدمة الجزائر وتحريرها وبنائها ورفع لواء الذود عن قيمها وأصالتها الحضارية والتاريخية بالمحاضرات والنقاشات والكتابة والنشر.

وكان له الفضل إلى جانب ثلة من الأساتذة في دفع مسيرة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية في مرحلة صعبة جدا جدا.

بني مهما قنت وكتبت عن الدكتور أحمد عروة لئن أفي هذا العنم حقه،
ولعلّى الموضوعات التي يضمها كتاب التخرج قد تكشف جوانب كثيرة من هذه
الشخصية الفذة.

وفي ختام هذه الكلمة أتقدم باسمي وباسم كل العاملين في هذه الجامعة
أساتذة وعمال وطلبة بالتهنئة الحارة للطلبة المتخرجين في الدفعة الثامنة والعشرين
(28) والمتفوقين منهم، متمنيا لهم كل الخير والهناء وأطلب منهم أن لا يقطعوا
صلتهم بجامعتهم، كما أتوجه بالشكر والتقدير إلى كل الأساتذة الذين أسهموا في
هذا الكتاب بما جادت بهم قرائحهم وعقولهم وأقلامهم، وفيما تجشموه من أتعاب
البحث والكتابة والتنقل فجازاهم الله كل خير وجعلها في ميزان حسناتهم.

والله ولي التوفيق وصيامكم وقيامكم مقبول- إن شاء الله-

والحمد لله رب العالمين

قسنطينة في: 03 رمضان 1436هـ / 20 جوان 2015 م

تقديم

الأستاذ عزيز حداد

نائب مدير الجامعة للتكوين العالي في الصورين الأول والثاني والتكوين المتواصل والشهادات وكذا التكوين العالي في التدرج

تشرف جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بتسمية دفعة الطلبة المتخرجين الثامنة والعشرين (28) للسنة الجامعية 2014-2015 باسم: الدكتور أحمد عروة- رحمه الله - "المجاهد الحكيم للمفكر الأديب"، وهو مديرها الأسبق، وهذا يضاف لأسماء الدفعات المتخرجة التي كانت تحمل أسماء قامات علمية ورموز وطنية بارزة، ابتداء ب: الشيخ أحمد حماني(2002م) - الشيخ الفضيل الورتلاني (2003م)- الرئيس الراحل هواري بومدين(2004م) - الأستاذ مالك بن نبي(2006م) - الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم(2007م) - الأستاذ يحي بوعزيز(2008م) - الشيخ محمد البشير الإبراهيمي (2009م)- الشيخ أحمد بن يوسف أطفيش قطب الأئمة(2010م) - الشيخ عبد الرحمن الجيلالي(2011م)- الشيخ الشهيد العربي التبسي (2012م)- الرئيس الشاذلي بن جديد المجاهد المناضل(2013م)- الأستاذ عبد الرحمن شيبان المجاهد المريني المصلح الأديب (2014م).

إن الدكتور أحمد عروة - رحمه الله - الذي ولد في 11 ماي 1922 بامدوكمال، نشأ في بيت علم وتدين حيث حفظ القرآن الكريم على يد الشيخ بلمحفوظ بمسقط رأسه، ووالده محمد صديق- الإمام والمعلم خريجي الزيتونة-، الذي علمه قواعد العربية ومبادئ الإسلام، وتنمذ في المدارس الفرنسية بالقليعة وتحصل على شهادة الأهنية،

ليواصل مسواره الدراسي في ثانوية بيجو (الأمير عبد القادر حاليا) بالجزائر العاصمة، ثم ينتقل إلى ثانوية بأورليان بفرنسا ويتحصل على شهادة البكالوريا سنة 1948، لينتقل بكلية الطب بمونبيلي، ويتخرج منها سنة 1955.

إن الدكتور أحمد عروة تعلم والتحق بمدرسة النضال السياسي الوطني في مرحلة الشباب، حيث كان من المؤسسين لفوج الكشافة الإسلامية الجزائرية (فوج الأمير محمد بيلكور، وعضوا ناشطا في حزب الشعب إلى جانب زملائه محمد بلوزداد، محمد يوسف، أحمد بودة محمود بودوة، حفاف محمد غزالي، لخضر رباح، وغيرهم... وألقى عدة محاضرات في لجنة شببية بلكور C.J.B، وفي ظل الثورة التحريرية المجيد انضم إلى المنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني للخدمة الطبية والصحية مع ثلة من زملائه الأطباء الجزائريين، انطلاقا من عيادته بلكور حيث كانوا يقومون بتطبيب الجرحى من المجاهدين والفقائين ومداواة المرضى والتنقل إليهم، ونظرا لهذا النشاط المميز، وخاصة بعد معركة الجزائر 1957 ألقى عليه القبض مع مجموعة من المجاهدين ونجح بهم في المعتقلات إلى غاية 1959، ثم يعود لمواصلة المسيرة ورسالته النبيلة.

بعد الاستقلال أكمل الدكتور أحمد عروة نشاطه بكل إخلاص، وفاء لرسالة الشهداء والمجاهدين، فإلى جانب مزاوئته العمل في عيادته، ناضل في حزب جبهة التحرير الوطني، ودرّس بالجامعة، وكان عضوا في جمعيات واتحادات وهيئات، وألف الكثير من الكتب والأشعار في فنون شتى باللغة الفرنسية والعربية، وشارك في العديد من الملتقيات والندوات بأبحاث ومقالات، وعين مديرا لجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة سنة 1989 حتى وفاته يوم الخميس 27 فيفري 1992م.

بعد الدكتور أحمد عروة- رحمه الله- من رجال العلم القلائل الذين تعددت معارفهم، حيث استطاع أن يستفيد من التراث الإسلامي وعلوم العصر، ليصنع تكاملا بين العلوم المختلفة، ويعطي نموذجا لذلك.

إنه المناضل المجاهد الحكيم في الطب والفلسفة، والشاعر الأديب، والمفكر
والأمين المخلص في إدارته، صاحب الإرادة القوية، المتواضع.

ومن باب الاعتراف بفضل هذا الرجل انبرت أقلام مجموعة من الأساتذة
والذكاترة والباحثين الأفاضل بالكتابة عنه والإدلاء بشهاداتهم، ومع ذلك لا يمكن
الإحاطة بجميع جوانب حياته وخصاله وأعماله، وإنما نفتح المجال للكتاب والباحثين
للتعمق أكثر، وهذا أقل ما يقدم لهذا العالم الفاضل اعترافاً لمجهوداته في خدمة الثورة
التحريرية والطب والتعليم والبحث العلمي والإسلام والمجتمع والأمة.

ويصدق فيه قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله
إلا من ثلاث، صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له"، فتحسب الحكيم
- رحمه الله - من الذين لم ينقطع عملهم.

في الأخير نشكر كل من أسهم في إنجاز هذا الكتاب من أساتذة ودكاترة
وباحثين وموظفي الجامعة وعائلة الدكتور أحمد عروة، ورئيس وأعضاء جمعية الثقافة
والتراث التاريخي 13 أبريل 1962م بامدوكال باتنة، وجزاهم الله خيراً. كما نهنئ
الجميع وخاصة طلبة الدفعة الثامنة والعشرين والمتفوقين منهم، ونرجو منهم أن يكونوا
في مستوى أهداف الجامعة ورسالتها، ورسالة الذين ضحوا بالنفس والنفيس خدمة
لهذا الوطن العزيز وقيمه، وأن يكونوا خير خلف لخير سلف، خاصة ونحن في غمرة
الاحتفال بعيد الشباب والاستقلال، الذي هو ثمرة لتضحيات جسام، وعزيمة في
طريق العلم والعمل والوفاء. وكما قال الشاعر:

وما من كاتب إلا سيمضي ويبقى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بكفك غير شيء يسرك في القيامة أن تراه

وفقنا الله وسدد خطانا وتقبل منا الصيام والقيام وخدمه للبلاد والعباد.

A decorative rectangular border with intricate floral and geometric patterns, featuring repeating motifs of leaves and diamonds.

حياته و شخصيته

ترجمة الدكتور أحمد عروة (1926-1992)

أ. علي عروة

- شقيق الدكتور أحمد عروة -

ولادته ودراسته:

ولد الدكتور أحمد عروة في الحادي عشر ماي عام 1926 بقرية "أمدوكال" (ولاية باتنة) بمنطقة الحضنة شرق الجزائر. نشأ في بيت علم وتدين، تعلم القرآن الكريم على يد الشيخ ابن محفوظ، ثم أخذ في تعلم مبادئ اللغة العربية والفرنسية. وفي سنة 1933، انتقل مع أسرته إلى مدينة القليعة؛ حيث عيّن والده معلما بمدرسة "الإحسان" الحرة ثم إماما، فتابع دراسته الابتدائية ثم المتوسطة إلى أن حصل على شهادة الأهلية "البروي"، ثم انتقل إلى العاصمة لمواصلة تعليمه الثانوي بثانوية "الأمير عبد القادر" (بيجو سابقا) وذلك سنة 1943.

نشاطه السياسي والنضالي:

وفي هذه السنة بدأ الدكتور عروة بممارسة نشاطه السياسي والنضالي ضمن حزب الشعب الجزائري (PPA) بحي بلكور وعمره لا يتجاوز الثامنة عشرة سنة، وتعرف آنذاك على شخصيات سياسية وتاريخية معروفة كمحمد بلزبدان، وأحمد يومفي، وأحمد بودة، ومبارك ماضي، ومحمود بودوة، وحفاف محمد غزالي وخضر زباح وغيرهم من الناضلين. وكانت بين هؤلاء اتصالات وتبادلات ثقافية وفكرية.

وفي تلك الفترة بدت على الشباب أحمد عروة. ورغم حداثة سنه. موهبة فطرية فذة في التعرف على الناضلين البارزين في حزب الشعب الجزائري، وشد انتباههم أثناء إلقائه محاضرات في السياسة والثقافة والتاريخ في إطار لجنة شبيهة بلكور (Comité de la Jeunesse de Belcourt. C.J.B) المنضوية تحت حزب الشعب الجزائري، كان يحاضرها باللغتين العربية والفرنسية ويلقيها في اجتماعات سرية في

الأحياء الشعبية كحي بلكور وحي القصبة بالعاصمة برفقة محمد يوسف، وقد لاحظ عنه الأمين العام آنذاك لحزب الشعب الجزائري المرحوم لحوول حسين تمرسه ومهارته في فن الخطابة فشجعه على المواصلة، ومنذ ذلك اليوم عمل الشاب أحمد عروة بهذه النصيحة الوجيهة، واستمر يواصل نشاطه النضالي وكله عزم وثبات على تحقيق أهداف وبرنامج حزب الشعب الجزائري.

وجاءت حوادث ماي 1945 وكان أحمد عروة محل بحث ومتابعة من طرف أعوان الأمن الفرنسي، حيث قعدوا منزله الكائن بحي بلكور لاعتقاله فلم يعثروا عليه، وتمكن من التخلص من قبضتهم.

وبمرافقة رفيقه في النضال "مبارك ماضي" الذي كان هو الآخر محل بحث ومتابعة، قرر الاثنان مغادرة العاصمة والاتجاه نحو قرية "أملوكال" مختارين إياها كمكان للجوء ومسقط رأس والديهما. ولما أحسا الهدوء في متابعتها عادا إلى العاصمة متخذين حذرهما واحتياطهما من رجال الأمن الاستعماري.

النشاط الكشفي والدراسة بفرنسا:

وفي مجال النشاط الكشفي . وبعد صدور العفو الشامل من البرلمان الفرنسي . كان الدكتور أحمد عروة من بين الأعضاء الخمسة الذين أسسوا في شهر أبريل 1946 فوج الأمير خالد يحي بلكور تحت انضواء الكشافة الإسلامية الجزائرية، وكان رفيقه في النضال من منظمي الفوج في بداية تأسيسه إلى قرب نهاية هذه السنة، حيث قرر هذا الأخير مغادرة العاصمة تحت الاسم المستعار "شباطة التركي" والالتحاق بجامعة الزيتونة بتونس، ثم بالأكاديمية العسكرية ببغداد.

أما الدكتور أحمد عروة الذي رفض قبول التحاقه بالثانوية المتدرس بما برغم صدور العفو الشامل الصادر في مارس 1946 وذلك بسبب نشاطه السياسي، فاضطر إلى توجيه طلباته إلى عدة ثانويات بفرنسا بعد تشجيع من

والده، وقد تلقى الموافقة من إدارة ثانوية "أورليان". هذا وقد ترتب على التحاقه بالدراسة في فرنسا صعوبات في التكيف النفسي والاندماج الاجتماعي نتيجة اغترابه عن أهله ووطنه، وهذا ما أدى به إلى أن تكون نتائج اختباره في الفصل الأول من السنة الدراسية ضعيفة وبالخصوص في مادة الفلسفة، حيث كانت أسوأ نتيجة على مستوى القسم. هذه النتيجة أثرت في نفسه تأثيراً بليغاً ولكن لم تفقده الأمل، أو تثني من عزيمته، بل تشجع وانكب على الدراسة بكل حزم وجهد، الأمر الذي جعله يحرز على أحسن نتيجة في مادة الفلسفة، إلى جانب تحسنه في المواد الأخرى. هذه النتيجة الجيدة مكنته من الحصول على شهادة اليكالوريا للسنة الدراسية 1947/1948.

التحق بعدها بجامعة "مونبيلي"، أين درس الطب وانتخب فيها كرئيس لجمعية الطلبة المسلمين (Association des Etudiants Musulmans de Montpellier) AEMM خلال السنة الدراسية 1952/1953. وتخرج منها بشهادة الدكتوراة في الطب سنة 1955.

نشاطه الثوري:

عمل الدكتور أحمد عروة أثناء الثورة في المنظمة المدنية بجهة التحرير الوطني ضمن المجموعة الطبية واعتقل من شهر فبراير سنة 1957 إلى أوائل سنة 1959 قضاها في المحتشدات التالية: بني مسوس والبرواقية والضاية (Bossuet)، ثم حول إلى معتقل "شاصو أولدين" قرب مدينة الدويرة، وبعد خروجه من المعتقل الأخير، استأنف نشاطه المهني الطبي في عيادته الخاصة بحي بلكور. وبالرغم من مراقبته من طرف الأمن الاستعماري أعاد الاتصال مع منظمة جبهة التحرير الوطني، وقد شاهد حوادث 11 ديسمبر 1960. واستجاب لواجب الوطني، قام بمعالجة المرحى الذين وقعوا ضحايا القمع الاستعماري العاشم في حي بلكور رغم

تهديدات "منظمة الجيش السري" (OAS) أصر على البقاء داخل الوطن مستجيبا للأحداث المتطورة: معالجة الفدائيين، وأعضاء جيش التحرير الوطني، وكذلك تنقله إلى أماكن خطيرة بمساعدة أعضاء اتصال جبهة التحرير الوطني إلى مخابي سرية.

نشاطه بعد الاستقلال:

بعد استرجاع الجزائر استقلالها قام الدكتور أحمد عروة بعدة نشاطات في منظمات وطنية مختلفة، منها:

- حزب جبهة التحرير الوطني.
- الأمانة الوطنية لقدماء المعتقلين.
- المجلس الشعبي الولائي لمدينة الجزائر.
- جمعية الكتاب الجزائريين.
- نقابة الأطباء الجزائريين.
- رئيس اللجنة الجزائرية لمكافحة مرض السل.
- نائب رئيس للجمعية الجزائرية لتاريخ الطب.
- رئيس الجمعية الجزائرية للتعاون والتضامن الاجتماعي "الإحسان".

اشتغل في عيادته الطبية بالجزائر العاصمة حتى سنة 1971، ثم التحق بالمعهد الوطني للصحة العمومية، واشتغل منصب رئيس مصلحة صحة البيئة ومستشارا بوزارة الصحة. وعين عميدا لجامعة العلوم الإسلامية للأمير عبد القادر بقسنطينة سنة 1989. وتوفي رحمه الله في 27 من شهر فيفري 1992 وهو يشغل هذا المنصب.

إنتاجه الأدبي والعلمي:

للدكتور أحمد عروة اهتمامات وتآليف عديدة ومتنوعة، نذكر من بينها:

1- قصة: " Quand le soleil se lèvera " . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع -1964.
(عندة القصة ألفها وهولا زال طالبا في كلية الطب، ويعتبر أول إنتاجه).

2- دواوين شعرية: نظمها أثناء الاعتقال.

- " ذكرى وبشرى -من وحي الثورة الجزائرية « . دار مكتبة الحياة -بيروت.
- "Fleur des champs" - مطبعة الجيش الوطني الشعبي -الجزائر 1967.

" Panorâm Les temps modernes -

" Au-delà des barrières " -

- حوارات وتأمّلات: Edition Dahleb 1992. 'Comme les fleurs de cactus' .¹

3-بحوث إسلامية:

" SNED 1969 Alger .L'Islam à la croisée des chemins "

نقله إلى اللّغة العربية الدكتور عثمان أمين - دار الشروق بالقاهرة بتعاون مع
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (ظهرت الطبعة الثانية سنة 1980، والطبعة الثالثة سنة
1992).

' L'Islam et la Science " , ENAL . 2^{ème} édition 1982

" Islam et contraception " . OPU 1986

- " تأملات حول العلم والدين، مناهج ومفاهيم " . دار الفكر سورية 1987.

- " L'Islam et la morale des sexes " OPU 1990

- «Islam et démocratie » Maison des Livres 1990

¹ [نشر هذا الكتاب يوما قبل وفاته، وهو يحتوي على أحكام بالغة في مجالات مختلفة] ■■■

- " Qu'est-ce que l'Islam ? ". Edition Dableh 1992 -
- " تحديات علمية وآفاق اجتماعية للتقدم العلمي والتكنولوجي " - تحت الطبع.
4-دراسات في موضوع الوقاية والطب الاجتماعي:
" L'Homme et son milieu ". SNED, Alger 1980 -
" Hygiène et prévention chez Ibn Sina ". SNED, Alger 1980 -
" Santé et environnement. Pour une approche " ENAL 1985
systémique à l'hygiène du milieu
- " الوقاية وحفظ الصحة عند ابن سينا " -مجمع اللغة العربية -دمشق 1986.
5- مقالات وبحوث شارك بها في بعض المؤتمرات الطبية:
- " فزيولوجيا التنفس عند ابن سينا " -الكويت 1981.
- " آفاق إسلامية لفلسفة وسياسة الصحة " -الكويت 1982.
- " الصحة الاجتماعية في آفاقها الإسلامية " -استنبول 1986.
- " نظرية الوقاية عند ابن سينا وآفاقها الجديدة " -كراشي 1986.
6-بحوث في تاريخ الطب:
- " المناهج العلمية لمعرفة خصائص الأدوية عند ابن سينا " -جامعة دمشق
1980.
" La cosmétologie à l'ère d'Ibn Sina " . Alger 1981 -
- " آفاق تعليم العلوم الطبية باللغة العربية " اتحاد الجامعات العربية -الجزائر
1984.
" La médecine islamique. Vocation et perspectives " -

7 بعض البحوث والدراسات الفلسفية:

- " آفاق إسلامية لفلسفة العلوم الإنسانية " - سطيّف 1986.
- " الفكر السياسي في العالم الإسلامي -مناهات وعلامات " -لندن 1986.
- " الأمة الإسلامية بين الاعتصام والانفصام " مؤتمر الفكر الإسلامي -الجزائر.
- " النموذج الغربي للأسرة، هل هو المثال والمآل " مؤتمر الفكر الإسلامي -الجزائر.
- " المسلمون في أوروبا، بين الأخذ والعطاء " -ألمانيا 1990.

المصادر

- 1- القرآن الكريم
- 2- السنة النبوية
- 3- الفقه الإسلامي
- 4- الفلسفة الإسلامية
- 5- الفلسفة الغربية
- 6- العلوم الإنسانية
- 7- التاريخ الإسلامي
- 8- التاريخ الحديث والمعاصر
- 9- الأدب العربي
- 10- الأدب الغربي
- 11- الصحافة
- 12- المجلات
- 13- الصحف
- 14- الرسائل
- 15- المقالات
- 16- الدراسات
- 17- البحوث
- 18- المؤتمرات
- 19- الندوات
- 20- الندوات
- 21- الندوات
- 22- الندوات
- 23- الندوات
- 24- الندوات
- 25- الندوات
- 26- الندوات
- 27- الندوات
- 28- الندوات
- 29- الندوات
- 30- الندوات

أحمد عروة العالم المفكر الوهبي المتواضع

أ.د. إسماعيل سامعي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إن الكتابة عن الأستاذ الدكتور أحمد عروة الشخصية الفذة التي تعد مفخرة من علماء ومفكري الجزائر والعلمين العربي والإسلامي، والتي حملت هم التراث العلمي للأمة العربية الإسلامية، وعملت على أحيائه، بالكلمة تارة وبالمشاركة الميدانية تارة أخرى - كلمات من حق أحمد عروة علينا أن نصدر بها هذا المقال الذي ستكون مصادره بعض معاشتي لهذه الشخصية ونشاطها المتعدد الجوانب، كما يتم تدعيمها ببعض ما تركه من آثار، إذ إن ما سأكتبه يدخل في باب الشهادة وليس بحثا علميا أكاديا تقليديا.

لقد عرفت الأستاذ الدكتور أحمد عروة من خلال ما كان يقدمه من محاضرات في ملتقى الفكر الإسلامي، وما تنشره بعض المجلات كالأصالة، وأول لقاءني به كان في بيته في الجزائر العاصمة، حيث كنت قد حملت له دعوة وتذكرة طائرة للمشاركة في الأسبوع الثقافي التي كانت بلدية قالمة تقيمه كل سنة بالمدينة.

استقبلني الأستاذ الدكتور أحمد عروة في منزله بكل تواضع صباحا في حدود الساعة التاسعة، وبكرمه دعاني إلى الجلوس في غرفة ابنته التي كانت آنذاك تدرس، لأن غرفة الاستقبال كانت تنظف، وحال ما انتهى تنظيفها انتقلنا إلى الصالون وهناك قدم لي قهوة وبعض الحلويات، وقد استحباب بفرح وسرور لدعوة المجلس البلدي لقالمة مدينة الثامن ماي 1945.

في مطار عنابة استقبلته وعلى متن سيارة البلدية قضينا المسافة البالغة أكثر من ستين كيلومتر بين المطار ومدينة قالمة نتجاذب أطراف الحديث، وأثناء ذلك

سألني قائلاً: أتعرف أنني مدعو اليوم رسمياً من طرف وزير الشؤون الدينية - يبدو أنه كان في ذلك الوقت الشيخ عبد الرحمن شيبان - لحضور محاضرة رجاء غارودي في النفق الجامعي بالجزائر العاصمة، والذي قدم للجزائر بدعوة الوزارة، وأردف يقول: لقد فضلت أن ألي دعوتكم من جهة، ولكن من جهة أخرى هناك عامل هام جعلني أرفض حضور هذه محاضرة ثم سكت قليلاً قبل أن يواصل الكلام قائلاً: هذا الشخص أي رجاء غارودي بالذات لا أحضر محاضراته فهو متسرع وليس له مبادئ ثابتة؛ قد تسألني لماذا؟ وأجيب بكل بساطة أن الرجل العالم يجب أن تكون له مواقف محايدة ولكنها ثابتة، وألا يتجرف وراء العواطف، والتشيع لهذا أو ذاك، وألا يسبق الأحداث فيصدر أحكاماً قد لا تصمد في وجه التقلبات لاسيما السياسية، فرجاء غارودي كتب في الستينات عن تطبيق الاشتراكية في عهد الرئيس المرحوم أحمد بن بلة، وقال فيه إن اشتراكيته في الجزائر هي ابتكار وفريدة من نوعها في العالم!، لكن سيرورة الأحداث فيما بعد أثبتت عكس ما كتبه، فهل كان درس فعلاً هذه الاشتراكية حتى يقدم هذا الحكم، وهي لم تطبق بعد؟ أم كان يدفع بالرجل إلى الأمام؟.

وفي محاضرة ألقاها بالمسرح البلدي محمود تريكي بقالة سنة 1982 تحدث عن تطور العلوم عند العرب، وأثناء المناقشة أجاب الأستاذ الدكتور أحمد عروة عن سؤال فقال: إن العلم في حالة حركة اكتشاف مستمرة تصاعدياً، وأن الكون واسع، وعلم الله لا حدود له ولا تدركه الأبصار ولا العقول البشرية مهما تقدمت وتطورت إلا بالسعي الدؤوب واستخدام الفكر، ومهما توصل إليه الإنسان عبر العصور فإنه يظل جزءاً يسيراً من كم هائل، وقال بأن ما توصلت إليه الحضارة اليوم والمسماة الحضارة الغربية . والتي هي في الحقيقة خلاصة تجربة اشتركت فيها الإنسانية جمعاء لاسيما العرب والمسلمون . من كم هائل من الاكتشافات يظل يسيراً، وضرب مثلاً

بالأمراض العضوية التي تصيب الإنسان والبعض منها يكون سببا في موته مثل الإيدز/ السيدا وهو مرض وفيروس يصيب جهاز المناعة فيقضي عليه وفي الوقت نفسه فهو وباء قديم وليس جديدا شأنه شأن كل الأمراض، وإنما الإنسان لم يكتشف فيروسه ويحدد أسباب فتكه بأجسامنا إلا حديثا، وقد يكون قد قتل الملايين من بني البشر عبر مسار زمن الإنسان على وجه الأرض، وذلك لنقص خبرة الإنسان والإمكانيات العلمية والمادية ، وأن ثمة أمراضا وفيروسات أخرى تفتك اليوم بالبشر لا يعرف عنها شيئا، ولكن الثابت أننا سوف نكتشف مستقبلا بتطور العلم، وتطور وسائله، وازدياد إمكانياته.

وقد رافقته في رحلة سياحية إلى حمام الشلالة/المسحوطين سابقا وبرفقة الأستاذ الدكتور عمار طالبي، وعند منابع الحمام الذي يبدو أنه زاره لأول مرة وهو يتأمل تلك الينابيع المتدفقة بجملة تبلغ درجتها 96% أي تقترب من درجة الغليان، رآه أحد المواطنين فأقبل إليه مسرعا وياشره بعد السلام قائلا: أنت الطبيب الذي نشاهده في التلفزيون . وكان الأستاذ الدكتور أحمد عروة يظهر كل أسبوع بالتلفزيون الجزائري على إثر زلزال الشلف/ الأضنام سابقا وقد تطوع لمعالجة المصابين . فرد عليه الأستاذ أحمد عروة ردا جميلا، فاطمأن المواطن وازداد انشراحا، وتقدم منه أكثر فعرض عليه مرضه وطلب تعيين دواء له، فما كان من الأستاذ أحمد عروة إلا أن أخرج وصفة وقلما وكتب له دواء طبقا لما وصف له، والحقيقة أنه كتب في الأيام التي بقي فيها في مدينة قائمة العديد من الوصفات الطبية دون أن يزعجه ذلك، ولكنه هنا وفي هذا المكان أكتف إلى وقال: لما يخرجني هؤلاء الأخوة المساكين الذين أتفهمهم فانا أريد أن أرتاح واستجم وأتمتع بهذه المناظر الطبيعية الخلابة.

وعلى متن السيارة كنا نتبادل الحديث فسألته السؤال الآتي: ما الفائدة من وجود التدين بحسب الرجل إذا كنا نعرف وظيفتها وفوائدها بالنسبة للمرأة خصوصا

والأنتى عموما حتى في الحيوانات فأجاب: إن الله جعل الجنين في تكوينه الأول يتكون كإنسان تركب فيه كل الأجهزة وذلك قبل أن يأخذ إحدى الطريقتين إما ذكرا فيضمهر هذا الجهاز أو يعطل دون أن يفقد الإحساس، وإما أنتى فتبرز هذه الأجهزة. والحقيقة أن علمية هذا الرجل وتواضعه، وأصالته، وإيمانه القوي بالله أولا وبقدرة الإنسان الذي خلقه الله ثانيا، ثم إيمانه في قدرات المسلمين الذين كانوا أحد الحلقات الكبرى في مسار الحضارة الإنسانية ولاسيما في المجال العلمي، ومجال الطب على الخصوص، فقد روى لنا أنه عندما كان مشاركا في أحد ملتقيات الفكر الإسلامي التي كانت تعقدتها كل سنة وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية بالجزائر جاء أحد العلماء الغيورين بمحاضرة ليشارك بها في ملتقى الفكر الإسلامي بالجزائر العاصمة موضوعها فوائد النخالة¹، وراح المحاضر يتحدث عنها وكأنه اكتشاف جديدا، فخرج الأستاذ الدكتور أحمد عروة وأسرع إلى بيته لأجل إحضار كتاب القانون لابن سينا وأثناء المناقشة أخرج الكتاب وبين بأن ابن سينا قد اكتشف فوائد النخالة منذ قرون؟

وهكذا أصل لهذا الاكتشاف، وفند مقولة أو ادعاء هذا الغربي ولا ريب أن الأستاذ الدكتور أحمد عروة كان يدرك أن الغربيين تلمذوا على الكثير من المسلمين ونقلوا عنهم في مختلف المجالات العلمية لا سيما مجال الطب، ولكنهم لم يكونوا يحافظون على الأمانة العلمية، وينسبوا ما نقلوه إلى أصحابه، وقد يكون الإنجليزي هذا واحدا منهم؟.

¹ - النخالة هي فطور حبات القمح تزال بعد الطحن والغرلة عادة تعطى كتغذية للحيوانات خاصة الخيول والدواجن.

وهو ما ينبغي أن يقوم به العلماء والباحثون المسلمون اليوم، ولكن بشكل علمي دقيق، وقراءة متأنية لثرائنا تكون واسعة وعميقة ومتخصصة، لا لترد على سرفاقهم، وحيانتهم للأمانة العلمية فحسب بل لنسهم في إنتاج العلم، والأستاذ الدكتور أحمد عروة فعل وأنتج العديد من البحوث والدراسات في هذا الشأن، وأحب هنا أن أعرض في عجالة إلى أحد إنتاجه والمتمثل في كتابه المطبوع بعنوان: "الوقاية وحفظ الصحة عند ابن سينا"¹.

وباعتباره متخصصا في طب العمل فإن كتابه جاء في صميم اهتماماته، وقد ضم الكتاب مقدمة وخمسة فصول بين فيها أهمية الوقاية عند المتقدمين ولاسيما عند علماء الطب المسلمين فقال: "لذلك فإن نظرنا إلى تاريخ الوقاية وحفظ الصحة كما نجدها عند الشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا كممثل جدير للطب العربي الإسلامي في عصوره اللاحقة، ليست فقط من باب العدالة والاعتراف بالفضل لأحد العلماء العباقرة الذين زينوا الحضارة الإسلامية بأعلى سماتها، وإنما كذلك في نفس الوقت من باب الاعتبار والانتفاع، لأن الأوضاع الصحية الراهنة التي يعيشها الإنسان المعاصر ورغم التقدم العلمي الهائل واكتشاف أسباب الأمراض وكيفية انتشارها في الأهالي، ورغم التغلب على أهم الأمراض الوبائية التي كانت تفتك بالبشرية فإنها لازالت تدعو إلى الحيرة والتساؤل"².

وعن ابن سينا ومدى تجسيده للطابع العلمي للحضارة العربية الإسلامية، والتي تصدرت اتصال السماء بالأرض يوم جاء الوحي لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قال الأستاذ الدكتور أحمد عروة: "إن الدراسة حول شخصية ابن سينا ومؤلفاته


¹ - من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق 1986/1407.

² - نفسه، 4.

العلمية، من حيث علانية الفكر ومنطقية التفكير ومنهجية التحليل تبرز لنا مكانة العنصر العلمي في الحضارة الإسلامية، وسماته الشمولية التي كانت تجمع وتؤلف بين الأصول العقيدية والاستدلال العقلي والتجربة العلمية، من دون ما يرى في ذلك أي تناقض مبدئي بين ميادين المادة والروح والجسم والعقل والطبيعة والإنسان¹.

وباعتباره طبيبا، ومفكرا فقد تمثل ابن سينا في أعماله العلمية والفكرية معا ومنها هذا العمل في مجال الوقاية ركز فيه على الموضوع ، وأبرز في فصله الأول المعطيات الطبيعية والمرضية والبوائية التي تركز عليها الوقاية عند ابن سينا، وفي فصله الثاني على تدبير صحة الأبدان لاسيما لدى الأطفال مبرزاً الدور الهام لكل من الرياضة والغذاء، وفي الفصل الثالث سلط فيه الضوء على تدبير صحة البيئة، أما الفصل الرابع فقد خصصه للأمراض التعفنمية والبوائية، وأنهى مصنفه هذا بالفصل الخامس الذي تكلم فيه عن الوقاية الخاصة ببعض الأعضاء لاسيما في حفظ العيون والأذن، والأسنان.

وأخيرا فعندما تقدم هذه الإطالة. التي تأتي في إطار الاحتفال بالدفعة التي تتخرج هذه السنة وتحمل اسم العلامة الأستاذ الدكتور أحمد عروة، وفي إطار قسنطينة عاصمة الثقافة العربية لاسيما وأنه عمل بما كمدير لجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بعد الأستاذ عمار طالبي . قلت فعندما تقدم هذه إطالة فإننا نقصد من ورائها الإسهام في تخليد مآثر هذه الشخصية، والتعريف بجهودها وما تركته من أثار علمية وفكرية لا تقل أهمية عن الأثار العلمية.

A decorative rectangular border with intricate floral and geometric patterns, featuring repeating motifs of leaves and diamonds.

جهود الفكرية

منهج القرآن الاستدلالية

في نظر الدكتور أحمد عروة

أ. سعاد دوفاني

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إنه مقال قدمه الدكتور أحمد عروة في ندوة قضايا المنهجية في الفكر الإسلامي: قسنطينة، الجزائر من 9 إلى 12 سبتمبر 1989 بين جامعة الأمير عبد القادر والمعهد العالمي للفكر الإسلامي.

وهو مقال يشتمل على مقدمة وخمسة فصول وخلاصة؛ وسأحاول في هذه الدراسة تحليلية مضمونه، وعرض ما تضمنه من حقائق وأفكار قيّمة تحتاج منا الوقوف عندها، وعرض جانب من جوانبه.

معنى المنهج:

أ- عرفه أهل اللغة فقالوا: "المنهج هو الطريق الواضح البين؛ والجمع نجات. وطرق نجة أي واضحة كالمنهج والمنهاج.

وأصح أي أوضح، ونهج الطريق أي سلكه؛ واستنهج الطريق أي صار فيها واضحا بيّنا. وأصح الطريق إذا وضع واستبان. وفلان استنهج طريق فلان إذا سلك مسلكه. وطريق ناهجة أي واضحة بيّنة¹. وقد وردت الكلمة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمَنْهَاجًا﴾² يقول ابن كثير في تفسير الشريعة

¹ - مرتضى الزبيدي، تاج العروس، ج 2، دار ليبيا، بن غازي، 1966، ص 109 - 110.

² - سورة المائدة، الآية: 43.

والمناهج: " السبيل والسنة أي الطريق، وأن الشريعة هي الشريعة، أما المنهاج فهو الطريق الواضح السهل. والسنن: الطرائق"¹.

أما صفوة التفاسير فقد ورد في تفسير الآية نفسها: أننا جعلنا لكل أمة شريعة وطريقا بينا واضحا خصوصا بتلك الأمة، واختلاف المناهج هذا ينصب على الأحكام أما المعتقد فواحد لجميع الناس: توحيد وإيمان بالرسول وجميع الكتب وما تضمنته من المعاد والجزاء"².

ب - أما في الاصطلاح³: فالمنهج العلمي يطلق ويراد به الطريقة التي يتبعها الباحث في عرض حقيقة أو فكرة أو دراسة يريد من ورائها الوصول إلى نتيجة. فالمنهج إنما هو تقنية عمل في هذا الحقل أو ذاك من حقول المعرفة للكشف عن حقيقة ما أو مقاربتها تحليلا وتركيبا.

وإذا رجعنا إلى المقال موضوع الدراسة نلاحظ أن الدكتور أحمد عروة وهو يوضح المنهج القرآنية الفذة في عرض الحقائق الإيمانية بأسلوب بدیع ومنتوع لا يترك لتعقل المتحرر من الهوى والظن والشك وغيرها مجالاً للتكذيب أو الريبة، فكان أسلوباً مميزاً ومنهجية علمت الإنسان طرق البحث عن الحقائق من جهة وعرضها من جهة أخرى، ومحاولة الوصول إلى تجلية الحق.

إن القرآن وهو يعرض قصة الوجود ويعالج مواضيعها المتنوعة، ويربط بين المخلوقات والخالق، مكوناً بذلك رؤية توحيدية واضحة للعالم، متناسقة الربط بين

¹ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط دار الأندلس، بيروت، 1966، ج 2، ص 558.

² - محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ط 4، دار القرآن الكريم، بيروت، 1981، ج 1، ص 226-227.

³ - عماد الدين خليل، مقال "المنهج العلمي والروح العلمية لدى ابن خنمي، قسنطينة: 9-12 سبتمبر 1989، ص 1.

أركان هذه الرؤية؛ يواجه بجملة من التحديات والاستفزازات التي يتخذ منها أهل الباطل شبهات وحججا يختبرون بها صلابة أدلة القرآن ومدى صلابتها وقدرتها على التحجيم والرد، وجيوش الباطل لم تتوان في عصر من العصور عن هذه المحاولات التي يتصدى بها القرآن الكريم تصدى الحق للباطل، وغلبته دوما، مصداقا لقوله تعالى:

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ¹ أَي تَبَيَّنَ الْحَقُّ فَيُدْجِسُ الْبَاطِلُ وَهَذَا قَالَ: ﴿فَيُدْجِسُهُ فَإِذْ هُوَ زَاهِقٌ﴾² لَأَنَّ الْحَقَّ لَا يَدُّ لَهُ مِنْ مِصْرَعِينَ وَمِنَارَعِينَ لِيُظْهِرَهُ اللَّهُ دَائِمًا، وَيَبْقَى شَاحِنًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وقد طرح الدكتور أحمد عروة مجموعة من الإشكالات وانطلق مجيبا عليها في مختلف فصول الدراسة، وهي:

- ما أنواع الحجج التي حاول المشركون والملحدون إبطال الحقائق القرآنية بها؟
- وما المقاييس والمناهج الاستدلالية التي وضعها القرآن وسلكتها لإثبات حقيقته، وتكذيب مزاعم المخالفين؟
- ما الادعاءات الإلحادية الجديدة التي تعارض الحقائق الدينية في العصر الحديث؟

- وما المنهج القرآني المتبع في الرد على محاولات الإلحاد المعاصر؟
- ج- أنواع حجج المشركين والملحدين: لقد حاول أهل الشرك والإلحاد محاربة الإسلام بطرح حجج ليحاربوا بها أهل الحق ظنا منهم أنها حجج ستغلبهم وتفحمهم، إذ لا يتورعون أبدا عن استعمال كل الأساليب التي تتاح لهم لبلوغ هدفهم أو بعضها منه. وقد عانى الرسول من كيد المشركين وتحديدهم له عدة مرات،

¹- سورة الأنبياء، الآية: 18.

²- سورة الأنبياء، الآية: 18.

ووصلت بهم دناءتهم للاستعانة باليهود من أهل الكتاب غايتهم محاصرة الحق وإيذاء أهله. يقول الله تعالى: ﴿وَيَجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾¹ لأن الحق واحد أما الباطل فمتعدد بتعدد منطلقات أهله المختلفة.

ويورد الدكتور أحمد عروة في الفصل الأول من مقاله² بعض الحجج قائلاً:
"من الحجج والاستدلالات والتحديات التي استعملها الكفار لمحاربة الحقائق الدينية نذكر أهمها:

1- حجة التقليد: وبعد التقليد آفة من الآفات التي إذا أصابت الإنسان جعلته يعلق عقله ويحاول أن يعيش في فكر وشخصية من يقلدهم. وأخطر أنواع التقليد تقليد العقيدة، وهو ما أشار إليه الدكتور واصفاً إياه بالالتزام بالمحافظة على المعتقدات والعادات الموروثة عن الأجيال السابقة بدون تعبير ولا تغيير. ثم يستدل بالقرآن الكريم في موضعين منه: قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾³ ليكون التقليد حجاباً ضربه على عقولهم وأغلقوا به المنافذ نحو الاهتداء والنور. وكذلك قوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾⁴ والغريب في حجج أهل الباطل أنهم يزينون لأنفسهم الباطل ويعتبرون كل مخالف لهم محتال.

2- المنهج الحسي: وهو عند هؤلاء المبطلين قانون قبول الحقائق، إذ لا يعتبرون ولا يؤمنون إلا بما يشاهدون. وهو المذهب المادي الذي نلاحظ أن جذوره

1 - سورة الكهف، الآية: 56.

2 - ص 4 من المقال، الفصل الأول.

3 - سورة البقرة، الآية: 170.

4 - سورة الزخرف: الآية: 22-23.

ضاربة في التاريخ. يقف سدا أمام عقل الإنسان ومداره رفض كل ما هو خارج عن نطاق الحس والمشاهدة. وهي حجة جوية بما الأنبياء عليهم السلام، كما وقع لموسى عليه السلام في قوله تعالى على لسان اليهود:

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ تَرَىٰ اللَّهُ جَهَنَّمَ ۗ﴾¹، لنذكر من خلال بذل الحجة ضعف الباطل وبعد أهله عن الحق والنور.

3- الاستدلال الجدلي: ويتجلى هذا بذكر الأمثال للإيقاع بالخصوص،

وذلك ما نلاحظه في ضرب الأمثال المذكورة في القرآن حين استخدمها المبطلون بزعم منهم أنهم سيعجزون من يعارضهم، غير ان الحق -دائما- يعلو ولا يعلا عيه أبدا، وفي سورة يس ذكر لهذا النوع من الاستدلال بالأمثال، قال تعالى:

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۗ﴾². وفي تفسير هذه الآية يقول الطبري: "ومثل لنا شيها بقوله: من يحيي العظام وهي رميم ونسي خلقنا إياه كيف خلقناه فلم يفكر في ذلك فيعلم أن من خلقه من نطفة حتى صار بشرا سويا ناطقا متصرفا لا يعجزه أن يعيده الأموات أحياء"³، فالإعادة أهون عند الله تعالى من الخلق من العدم، لو كان لهؤلاء المتحججين عقول تفكر وتعمل!

4- التحدي الإعجازي: وهو أسلوب آخر يقصد منه مجرد التعجيز،

ويتمثل في المطالبة بإظهار المعجزات التي تخرج عن القدرة الإنسانية العادية، والقصد منه إفحام الخصم لعلمهم المسبق أنها خارجة عن طاقتهم وعن طاقة أي كائن بشري، ونية الكفار مبنية على المكر مسبقا حين يطلبون من الأنبياء الإتيان

¹ - سورة البقرة، الآية: 55.

² - سورة يس، الآية: 78.

³ - مختصر تفسير الطبري، محمد بن جوير الطبري، ط2، 1957، تحقيق الصابوني وأحمد رضا، مكتبة

رحاب: الجزائر، ج2، ص 248.

بالخوارق، فإن أتوا بها اتهموهم بالسحر، وإن عجزوا وجدوا حجة لتكذيبهم إثبات أنهم يدعون الناس للباطل، ولتتبع قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا... أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَعَنْبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ جَلَالَهَا فَتُجِيرًا...﴾¹ أَوْ تَنْسُقَطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمْتُمْ عَلَيْنَا كَيْسَفًا أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قِبَالًا... أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِزَيْتِكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ¹.

يقول الإمام ابن الجوزي في تفسير هذه الآية: " سبب نزول هذه الآية وما يتبعها أن رؤساء قريش كعبته، وشيبة، وأبي جهل، وعبد الله بن أبي أمية، والنضر بن الحارث وآخرين، اجتمعوا عند الكعبة فقال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلّمونه وخاصموه حتى تعذروا فيه، فبعثوا إليه: إن أشراف قومك قد اجتمعوا ليكلّموك، فجاءهم مسرعاً وكان حريصاً على رشدهم، فقالوا: يا محمد إنا والله لا نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك، فقد شتمت الآباء وعبت الدين، وسفّهت الأحلام وفرقت الجماعة²... ثم عرضوا عليه المال والملك والعلاج إن كان به مس أو مرض ثم قالوا يا محمد فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا فقد علمت أنه ليس من الناس أضيّق بلاء ولا أشدّ عيشاً منا، سل لنا ربك يسير هذه الجبال التي ضيقت علينا، ويجري لنا الأنهار، ويبعث من مضى من آبائنا، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب فإنه كان شيخاً صدوقاً ففسأهم عما تقول أحق هو؟، فإن فعلت صدقناك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما بهذا بعثت، ولقد أبلغتكم ما أرسلت به، قالوا: فسل ربك أن يبعث ملكاً يصدقك،

¹ - سورة الإسراء، الآية: 90 - 93.

² - زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج ابن الجوزي: 1، المكتب الإسلامي، بيروت، ج 5،

وسله أن يجعل لك جنانا وكنوزاً، وقصوراً من ذهب وفضة تغنيك، قال: ما أنا بالذي يسأل ربه هذا، قالوا: فأسقط السماء علينا كما زعمت بأن ربك إن شاء فعل، فقال: ذلك إلى الله عز وجل، فقال قائل منهم: لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبلاً، وقال عبد الله ابن أبي أمية: لا أؤمن لك حتى تتخذ إلى السماء سلماً وترقى فيه وأنا أنظر، وتأتي بنسخة منشورة معك ونفر من الملائكة يشهدون لك، فانصرف رسول الله حزينا لما رأى من مبادئهم إياه¹. وبعد هذا العرض نستنتج أن العرض الحقيقي لهؤلاء وأمثالهم إنما هو مجرد التحدي، لا لإظهار الحق بل لتعجيز الخصم فقط.

5- التحدي الاستكباري: إنه وسيلة أخرى تتمثل في الاستكبار على الحق وأهله، والذي وصل حد تأليه الذات كما حدث مع صاحب إبراهيم الذي حاجه في ربه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾² حيث بنى حجاجه على الاستعلاء وادعاء القدرة المطلقة: يقول الطبري: "ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه: هذا تعجيب من الله تعالى لرسوله كأنه يقول: هل رأيت مثل هذا أو هكذا؟ والمعنى ألم تر يا محمد بقلبك إلى الذي حاج إبراهيم وحادله في ربه؟ وهو عمرو بن كنعان أول ملك جبار في الأرض. أن آتاه الله الملك: لأن الله آتاه الملك حين قال إبراهيم ربي الذي بيده الحياة والموت؟، يحيي من يشاء ويميت من يشاء، قال أنا أفعل ذلك فأحيي

¹ - المرجع نفسه، ص 85-86.

² - سورة البقرة، الآية: 258.

وأमित، قال مجاهد: أتى برجلين فقتل أحدهما وترك الآخر وقال هذا أمته وهذا أحييته، فقال إبراهيم إن ربي يأتي بالشمس من مشرقها فات بها من مغربها إن كنت صادقا أنك إله، فاقطع وبطلت حجته "1". وهذا الشيء ذاته حدث لفرعون مع موسى حين ظغى فرعون وتجبر. تلك إذن أدلة ثابتة تقلا على هذا النوع من الحجج التي حاول الكفار والمشركون من خلالها محاصرة الحق والتضييق على أهله.

أما الفصل الثاني من الندوة فقد تناول فيه الدكتور أحمد عروة مقاييس ومناهج القرآن الاستدلالية للرد على خصومه، وضمان حصانة موقفه، وهي جملة من المقاييس على النحو الآتي:

أ - قيام الاستدلال على عناصر عرفانية ثلاث هي: العلم والإلهام الرباني والكتاب المنير، والمتضمنة في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾².

يقول ابن عاشور: فيكون المراد فريق المعاندين والكافرين الذين يجادلون في الله بغير علم بعد أن بلغهم الإنذار من زلزلة الساعة، فهم كذلك يجادلون في الله بغير علم بعد أن وضحت لهم الأدلة على وقوع البعث ودافعهم الجدل في الله عند سماع الإنذار بالساعة عدم علمهم ما يجادلون فيه: وانتفاء الهدى وانتفاء تلقي شريعة من قبل والتكبر عن الاعتراف بالحجة، ومحبة إضلال الناس عن سبيل الله، فيؤول إلى معنى أن أحوال هؤلاء مختلفة وأصحابها فريق واحد هو فريق أهل الشرك والضلالة. ومن أساطين هذا الفريق من عدوا في تفسير الآية الأولى مثل: النضر بن الحارث وأبي

¹ - الطبري، المرجع سابق، ج 1، ص 82

² - سورة الحج، الآية: 8.

جهل وأبي بن خلف" ¹. ومنه نلاحظ أن القرآن يعيب على خصومه أنهم يجادلون بغير علم ولا أدلة ما يحكم عليهم بالفشل مسبقا.

ب - قيام الاستدلال على البرهان اليقيني: وهذا البرهان القائم على اليقين هو إما:

- حسي: منطلق من القاعدة التي تتفق عليها مستويات الناس جميعا وهي في متناولهم كلهم وتمثل في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْرَةِ كَيْفَ خَلَقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ ².

فالقرآن يتعجب من الذين تعمى أبصارهم عن الآيات العديدة التي يرونها يوميا لكنها لا تؤثر فيهم.

- علمي: وهو ما يكتسب بالبحث والاختبار بتتبع الظواهر للوصول إلى حقائقها، مصداقا لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾ ³ وهو ما أثبتته العلم ووصل إليه الإنسان بعد الكشوف والنتائج العلمية الباهرة التي توصل إليها، ليقف على أدلة جديدة وإثباتات كبيرة على قدرة الله وعظمته.

- عقلاني: وهي المطابقة المنطقية التي يقبلها كل عقل سليم، مثل قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ ⁴.

¹ - التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ط 2، 2000، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ج 15، ص 286.

² - سورة العاشية، الآية: 17 - 20.

³ - سورة الأنبياء، الآية: 22.

⁴ - سورة الأنبياء، الآية: 22.

- إعجازي: يقوم على مطالبة المعاندين بتقديم برهان يثبت ما يقولون أو يبطل ما يقوله خصومهم إن كانوا فعلا صادقين، مثل ما ورد في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾¹.

وهو استدلال قائم على إفحام الخصوم بمطالبتهم بأشياء يستحيل عليهم الإتيان بها لأنها موجودة وثبت لهم الباطل الذي يتمسكون به.

ج- قيام الاستدلال على الحق: اجتناب الظن والوهم والأمانى والهوى منجسد في الانفعالات العاطفية على اختلاف انطلاقاتها، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾² وهو الأمر الذي بني عليه منهج الأنبياء حين نهموا جميعا عن اتباع الهوى والظن.

د- قيام الاستدلال على السنن الكونية: حيث يجب عدم الاعتماد على الخوارق: والإسلام دين لم تكن معجزة محمد فيه كمعجزات موسى وعيسى عليهم السلام؛ لأنه الدين الخاتم ومعجزة نبيه لا يد أن تبقى قائمة إلى قيام الساعة. وفعلا تحققت في القرآن الكريم الذي يخاطب العقل بالعقل لا بالمعجزات والخوارق. وبعد عرض الدكتور أحمد عروة للمقاييس المذكورة، عرض منهج القرآن الاستدلالية وهي:

أ _ الرد على حجة التقليد:

يجعله مظهرا من مظاهر بحانية الصواب والبعد عن الحق، وقد قال تعالى في ذلك: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾³.

¹ - سورة البقرة، الآية: 110.

² - سورة النجم 28.

³ - سورة البقرة، الآية: 169.

وهو يعيب عليهم هذا التقليد، ويسفه عقولهم التي أبقوها جامدة لا تؤدّي دورها في نقد ووزن الانفعال بميزان العقل والمنطق.

ب_ الردّ على التحدي المطالب برؤية الله والملائكة:

إن العقل البشري يتوقّف بمجالات استعماله عند حدود عالم الشهادة والمحسوس من الآثار الدالّة على عالم الغيب وقضايا الوجود كلّه مصداقاً لقوله تعالى: ﴿سَتْرِيهِمْ أَيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾¹.

أ- الاستدلال الجدلي: إذ نلاحظ أنّ القرآن الكريم يبطل أطروحة خصومه بإيجاد الخلل المنطقي المتضمّن فيها، بل ويزيد فوق ذلك بتصحيحها، لتكون في النهاية حجّة للقرآن ضدّ خصومه، مثل الآية التي مرّت بنا في الفصل الأوّل، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾². فعندما حاول مشركو قريش إفحام الرسول صلّى الله عليه وسلّم، جاءهم استدلال القرآن الكريم الذي وضح لهم أنّ الإعادة أسهل بكثير من الخلق من عدم.

ب- الاستدلال العقلاني: ويكون بإثبات العقيدة الصحيحة بأحد الأمرين:

إنّما يبطل العقيدة الفاسدة والخطأ كما فعل إبراهيم مع النمرود أو بالتحدي البرهاني بمطالبة الطرف المجادل بالحجّة على ما يقول.

¹ - سورة فصلت، الآية: 52.

² - سورة يس، الآية: 78.

جـ- الرد على التحدي الإعجازي: وذلك بإبطاله وبيان هشاشة الأدلة التي يعتمد عليها الكفار والمشركون عند تحديهم للرسل صلى الله عليه وسلم. فعوض بفحامه يعرضون أنفسهم للتصاعق والسخرية، وفي ذلك إثبات منهم لانحرافهم عن مبادئ العقيدة فيما يزعمون.

د- الرد على الجدل الاستكباري: وفي رد إبراهيم الخليل على التمرد خير مثال على أسلوب القرآن الكريم المتميز في الرد على هؤلاء المستكبرين.

6- إثبات الحقائق: أثبت المنهج القرآني المنفرد حسب الدكتور أحمد عروة، حقائق لوجود الكبرى وهي:

- أ- حقيقة وجود الله: باستعمال المنهج المذكور سابقا، والمتمثل في:
 - الاستدلال الحسي: يتبع آثار عظمة الخالق من خلال بدع صنعه في الآفاق والأنفس.
 - الاستدلال العقلاني: بحسن التدبير وتوجيه الإنسان إلى استغلال نعمة العقل للوصول إلى الحق.
 - الاستدلال بالتحدي الجدلي: وهو استعمال أسلوب الخصوم بنفس المنطقية لكن الفرق بين المنطق المبني على الحق، والمنطق المبني على الباطل.
- ب- إثبات وحدانية الله: باستعمال أنواع الاستدلال السابقة وقد زاد عليها الدكتور أحمد عروة بتفصيل أنواع الاستدلال بالإعجاز والتحدي به:
- الإعجاز البرهاني - الإعجاز الخُلقي - الإعجاز الاستفزازي.

ج- إثبات حقيقة البعث واليوم الآخر:

وهذا باستعمال أنواع الاستدلال المذكورة سابقا.

أما الفصل الرابع، فيعرج فيه الدكتور أحمد عروة على الفكر الإلحادي وإنكاره للحقائق الدينية: حيث يلاحظ أنّ الفكر بمفهومه الإلحادي يطغى في العالم أكثر فأكثر لقيام الحضارة الغالبة- ويعني الحضارة الغربية- على المادية والعقلانية والعلمانية ورغم تطويره لأساليب الجدلية وإقامتها على كشوفات الحضارة وعلومها إلا أنه لم يصل إلى اليوم إلى درجة الثبات أمام أساليب القرآن وحججه المبنية على مبادئ العقل والمنطق، وهو الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه: ولا يؤثّر فيه انتحال المبطلين، ولا حجاج المعاندین.

والفكر الإلحادي قائم على أنّ الطبيعة تسيرها قوانينها الذاتية، بخاصية الأزلية فيها¹ وليست بذلك في حاجة إلى قدرة خارجة ومستعينة عنها؛ ومنه فإنّ مظاهر الحياة كلّها، على وجه الأرض إنما هي حقيقة الكون المادية من خلال تجلّياتها في الظواهر الطبيعية دونما استدلال على ما يقولون إلا حجّة الحس والمشاهدة. والحقائق الغيبية تتمتر حسب زعمهم لهذا، ومادامت غير قابلة للإثبات بالحس والمشاهدة فهي غير صحيحة أصلاً.

لكنهم ينسون أن الحقائق الإيمانية الغيبية أشمل وأكبر من ضيقة العقل والعلم حتى يخضعانها للتجريب والملاحظة، ومهما يكن من ردودهم ومن شبهاتهم، فإنّ المنهج القرآني في كل مرة يفحّمهم ويثبت استعلاءه على الوضع، أو أن يكون من لدن بشر بل هو من عند الله الحكيم الخبير.

وأخيراً الفصل الخامس: والذي خصصه الدكتور أحمد عروة للرد القرآني على حجج الملحدين. وقد استهلّه بآية الآفاق والأنفس حيث يقول تعالى:

¹ أحمد عروة، ندوة قضايا المنهجية في الفكر الإسلامي، 9-12 سبتمبر 1989 المنهجية الاستدلالية في القرآن للرد على خصوم الإيمان، ص 18.

﴿سُنُّرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفُرْ بِذَلِكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾¹.

وفي هذه الآية تبصير لكل إنسان ألا يذهب بعيدا في البحث عن أدلة وجود الله وعظمته بل يمد بصره إلى ما حوله ويتمعن في نفسه سيجد بدل الدليل الواحد مئات البراهين.

ورأى الدكتور أحمد عروة أن حجج المبطلين تدور حول:

أ_ ادعاء التناقض بين العلم والدين:

أي أن الدين يناقض العلم ومجاريه، مع أن الإسلام دعا في أول آية إلى القراءة وطلب العلم، ولا تخلو آياته وسوره من توجيه الإنسان ودعوته إلى التفكير والنظر والاعتبار، والحقيقة أنهم انطلقوا من " حق أريد به باطل"، إذ الدين المتمثل في الكنيسة، والذي حارب العلم وحاصر العلماء في القرون الوسطى، واقع لم تقم أوروبا من انحطاطها وتخلفها إلا بعد استبعاد سيطرته على الحياة، لكن تعميم الحكم على الأديان كلها، فهذا هو الكيد والباطل الذي أريد به ضرب الإسلام، الدين الوحيد الصحيح بما يضعف تأثيره وانتشاره في الحياة.

ب_ تكذيب حقيقة الدين:

وهذا بحجة أن الكون بما فيه من موجودات، يخضع لقوانين الطبيعة ولا يحتاج إلى افتراض وجود خالق أصلا، وهو ما ادعاه كثير من المفكرين الغربيين مثل لا بلاص الفلكي الفرنسي، الذي زعم أن بحوثه في حركة الأفلاك لم تكن في حاجة إلى

¹ - سورة فصلت، الآية: 52

افتراض وجود الله¹، وكذا "إنجلز" و"ماركس" و"مونود" و"جاكوب" الذين ادَّعوا أنَّ قوانين الطبيعة تتناقض مع مفهوم الدين للوجود.

ويردّ عليهم القرآن بنفس حجتهم، إذ القانون الذي تسير عليه الطبيعة بما فيها ما هو إلا سنة الله تعالى الثابتة في السماوات والأرض والبشر: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾².

ثمّ يورد الدكتور أحمد عروة مجموعة من الآيات المثبتة لهذا المعنى.

ج- استغلال النظريات العلمية لدعم الإلحاد:

مثل نظريات تكوين العالم وتطوّراته وتحول الطاقة الحرارية وتوزع الكائنات الحيّة لإنبات أنّها تناقض إدارة الله المطلقة، وقد توىّ القرآن الكريم الردّ على هؤلاء وأمتلهم حين قال: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾³ وقال أيضا: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾⁴.

وكذلك الواقع أثبت أنّ النظريات مبنية على التخمين والافتراض، وهو ما جعل لاحقها يكذب سابقها كلّما تطوّرت وسائل البحث.

د- قرن الإلحاد بالاستكبار:

كادعائهم أنّهم توصلوا إلى إطالة عمر الإنسان، وتغلبوا على جاذبيّة الأرض، وامتلاك التصرف في البرمجة الجينية والتحكّم بنظام الخلايا الجسميّة والتناسليّة، وينسون أنّهم يستعملون وسائل لم يخلقوها، وأنّ ما أوصلهم إلى هذه القوّة والعلم هو

¹ - ندوة المنهجية الاستدلالية في القرآن للردّ على خصوم الإيمان، أحمد عروة، ص 19

² - سورة فاطر، الآية: 43.

³ - سورة العنكبوت، الآية: 20.

⁴ - سورة ق، الآية: 06.

العتل الذي جعله الله تعالى مناط تكريم الإنسان، ومظهر تفضيله على سائر الموجودات، وقد راقني تعبير الدكتور أحمد عروة في التعليق في ختام هذا الفصل حين قال: "إنَّ من حقِّ الإنسان أن يصنع ما صنعه بإذن الله من مراكب وآلات بديعة، وأن يصنع أكبر من ذلك وأعجب، وأن يعلم من أسرار الكون والمخلوقات ما عرف وما يمكن له أن يستكشفه في المستقبل؛ ولكن ليس في قدرته أبداً أن يغيّر سنة الله في الخلق والمخلوقات، أن يعجز الله في ربوبيته وأزليته: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ قَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْأَلْتَهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوهُ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾²1.

¹ - سورة الحج، الآية: 73

² - المنهجية الاستدلالية في القرآن للرد على خصوم الإيمان، أحمد عروة، ص 25

خاتمة:

وأختار كخاتمة لهذا المقال الخلاصة التي أوردها الدكتور أحمد عروة في آخر مقاله، حيث ذكر فيها:

- من معجزات القرآن الكبرى أن تبقى تعاليمه ثابتة وحججه صارمة وأحكامه صالحة لكل زمان ومكان.

- تقلب المعتقدات البشرية بين الوثنية، والشرك والعقلانية والتوحيد، وتبقى شوائب الفكر تخالطها، والشيطان يتربص بما للحيلولة دون حقيقة العلم وهداية الدّين.

- استمرار سعي الكفار والمشركين وأعداء الدين الهجوم بأسلحتهم المتنوعة على الإسلام ليظفون نور الله، الذي يأبى الله إلا أن يقيه ساطعا يتصدى للأوثان الجديدة ويحطمها كما حطم الأوثان القديمة على مرّ الزمان، لقول تعالى: ﴿وَيُمَخُّ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾¹، وقوله: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُشِيعَ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾².

هكذا عشنا مع الدكتور أحمد عروة في ندوة: "قضايا المنهجية في الفكر الإسلامي"، حيث أبدع في عرض حجج الكافرين والمشركين والملحدّين، التي حاولوا بها تكذيب الحقائق الدينية، ثمّ ردّ بمقاييس المناهج والاستدلالات القرآنية على خصوص القرآن، ليورد بعد ذلك حجج التيار الإلحادي المعاصر والتي تظهر الحقد الدفين للإسلام والقرآن، ليختم بالردّ القرآني عليهم ودمغ حججهم الواهية.

¹ - سورة الشورى الآية: 24

² - سورة التوبة، الآية: 32

التكامل بين العلم والدين في فكر أحمد عروة من خلال كتابه العلم والدين (مناهج ومفاهيم)

د. الزهرة لحلم

جامعة الأمام عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين وبعد:

تعد قضية العلاقة بين الدين والعلم من أبرز المضامين المعرفية والمسائل
الخلافية في مسيرة الفكر البشري، سواء على مستوى الفكر المجرد أو على مستوى
العمل والتطبيق، وخلالها تم الفصل بين العقل والإيمان كنوع من الخلط بين منهجي
المعرفة العقلية والمعطيات الإيمانية وعلى أساس حتمية سائدة ضمن أنواع الفلسفات
المادية؛ وهي الاعتقاد بأنّ التصور الحضاري يفرض حتماً إلى اضمحلال العامل
الديني وتفقد دوره في واقع الأفراد أما على مستوى الإسلام كعقيدة وشرعية، فقد
مثل وما زال عقيدة وجودية مآليه شاملة لا مجال فيها للفصل بين الواقع الزمني
والتطلع الروحي بين العلم بالمحسوسات والإيمان بالغيبيات، لذا فالسؤال المطروح، ما
هي طبيعة العلاقة المفروضة قيامها بين العلم والدين ليتحرر الإنسان مادياً وأخلاقياً
وتقافياً وروحياً؟ وهذا بالفعل ما حاول الدكتور أحمد عروة مناقشته في كتابه العلم
والدين مناهج ومفاهيم.

والذي سننسط آراءه وتحليلاته لهذه المسألة فيما سيأتي:

أولاً: التعريف بالكاتب والكتاب:

1- ترجمة الدكتور أحمد عروة:

الدكتور أحمد عروة أحد أبناء الجزائر، وصفحات تاريخها المضيء، ولد في بلدة مدوكال بالجزائر، وهذا يوم الثلاثاء 29 شوال 1344هـ/11ماي 1926م، وكان أبوه محمد الصديق عالماً فقيهاً تخرج من جامع الزيتونة بتونس، حفظ الدكتور أحمد عروة القرآن الكريم في سن مبكرة على يد الشيخ بالمحفوظي وتلقى عن والده مبادئ اللغة العربية وأصول الدين، مما يوضح أنه نشأ في بيت علم ودين، ولما بلغ سن السابعة اضطر والده للانتقال خارج بلده مدوكال بسبب تعيينه كمدرس في المدرسة الحرة بمدينة القليعة غرب الجزائر العاصمة، وهناك زاول أحمد عروة دروس المرحلة الابتدائية والإكمالية إلى أن حصل على شهادة الأهلية ليستكمل لاحقاً تعليمه الثانوي بثانوية بيجو (الأمير عبد القادر حالياً)، التي لم يكن تعليمه فيها منتظماً بسبب وعيه السياسي والاجتماعي بما كان يتطلبه الوضع آنذاك والجزائر تترجح تحت نير الاحتلال، لذا فقد ترك الدراسة متجهاً إلى مسقط رأسه إلى سنة 1946م وهذا بعد التصويت الوطني الفرنسي على قانون العفو العام، بالإضافة إلى اشتراكه سنة 1946م في تأسيس مجموعة كشفية باسم فوج "الأمير خالد" بعدها قرّر أحمد عروة مواصلة دراسته الثانوية ولكن من دون جدوى لأنّ طلبه قوبل بالرفض، وحينها قرر أبوه إرساله إلى فرنسا ليتمكن هناك من الحصول على شهادة البكالوريا خلال 1947م-1948م.

وفي شهر أكتوبر من نفس السنة التحق أحمد عروة بجامعة منبوبي (Montpellier) ليدرس الطب ويتخرج منها شهر جوان 1954م ليعود بعدها إلى الجزائر وتحديدًا البليدة: أين دخل في تربص تكويني إلى غاية ديسمبر 1955م ثم قفل راجعاً إلى منبوبي مرة أخرى لمناقشة أطروحة الدكتوراه التي لم تمنعه من مواصلة نشاطه

التكامل بين العلم والدين في فكر أحمد عروة من خلال كتابه العلم والدين ————— د. الزهرة لعلح

سياسي بمبوني، فكان عضواً فعالاً في نشاط جمعية الطلبة المسلمين وانتخب رئيساً لها سنة 1953م.

وبعد حصول أحمد عروة على شهادة الدكتوراه رجع إلى الجزائر وزاول مهنته في عيادة طبية بحي بلكور الشعبي وفي نهاية فيفري 1957م أوقفته سلطات الاحتلال الفرنسي واعتقلته لمدة عامين؛ وبعد إطلاق سراحه واصل أحمد عروة نشاطه المهني ومن ضمنها مداواة عدد كبير أصيبوا بجراح خلال مظاهرات 11 ديسمبر 1960م.

وبعد الاستقلال واصل الدكتور مهنته كطبيب في عيادته الخاصة إلى جنب عكوفه على إلقاء محاضرات في كلية الطب بجامعة الجزائر، وفي عام 1971م التحق بالتوظيف العمومي؛ حيث تم تعيينه في المعهد الوطني للصحة العمومية ضمن تخصص الطب الاجتماعي؛ ليواصل إنجازاته ومساهمته الطبية ويؤسس الجمعية الجزائرية لتاريخ الطب برفقة البروفيسور سعيد شيان، أما سنة 1981م فكانت سنة حصوله على درجة الأستاذية في العلوم الطبية وبعدها بقليل عين مستشارا بوزارة الصحة.

أما عام 1989م فقد شهدت تعيينه مديرا لجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية حتى وافته المنية يوم 27 فيفري 1992م⁽⁴⁾.

مؤلفاته:

تميز إنتاج الدكتور أحمد عروة بالجزارة والعمق ومن مؤلفاته مايلي:

1- قصة Quand le soleil se levra

2- دواوين شعرية كتبها أثناء الاعتقال وهي "ذكرى وبشرى من وحي الثورة الجزائرية":

Fleur des champs -Fleur des champs -Fleur des champs Panorama-

Les temps modernes-Au de la des barrières.

¹ <http://www.shamela-dz.com>

من أبحاثه المتألفة في المجال الديني ما يلي:

1- الإسلام في مفترق الطرق L'islam à la croisée des chemins

2- الإسلام والعلم

3 - L'islam et la morale de sexes

4- L'islam et contraception

5 - العلم والدين مناهج ومفاهيم في الوقاية والطب الاجتماعي

6 - L'homme et son milieu

7 - مقالات وبحوث مختلفة قدمت في مؤتمرات طبية

8- الوقاية وحفظ الصحة عند ابن سينا

9- آفاق إسلامية لفلسفة وسياسة الصحة

10- الصحة الاجتماعية في آفاقها الإسلامية

11- نظرية الوقاية عند ابن سينا وآفاقها الجديدة

12- المناهج العلمية لمعرفة خصائص الأدوية عند ابن سينا⁽¹⁾.

أولاً: كتاب العلم والدين مناهج ومفاهيم:

وهو أحد الكتب المهمة والقوية في حقل الدراسات الإسلامية وعلاقتها بالعلم، حيث تدور فكرته حول طرح قضية العلم في علاقته مع الدين في أبعادها الإسلامية وآفاقها العلمية وهنا تبرز مكانة العلم في أبعاده الواسعة المتكاملة بالنسبة إلى الإسلام في أصوله العقدية، أين يركز المؤلف على مناقشة الفجوة القائمة بين تعاليم الدين وعلوم الدنيا، والتي برزت بشكل واضح ضمن الحضارة الغربية منذ عصر النهضة، حيث تصادمت الاكتشافات العلمية مع النصوص القديمة التي كان أرباب

¹ - أحمد عروة: العلم والدين مناهج ومفاهيم، [سوريا : دمشق، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،

1، 1408هـ-1987م] ص 195-196 .

التكامل بين العلم والدين في فكر أحمد عروة من خلال كتابه العلم والدين د. الزهرة لالح

الكنيسة يعتمدون عليها إلى أن طغى الفكر العلماني على الفكر الديني واستلم مقاليد الحضارة والسياسة، وحلها يقوم المؤلف بمناقشة هذه الفكرة داخل الأطر الدينية والحضارية للإسلام، الذي ومن منذ دعوته الأولى مثل عقيدة وجودية ومالية شاملة لا تفصل بين الواقع الزمني والتطلع الروحي، ولا بين قوانين الطبيعة والمفهوم الديني للكون ولا بين العلم بالمسؤوليات والإيمان بالغيبيات ولا بين العبادة والعمل، وقد قام الكاتب بتقسيم الكتاب إلى أربعة فصول:

الفصل الأول: العلم والفلسفات المادية المعاصرة:

وفي هذا الفصل ناقش أحمد عروة ادعاءات الفلسفة المادية المعاصرة في تفسيرها لوجود الكون وحركته، بمعزل عن فكرة اللجوء إلى وجود خالق مدبر حكيم واستناد مرعوم يقوم على المنهج العلمي في تناقض شديد وإقصاء أشد مع إرادة خارجة عن نطاق الحس.

الفصل الثاني: في هذا الفصل تطرق أحمد عروة إلى العلاقة بين الدين والعلم ومن ثم عالج مجالات المعرفة والأبعاد النظرية والعلمية للعلم.

الفصل الثالث: وظائف العلم وحلال هذا الفصل حلل الدكتور ارتباط العلم والدين والعمل في البنية العقديّة الإسلامية.

الفصل الرابع: وهو الفصل الذي أدرج به قضايا فلسفة العلوم الإنسانية في الحضارة الغربية والعلوم الإنسانية.

الفصل الخامس: وهو الموسوم بالعلم في الحضارة الإسلامية، وقد ارتبطت مضامينه بمناقشة مسألة ارتباط العلم بالحضارة وتأرجحها بين التقدم والتخلف مع التأكيد على ضرورة مراعاة تحديات العصر.

ثانياً: العقل وأنواع المعارف:

يذكر الدكتور أحمد عروة أن من خاصية الإنسان أن الله حوله العقل وجعل فيه القدرة على الإدراك والتعلم والإبداع والتدبير⁽¹⁾، وهو المعنى نفسه الذي ورد في القرآن الكريم وفق منهج لغوي واحد ينصرف إلى القوة المتهيئة لقبول العلم⁽²⁾، ويحد الراغب يذكره بما يفيد أنه: "الإمساك أو الاستمساك كعقل البعير بالعقال... وقيل للحصن معقل وجمعه معقل"⁽³⁾. وتعريف الراغب يقترب من الاستعمال القرآني من حيث الاستمساك بالمعاني والمعارف.

ويرى عروة أن القدرة والاستعداد المهيأة لهذه المنكحة لاكتساب مختلف العلوم والمعارف، إنما مهما نمت وتوسعت إلا أنها تبقى نسبية ومحدودة لتعلقها أولاً ببنية المخ وتركيبه ونشاطه، وثانياً لأنها لا تنفذ إلى الغيبات وغير قادرة على الإحاطة بالنهايات إذ لا مجال لمقارنة علم الإنسان النسبي بعلم الله المطلق ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ (البقرة: 255). ذلك أن تلك القوة الإدراكية جعلها الله بالإنسان تكريماً وتفضيلاً وتكليفاً وتعبيراً في نفس الوقت عن مستويات ومجالات ودرجات نسبية لعلم الإنسان في حدوده ومجالاته النظرية والعلمية.

إن مجالات العلم في معناه المطلق الذي يشمل الكائنات كلها في واقعها ومصيرها لا يتسم أبداً بالاستقلالية عن الذات الإلهية من حيث تحركها بعلم الله وقدرته وحكمته⁽⁴⁾، مهما كان تفوقه وتوسعه في معرفة القوانين الكونية والإحاطة

¹ - أحمد عروة، العلم والدين مناهج ومفاهيم: ص 43.

² - الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، [مصر: القاهرة د. ط، المكتبة التوفيقية، د]، ص 43.

³ - المرجع نفسه، ص 345.

⁴ - أحمد عروة، الدين والعلم، ص 43.

لتكامل بين العلم والدين في فكر أحمد عروة من خلال كتابه العلم والدين ————— د. الزهرة نوح

بتسخير طاقاته وهو الأمر الذي يتفق فيه أحمد عروة مع سيد قطب في انتفاء
لاختراع والسعي الإنساني لبلوغ شيء من الغيبات⁽¹⁾.

أما تلك المجالات والمستويات فيوضحها أحمد عروة وفق الآتي:

- منها ما يتحلى لعقل الإنسان عن طريق الإحساس والإدراك والاستدلال العقلي.
- منها ما يتحلى لعقل الإنسان عن طريق الإلهام والوحي النبوي، من الأمور الغيبية
الكبرى كوجود الخالق وما يتعلق به صفاته الحسنى وأسمائه العلى وكذا البعث والجزاء.
- منها ما يكمن في المخلوقات بأنواعها كونية أو حيوانية مسيرا إياها في حركاتها
وروابطها وتنظيرها.

وهذا يعني أو يفيد أنّ العلم في معناه يتفرع وفق ثلاث مستويات يجمعها
أصل واحد هو علم الله عز وجل، وتختلف في الآن ذاته في المناهج⁽²⁾، وهذا ما
أوضحه أحمد عروة وفق الرسم البياني التالي الذي يبين من خلاله المعرفة ونوعية
السلوك الذي يقابلها:

¹ - سيد قطب، في ظلال القرآن، [دار الشروق دط: دت]، ج2، ص806

² - أحمد عروة، العلم والدين، ص43.

الوحي

نوعية السلوك

نوعية المعرفة

<p>النشاط الحيواني الغريزي الذي يميز كل ظواهر الحياة النباتية والحيوانية (مثل التغذية والنمو العضوي والتناسل).</p>	<p>المعرفة الغريزية النباتية (وهي معرفة لا شعورية تكمن في كل الكائنات الحية)</p>
<p>النشاط الحيواني الفطري الدافع الفطري (الطعام، الدفاع، التناسل) يستخدم معطيات الحس والإدراك البدائي</p>	<p>المعرفة المشتركة حسية وغريزية: يشعر الكائن الحي بالحاجة الغريزية ويتصل بها وعيا وعملا.</p>
<p>العمل الإرادي 5- استخدام الطاقات الطبيعية 6- تنظيم الحياة الاقتصادية والاجتماعية 7- تدبير السلوك طبقا لأهداف مقرر</p>	<p>المعرفة الإدراكية العاقلة 1- معرفة الكيفيات والقوانين الطبيعية 2- تقدير الأهداف والعواقب. 3- تطوير وسائل الإدراك والاتصال 4- اختراع الوسائل الآتية لتسخير الطاقات واستخدامها</p>
<p>8- تصديق الرسالة النبوية 9- الامتنان لتعاليمها الدينية والتشريعية والأخلاقية</p>	<p>الوحي النبوي يبين بالغب (البدائيات-النهائيات والغايات) ويعلم المنهج العملي لبلوغ تلك الغايات</p>
<p>10- العقائد المثالية تحاول تحقيق السعادة في التيم (الفاضلة (الحق-الجمال-الخير) 11- العقائد المادية تحاول تحقيق السعادة في تلبية الشهوات المادية والترفيهية</p>	<p>التطلع الفكري لمعرفة البدائيات والنهايات والغايات (الفلسفة وعلم ما فوق الطبيعة) إما أن تكون روحية تؤمن بالقيم المعنوية وإما أن تكون مادية لا تخرج عن المادة والزمان</p>

من خلال هذا التخطيط البياني يبين أحمد عروة أن ما تم عرضه من أنواع المعارف يشير إلى أنه ثمة نوع من المعارف هي كامنة في مخلوقات الله عز وجل، وهي المستنونة عن تسييرها بطريق الغريزة والإلهام سواء في الجماد أو النبات أو الحيوان والتي تتضمن نظام الكون وكل وظائف الحياة المشهود في الآفاق والأنفس المحاطة بقدرة

خالق عليهم: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخَرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَّاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (النور: 41).

وانطلاقاً من كلمة [كل] يعطي أحمد عروة مثال جسم الإنسان الذي ينطوي على هذا النوع من المعرفة بحيث ذاته العضوية تعبر عن منظومة حية متكاملة الوظائف مترابطة الأوصال يظهر هذا من خلال كل خلية، تلك المعجزة الكبرى أي معجزة التدبير والتنسيق بين أعضاء الجسم لخدمة الهدف الحياتي الذي سخرت له تعرف دورها من دون شعور أو إدراك، أحسن وأرقى من أي مخبر في العالم الحديث وهذا النوع من المعرفة يسميه أو يطلق عليه أحمد عروة في مؤلف آخر له بالإهام الرياني الذي يتر القلب أو الضمير (1).

إنّ هذا الهدف الحياتي تعرفه الأعضاء وتتجه صوبه من دون شعور أو إدراك فتحول لقمة الخبز إلى مركبات سكرية مماثلة لمزاج الجسم، وكذا تحويل الأغذية الخامة إلى مركبات عضوية متماثلة الاختصاص تقوم على صنع خلايا وجزئيات اللحم والدم والعظم والأعصاب، تماماً كما تدبر الوسائل الأمنية والدفاعية التي تحافظ وتحفظ الجسم من السموم وتعرف بوظيفتها ويأذن خالقها خلايا نظيفة تحمل في نواتجها دليلاً عملياً مكتوباً لبني إنساننا (2).

أما على مستوى المعرفة التي تحت نور العقل الإنساني إما مشاهدة وإما تحليلاً وإما تقلاً سمعياً فهنا نجد العقل يوظف إدراكه ليكتشف وجود الأشياء وكيفيةاتها والروابط القائمة بينها، مولداً علماً يتراكم في ذاكرة الإنسان والأمم، لتولد

1 - أحمد عروة، المنهجية الاستدلالية في القرآن الكريم. للرد على خصوم الإيمان، [القاهرة: ط1، قضايا المنهجية في العلوم الإسلامية والاجتماعية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1417هـ/1996م]، ص292.

2 - أحمد عروة، العلم والدين، ص45.

التكامل بين العلم والدين في فكر أحمد عروة من خلال كتابه العلم والدين ————— د. الزهرة لعلج

بأنواع العلوم التي تتميز بها الحضارات الإنسانية كالعلوم الطبيعية (الفيزياء، الكيمياء، البيولوجيا، الفلك) وعلوم تطبيقية (كالصناعة والهندسة)، وكذا العلوم الإنسانية (كالسياسة والتاريخ والفلسفة والاقتصاد والآداب)، هذا بالإضافة إلى العلوم التجريدية (كالمنطق والحساب).

ومنه يوضح الدكتور أحمد عروة أنّ وظيفة العلم على مستوى الإنسان وطبقا لغاياته الوجودية والتكليفية في المحاور الآتية:

- استكشاف العالم الطبيعي أي التعامل المباشر للإنسان مع الكيفيات والقوانين التي يسلكها صوب الحقيقة وفق بعدين:

أ- يعد يؤكد الصلة بين الخالق والمخلوق من خلال التدبر في آيات الكون والإعتبار حيث تتحول الآيات الكونية إلى مجال رحب للاعتبار من قدرته تعالى، ومضامين الجمال والجلال التي تعكس عبادة الفكر والقول والجوارح: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران: 191).

ب- أما البعد الآخر فهو البعد العملي، وينصرف إلى التعرف على أحوال الطبيعة وقوانينها وثرواتها وطاقاتها لاستخدامها في صالح الحياة الدنيا وتسخيرها للإنسان⁽¹⁾.

- استكشاف المقاصد والغايات في وجود العالم مما يبرز قيمة المعرفة تعقلية في فكر الدكتور أحمد عروة، وهي القيمة ذاتها التي أخذت نصيبها في التراث الثقافي الإسلامي، حيث نجد أنّ معظم كتب الكلام والفلسفة تستفتح أبوابها ببيان النظر والعلوم وأدوات المعرفة، ولذا نجد الغزالي لا يرى في الاعتقاد بهذه الملكة مشاحة لأنّ

¹ - أحمد عروة، العلم والدين، ص 36.

التكامل بين العلم والدين في فكر أحمد عروة من خلال كتابه العلم والدين ————— د. الزهرة لحبح

شرف العلم من شرف العقل، ذلك أنّ العقل هو متبع العلم وأساسه ووسيلة السعادة في الدنيا والآخرة⁽¹⁾.

—استكشاف المناهج والمقاييس العملية ليتطابق السلوك الأخلاقي مع مقاصد وأهداف الوجود الإنساني من خلال التأكيد على التمييز بين سلامة تلك الأهداف وتلاؤمها مع سنن الله في الكون، وكذا وضع القوانين والنظم على مستوى سلوك الإنسان الفردي والجماعي بالإضافة إلى التقيد بالمقاييس الأخلاقية⁽²⁾.

وهذا النوع من المعرفة العقلانية لا ينفصل تماما ولا ينسحب من ساحة الأسرار الغيبية ويسائلها بوسائل الرأي والقياس والتحليل الفلسفي أي الفلسفة، ذلك المنهج الذي يسلكه العقل للتطلع على أسرار الوجود فتنتقل من معطيات المشاهدة وتعتمد على وسائل العقل المنهجية، ولكنها بسبب تلك المنهجية نفسها يجدها تنف دون الغيب ودون الغايات ولذا نجد الفلسفة تحتل مكانة حرجة بين العلم الموضوعي والغيب اللاهوتي فتعرض للانتقاد من كلا الطرفين ومثاها الفلسفة المادية المعاصرة التي تعبر عنها الجدلية الماركسية، والتي تنطلق من مسلمة عقائدية ليس لها أساس علمي، فتتكر بذلك للدين وظيفته الفكرية والوجودية والأخلاقية لتتعلق داخل حيز الإلحاد، وتقيم صرحا اسمه الدين السلبي، الذي يعطي للمادة صفات الألوهية، فنجدها في ميدان الميتافيزيقا تنكر التأملات الماورائية مفضيه إلى جدلية مستقلة عن أي إرادة خارجية، أما في ميدان الظواهر الطبيعية فهي توزع أي نظام وظهور للحياة في العالم إلى تلك التفاعلات الجدلية الناتجة عن طبيعة المادة في ذاتها، أما في ميدان المعرفة نجد المادية تعتبر المنهجية العلمية هي وحدها الكفيلة باستكشاف قوانين

¹ - أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، [سوريا: دمشق، دط، مكتبة عبد الوكيل الدوري، دت]، ج1، ص73.

² - أحمد عروة، المرجع السابق، ص37.

التكامل بين العلم والدين في فكر أحمد عروة من خلال كتابه العلم والدين ————— د. الزهرة لعلح

الكون وتطوراته حيث تقف عند شاطئ الغيب متسلحة بالعقلانية، وهذا لأنها في تعرضها لعلوم الأشياء والحياة تستكشف القوانين التي تسيّر الكون بما نلاحظه من مكونات وجزئيات وتراكيب وتفاعلات، متكتمة تماما عن الأسباب والغايات ليرز فيها ذلك القصور في جانب موقفها العقلاني المعتمد على منهجية البحث العلمي، بما يفيد أن الإيديولوجية المادية ليست صادقة في ادعائها ومزاعمها المعتمدة على المعطيات العلمية والمنهجية الجدلية، بحكم عدم استقلالها عن المسبقات العقائدية والتخمينات الميتافيزيقية حتى في تعرضها للظواهر الطبيعية⁽¹⁾.

وهذا ما لا يمكن حصوله في المنظومة العقديّة الإسلامية للعلم لأنّ كلاهما يضيء جزءا من الحقيقة إلى أن تلتقي الأضواء في ضمير المؤمن كالتقاء الألوان السبعة في الطيف الشمسي وهذا ما يحملنا مباشرة إلى الحديث عن العنصر الموالى:

ثالثا: درء التعارض بين العلم والدين

وهنا سوف نتحدث عن المعرفة الدينية أو النوع الثالث من المعرفة أو ما تنزل بالوحي الكريم بأنباء لا يدركها الإنسان بأليات حسية أو عقلية والمقصود هنا الدين الذي لا يعني أبدا تلك المعتقدات الوثنية والخرافية وإنما ذلك الدين الحنيف الصادق المرسل مع أنبيائه والمخفوظ في الكتب السماوية، والذي يأتي كما يقول أحمد عروة بمفاهيم لتوجود والمصير وكل ما يتعلق بالوجود بما يخرج عن نطاق التحليلات الموضوعية والتأويلات النظرية لأنّ الدين قبل كل شيء تصديق لما جاء به الكتاب المنزل وثقة مطلقة بحامل الرسالة ومبلغها، في انسجام تام مع داعي الفطرة ومنطق العقل لتلبي بذلك تطلع النفس الإنسانية إلى اكتشاف الغيبات ومحاوله إستكناه الجاهيل البعيدة عن إدراكها، والتي يكتمل بها وجود الإنسان وكيانه وعقله ويطمئن

¹ - أحمد عروة، العلم والدين، ص 16-17.

التكامل بين العلم والدين في فكر أحمد عروة من خلال كتابه العلم والدين ————— د. الزهرة لعلج

به ضميره فيتحرر من ضيق المكان وقصر الزمان وحيرة الأذهان، هذا لأن المعرفة المبينة المولدة للإيمان تأتي بنوع من المعرفة العقلية الغير خاضعة لمقاييس المشاهدة والتحليل والاحتبار، ومنزلتها بالنسبة إلى العقل تماما مثل نسبة العقل إلى الفطرة الحيوانية، ثم بمضى الدكتور أحمد عروة قائلاً إن إصرار العقل على استعمال المقاييس الموضوعية والجدلية في الحكم على الغيبيات يولد نوعاً من الأحكام لا تتعلق إلا بعالم الدنيا وطبائع الإنسان، وتتلاءم مع الأخبار العقلية ومنها الخالق والملائكة والجنة والنار. وإنما تتليس بملابس البشر النفسانية والثقافية والحضارية لتعكس مطامحه ومتاعبه وتخوفاته وآماله⁽¹⁾.

ورأي الدكتور أحمد عروة هنا يتفق تماماً مع محمد عبده في تعدد إدراك العقل البشري لتلك المغيبات من حيث انقطاع النسبة بين الوجودين (الله عز وجل والعقل البشري)، واستحالة التركيب في ذاته ولذا يعدّ السعي لإدراك الغيبات عقلاً فقط تناول إلى ما لا تبليغه القوة البشرية ومن جهة أخرى فهو أيضاً يعد عبثاً ومهلكة يفضي إلى الخبط في الاعتقاد⁽²⁾، لقد جاء الإسلام ليكمل معرفة الإنسان بالغيب فمعرفة بوجوده تعالى والملائكة والرسل والكتب واليوم الآخر على الوجه الصحيح فهو القائل: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (الجن: 26). وكذا قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (النمل: 65). مما يفيد أنّ الإنسان لم يعط العلم الكامل لكونه فوق الطاقة الإنسانية.

ويذكر الدكتور أحمد عروة أنه على الرغم من قصور العلم أو العقل عن بلوغ الحقائق الإيمانية إلا أنه لا يظهر التناقض بين معطيات العلوم الطبيعية والعلوم الدينية إلا في حالتين سلبيتين:

¹ - المرجع نفسه ص 55-56.

² - محمد عبده، رسالة التوحيد، [مصر: ط 3، دار السلام، 2004م]، ص 29-30.

التكامل بين العلم والدين في فكر أحمد عروة من خلال كتابه العلم والدين ————— د. الزهرة لعلح

- الأولى وهي التي يخطيء فيها رجل العلم جهلا منه بحقيقة الدين.

- الثانية وهي الحالة التي يخطيء فيها رجل الدين جهلا منه بحقيقة العلم

وذلك ما يتلى به فكر الإنسان عبر التاريخ.

وبالنسبة للدين الإسلامي فإن الدكتور أحمد عروة يرى أن الإسلام في أصوله

يجمع بين منهجين غير قابلين للانفصال في وحدة أساسية تجمع بين طري منهج

العقل ومنهج الوحي كما تنطق بذلك الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ

الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر: 35).

وكذلك قوله: ﴿سَتُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعِنَ لَهُمْ

أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (فصلت: 53)⁽¹⁾.

ثم إن التعارض الذي يمكن أن يففر إلى الأذهان بين المنهج العقلي والمنهج

الإيماني هو في الحقيقة راجع إلى نظرة متباعدة لحقيقة واحدة ذلك أن النور الإلهي

الذي ينير ضمير الإنسان بنور الإيمان هو ذاته الذي يضيء العقل بنور المعرفة، ومن

ثم فالإيمان بالغيب لا ينقص تماما مما وصل إليه الإنسان من كل تلك الاكتشافات

الكونية بل هو يكمله بمعارف توضح له الكثير من المعارف التي لا يستطيع الإحاطة

بها ولأجل ذلك نجد القرآن الكريم يستعمل المقاييس والمناهج الاستدلالية في عرضه

للحقائق الإيمانية وأولها:

✓ البرهان اليقيني:

1- البرهان اليقيني القائم على الحس: ومثاله قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْرِيلِ

كَيْفَ خَلَقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ. وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ. وَإِلَى الْأَرْضِ

كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ (الغاشية: 17-18-19-20).

¹ - أحمد عروة، العلم والدين، ص 37.

2- البرهان اليقيني القائم على العلم: حيث يكتسب هذا الأخير بالبحث والاختيار والرياضة ومثاله قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ (الأنبياء: 30).

3- البرهان اليقيني القائم على العقل: أي المطابقة للمنطق السليم كقوله:

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (الأنبياء: 22).

4- وهو الاستدلال الذي لا يشك دون الحقيقة العلمية كالظن والوهم والانفعالات العاطفية أو الاستكبارية وهو مضمون الآيات الآتية:

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ (النجم: 23).

وقوله: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (النور: 111).

✓ وهو الاستدلال الذي يرفض الاعتماد فقط على الظواهر الخارقة لسنن

الله في الكون، وهذا يوضح تميز القرآن الكريم عن الرسائل السابقة، التي تم الاعتماد فيها على المعجزات لإقناع المشككين، كما كان ذلك بالنسبة لأنبياء الله عز وجل موسى وعيسى عليهما السلام:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ (الإسراء: 101).

﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. قَالُوا لَرُبُّدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتُنَا وَنَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (المائدة: 112-113).

ومنه نصل إلى أن العلم في الإسلام فضيلة ووسيلة خص الله بها الإنسان بإمكانية تحقيق إرادة الله في الإنسان كهدف بذاته، وفي الإنسان كمكلف بوظيفة كونية يقوم بها في الأرض، أما بالنسبة لقضية الإنسان كهدف بذاته فهذا يقوم على الاستعداد الروحاني لاستحقاق السعادة في عالم البقاء والجنان، وأما مسألة التكليف فننصرف إلى عمارة الأرض واستخلاف الإنسان فيها كأمين وخليفة تناط به مسؤولية

التكامل بين العلم والدين في فكر أحمد عروة من خلال كتابه العلم والدين ————— د. الزهرة نعلح

استحلافية عظيمة لا يستطيع تأديتها إلا بالعلم القائم على ثلاثة عناصر مترابطة وهي النظرة والعقل والوحي.

ولسنعلم بعدين: بعد دنيوي يربط بين الإنسان والكون الطبيعي، وبعد روحي يربط بين الإنسان والخائق وهما مترابطان بالشكل الذي يستعين أحدهما بالآخر لأن معرفة الإنسان للمخلوقات تعرفه بقدرة الله عز وجل وتفتح أمامه مجالات الحكمة والإبداع مثلما أن معرفة الله تعالى تعرف الإنسان بالأهداف والمقاصد الوجودية، أما معرفة الكون والتأمل في صفحاته الملحوظة تحلي صفاته تعالى التي كتبها صفات جلال وكمال مثل الأزلية والوحدانية والعلم والقدرة. ولذا أمر الله عز وجل بالتبصر في آيات الكون، ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْقُلُوبِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: 164).

ومن شواهد التكامل المنهجي والوظيفي بين العلم والدين، أن العلم يمثل أو يتف كعامل أساسي في ترقية الضمير الديني وتوسيع آفاقه الحسية والعقلية، لأنه يكشف عن عظمة الكون وعن سنة الله التي تسري في القوانين والطاقت لتسير عليها الكائنات بأنواعها الحية والجمادة، وفي الحين ذاته يقوم العلم بإعطاء الإنسان الوسائل الإدراكية والعملية لتسخير تلك القوانين والطاقت لمصلحته ومهمته الإستحلافية، كما أن العلم والدين يمكن لهما الالتقاء والتكامل من دون أن يكذب أحدهما الآخر، بل إنهما مصادر قوة لبعضهما حيث يقوم الإيمان بتغذية العلم بأبعاده العقائدية والأخلاقية حتى يربط القوانين بمعناها الأول وغاياتها الوجودية في حين يقوم العلم بإعطاء الإيمان مادته المحسوسة وبرهانه العقلي ذلك أن الإنسان المؤمن بكل الأخبار المنصوص عليها باختر النقل والنصوص القرآنية، يجد في العلم

التكامل بين العلم والدين في فكر أحمد عروة من خلال كتابه العلم والدين ————— د. الزهرة لحج

تأكيداً لإيمانه وتصديقاً لما بلغه من الكتاب وتوسيعاً لأفاقه الروحية لاعتقاده بحالقيه الله نكل ما تبصره عيناه وتحسه يده ويخبر عنه من مغيبات وأنه وحده من قدر قوانين ذلك الكون، فكلما ازداد علمه بتلك القوانين وتلك الحركات كلما ازداد إيمانه بالله، ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (فاطر: 28).

أما الإنسان الذي يرفض البعد الإيماني فسيضحى غير متجاوز لحدود الظواهر:

﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ (الروم: 7).

ومهما جد وتعمق في تتبع الجزئيات العقلية وتبحر في أنواع العلوم فإنه سيظل جاهلاً بأهم جوانب وجوده وغايات وظائفه وهو الجانب الروحي أو ما هو خارج عن علمه قال تعالى: ﴿ وَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء: 85)⁽¹⁾.

ومفاد الآية أن الإنسان لا يمكن له أن يجوز على العلم الكامل لأنه يجوز على سمة النسبية التي تعني أن الإنسان مهما بلغ في المهارة الصناعية والتكنولوجية فستظل قدرته محدودة بالقدر الذي يملك من معرفة علمية تمكنه من تسخير الكون وتطويره لإرادته ونفعه وتمثل تلك القدرة في سلطان العلم الإدراكي والعملية المحول له من الله كما يتمثل في انقياد الطاقة الكونية المسخرة له، وهذا ما تفيدته الآية الآتية: ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴾ (الرحمن: 33).

ومن معاني نسبية العلم القدرة الإنسانية أنها ليست قدرته الذاتية، وإنما هي القدرة التي جعلها الله فيه بأمره وجوده كما في قوله تعالى: ﴿ وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴾ (يس: 41-42).

¹ - أحمد عروة، العلم والدين، ص 99-100.

فهنا الفلك أو الصنعة البشرية لم يكن ليتحقق إلا بإلهام من الله عز وجل وسلطان منه وهو المعنى ذاته وقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾ (الأنبياء: 870). بالإضافة إلى أن هذه النسبية والقدرة تعني أن قدرة الإنسان على صنع الآلات وتحويل الطاقات واستخدامها لا تغير القوانين التي جعلها الله في الكون وإنما تبدلها بقدر ما سخرها الله له عز وجل: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ أَنَّهُمْ أَنشَأْنَاهَا شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ﴾ (الواقعة: 71-72) ⁽¹⁾.

ثم إن هذه النسبية لا تنقص أبدا من قيمة العلم وفضيلة العقل اللذين هما سمة أساسية للكائن البشري المستخلف على الأرض، بل الذي من شأنه أن يسمه بالعجز ويشينه هو أن يجهد هذا العقل عن مسار الحق ويتوغل في متاهات الظنون، لأن الإيمان هو تلك الأداة الضميرية كما يعبر عنها أحمد عروة التي من شأنها الربط بين العالم المشهود أو الحقائق المشهودة والحقائق الغيبية ليربطها بالأصول والغايات، لأن الإيمان يعمل على إدخال الإنسان في عملية تحول نفساني روحي، تلعب فيه الفطرة والعقل دورا استعداديا بشرط اللقاء بين دافع التطلع الإيماني والهداية: ﴿بَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ (الانشقاق: 6). لأن الإيمان يعبر عن جهد عملي وذمهي يؤديه الإنسان بإخلاص والتزام ليصل إلى الإهداء وفق أصول الاعتقاد برضا وقناعة:

﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ (مريم: 76).

وهذه الهداية بدورها تقوم على ثلاث قواعد مترابطة ومتكاملة:

- 1- الفطرة الاستعدادية التي تدفع الإنسان إلى دين الله ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (الروم: 30).

¹ - المرجع نفسه، ص 101.

التكامل بين العلم والدين في فكر أحمد عروة من خلال كتابه العلم والدين ————— د. الزهرة نحلح

2- الملكة العقلية التي تستكشف مناهج الحقيقة في الكون وتستدل بها، ولكن الاستعداد الفطري والاستنباط العقلي لا يؤديان إلى الإيمان بالله إلا تصورا واستقراء وهذا بدوره يحتاج إلى العنصر الثالث وهو:

3- الهداية ومصدرها السمع أي طريق الوحي: ﴿هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ (البقرة: 185).

وبهذا يعني أنه ليس من الصواب في شيء اعتقاد تعارض الدين والإيمان مع العلم في سعيه نحو معرفة الكون وقوانينه والتمتع بطيبات الأرض، لأنه أصلا مسخر له فيستجمع بذلك الإيمان والعمل ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (البقرة: 25).

خاتمة:

في خلاصة عرضنا لمسألة العلاقة بين الدين والعلم في فكر الدكتور أحمد عروة نصل إلى فكرة جوهرية تحملها صفحات الكتاب، وهي أن العقل الإنساني ليس بإمكانه الوصول إلى الحقيقة إلا بنور الإيمان والعلم والأخلاق على مستوى سلوكه وضميره، لأنه بالإيمان أو المعارف الدينية يتجاوز واقع معارفه الكونية إلى اليقين بالغيبيات، وبالعلم يتجاوز القوانين التي تسير في نظامها الكائنات الجامدة والحية، وبذلك فهي تمتد إلى معرفة الأصول والغايات والنهايات في ظل الأخلاق التي تجمع بين خلافة الأرض والسعادة المنشودة من طرف الجميع وفي تكامل شديد بين البعد الدنيوي والروحي.

قائمة المراجع:

- أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، [سوريا: دمشق، دط، مكتبة عبد الوكيل الدوري، دت]، ج 1.
- أحمد عروة، العلم والدين مناهج ومفاهيم، [دار الفكر: دمشق: سوريا، ط1، 1407هـ-1987م].
- أحمد عروة، المنهجية الاستدلالية في القرآن الكريم. للرد على خصوم الإيمان، [القاهرة: ط1، قضايا المنهجية في العلوم الإسلامية والاجتماعية، المعهد العالمي لفكر الإسلام، 1417هـ/1996م].
- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، [مصر: القاهرة دط، المكتبة التوفيقية، دت].
- سيد قطب، في ظلال القرآن، [دار الشروق دط، دت]، ج2.
- محمد عبده، رسالة التوحيد، [مصر: ط3، دار السلام، 2004م].
- <http://www.shamela-dz.com>

شروط إحياء الإسلام عند الدكتور

أحمد عروة من خلال كتابه:

" الإسلام في مفترق الطرق "

أ. لخضر بوضبة

جامعة سطيف 2

مقدمة:

عرفت الجزائر خلال القرن الماضي ظهور مفكرين أسهموا بإنتاجاتهم الفكرية في تطوير الفكر الإسلامي، نافسوا في ذلك الكتاب والمفكرين العرب، ويأتي في مقدمتهم الفيلسوف والمفكر الإسلامي مالك بن نبي الذي انطلق فكره منذ نهاية الأربعينيات إلى غاية بداية السبعينيات، وقد كانت أعماله مثل "الظاهرة القرآنية" و"وجهة العالم الإسلامي" و"مشكلة الأفكار" الانطلاقة الحقيقية للفكر الإسلامي في الجزائر، دفعت بالفكر الفلسفي الإسلامي إلى الأمام، وتركت بصماته في هذا الفكر الذي كان يدافع عن المنظومة الإسلامية كمنهج وأسلوب للحياة العامة، ودافع عن الإيديولوجيا الإسلامية التي سخرت لها القوى الامبريالية ومعها الصهيونية كافة الوسائل لتلصق بها الفشل والإنخفاقات العربية والإسلامية على مدى قرون من الزمن.

وإلى جانب مالك بن نبي، كانت هناك توجهات مختلفة عملت على بلورة مثل هذا الفكر، وتمثلت هذه التوجهات في كتابات متناثرة نشرت في مجلات جزائرية اختفت من المشهد الثقافي والإعلامي في الوقت الحالي، مثل مجلات "القبس" و"القيم الإسلامية" بالعربية والفرنسية و"الأصالة" التي كانت تشرف عليها وزارة الأوقاف والشؤون الدينية.

وهناك مفكر وعالم يبدو أنه سار على خطى مالك بن نبي في فكره الداعي إلى النهضة الإسلامية وهو المفكر والطبيب الدكتور أحمد عروة، الذي لم يحظ بما يستحقه من تقدير واحترام ودراسة، فإلى جانب مساهمته في المشهد الأدبي بأعماله الشعرية والقصصية، ساهم بأعماله المتميزة في إثراء وتجديد الفكر الإسلامي في الجزائر، خاصة في كتابه "الإسلام في مفترق" الذي ترجم إلى العربية ونشر في بيروت، وفي الجزائر، و"الإسلام والعلم" و"ما الإسلام؟" و"الإسلام والديمقراطية" وغيرها من الأعمال التي تدل على أن الرجل كان يحمل مشروعا إسلاميا ضخما أعتقد أنه حان الوقت للعودة إليه والاستفادة منه في مواجهة التحديات التي واجهها الإسلام في وقتنا الراهن.

لقد كان الدكتور أحمد عروة إلى جانب وظيفته الأصلية كطبيب من الناشطين في الدفاع عن إسلام تنويري، متأصل، حدائثي ومرتبط بالعصر، ولم يكن يتقن مثل هذه الأفكار إلى النخبة؛ بل كان يمتلك تلك القدرة الخارقة في التوجه بهذه الأفكار المجددة وبشكل بيداغوجي إلى شريحة واسعة من الجمهور، وذلك من خلال مداخلاته عبر التلفزيون، والندوات العلمية والجاهزية التي كان ينشط من خلالها لتبليغ فكره المستنير.

إن تكريم الدكتور أحمد عروة بتخصيصه بكتاب تخرج اندفاعة 2015/2014 هو في الحقيقة تكريم لعلم والمفكر، كما يعتبر اعتراف بالجهود والتضحيات التي بذها هذا المفكر الكبير في سبيل خدمة الدين الإسلامي والمفكر معاً، وفي سبيل إخراج الأمة الإسلامية العربية من تخلفها وهي خير أمة أخرجت للناس؛ فالشكر موصول للقائمين على شؤون هذه الجامعة التي عودتنا على العناية والاهتمام بالعلماء وأصحاب القلم بالتكريم والتقدير. وعلى أية حال مهما قيل

وكتب عن الدكتور المفكر لا يمكن أن نوفه حقه في نضاله بقلمه ولسانه في سبيل تنوير العقول وخدمة القضية الإسلامية.

التعريف بالدكتور أحمد عروة :

هو طبيب، كاتب، باحث، وشاعر، ولد بقرية أمدوكال بباتنة سنة 1926 ناضل قبل الثورة وأثناءها في عدة منظمات وطنية، وبعد استرجاع السيادة الوطنية تقلد عدة مناصب، كان آخرها تعيينه عميدا لجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة سنة 1989م، حتى وافته المنية يوم الخميس 27 فيفري 1992، وترك عدة مؤلفات كلها باللغة الفرنسية: تتسم كتاباته بالعقلانية والأصالة والتفتح والنزعة العلمية الجادة.

له كتاب الإسلام في مفترق الطرق، الذي ترجم إلى اثنتين وعشرين لغة، وبلغت مؤلفاته الطبية والأدبية أكثر من اثني عشرة كتابا بالإضافة إلى العديد من البحوث الإسلامية.¹

شروط إحياء الإسلام:

يقصد بمصطلح إحياء الإسلام هو إحياء التفكير بشأن الدين، وغسل الأدمغة من الشبهات والانحرافات المتراكمة منذ قرون، فالإحياء معنى إزالة ما علق بالدين من تشويهات وتحريفات اتخذت عبر الزمن صفة دينية، وتقديم الدين بشكل يواكب متطلبات العصر، كما يقصد به كذلك. بعث الروح فيه وجعل أهدافه ومراميه تكمن في تحقيق سعادة جميع البشر ورفاهيتهم، ويقصد به كذلك إخراج الأمة الإسلامية من التخلف الذي تعيشه في الوقت الحاضر، والذي هو الأساس يرجع إلى المفهم الخاطيء لتعاليم الإسلام ويتجلى ذلك في (التخلف على جميع

الأصعدة والتطاحن والتناحر والاختلاف والتنازع، الحروب والمجاعات وسيادة أنظمة رجعية استبدادية...)، ولا يكون إحياء هذا الدين إلى بمعرفته وفهمه فهما صحيحا وسليما. ولا يكون ذلك ممكنا إلا بإعمال العقل.

يرى الدكتور أحمد عروة أنه لتحقيق النهضة الإسلامية لا بد من إحياء الإسلام الذي أصبح مطلب جميع المسلمين وصار مطلب المستقبل كذلك، وتجديد الفكر الإسلامي أولا، وذلك يكون بالانتقال من ميدان الأفكار إلى ميدان العمل لتحسيد هذه الأفكار، وهو يعترف أن الطريق محفوف بالمخاطر والمبتغى لا يمكن التنبؤ به، ويقول نحن هنا لا نريد أن نحدد المراحل التاريخية ولا أن نضع خطط العمل بقدر ما نريد أن نحاول أن نكتشف الوقائع وتناقضاتها، ما يمكنه أن يوضح لنا وحدة التطور ومعناه، وذلك من أجل أن نستبعد المسالك المسندودة ونطرح إغراء الحلول المضادة للطبيعة.

"لا يمكن أن نخطو على طريق التجديد ما لم تكن لنا معرفة كافية بمواردنا ووسائلنا وأهدافنا"¹، وهذا يعني أن نقدر أن عمل كهذا يتطلب ضخامة العمل التقني والسياسي والعقلي، يجب أن يساهم في الجميع، فالمشروع لا يمكن أن يقوم به فرد أو دولة، بل يجب أن تتظافر جهود جميع الدول الإسلامية، وقبل ذلك يجب أن يكون هناك تقارب سياسي ووحدة إيديولوجية، إذ يستحيل الإقدام على هكذا مشروع ضخيم، ولا التطلع إلى مستقبل مشترك في جو مليء بالخلافات والصراعات بين الدول الإسلامية، من أجل وضع لمناهج للمشروع في العمل.

¹ - أحمد عروة: كتاب الإسلام في مفترق الطرق، ص 157.

ويقول الدكتور عروة أنه إذا: سلمنا بأننا لا يمكن إحداث التطور خارج الخصائص القومية وأننا لا يمكن أن تفرض ثورات أو اقتصاديات أو نظماً سياسية نموذجية؛ ولكن لا نغفل في الوقت نفسه أنه كلما كان ثمة تقارب في الخطوط العريضة كلما ساهم ذلك في تقريب الاتساق والتوازن والإثراء المتبادل للأفكار الأصيلة لكل شعب، وذلك من خلال المشاورات واللقاءات والحوارات البناءة المناقشة للأفكار المنتجة.

ويحث على لزوم تجنب المشاريع والتجارب ذات الطابع القومي أو الالتزام السياسي المرحلي، لأنها من الممكن أن لا تقبل من طرف الدول الأخرى، وإن حدث ذلك فإنه حتما سيؤدي إلى تزييف أصالة أي عمل نظري وسلامته. "ففي إبان ذلك، نرى الإسلام الذي استيقظ وهو أعظم كثيراً مما كان في نومه، يواصل نشره في بلاد إفريقيا الراسعة وفي بلاد آسيا، وحتى في بلاد الغرب.

ويأخذ بسبب عدم التجانس المذهبي ألوانا محلية بعيدة عن المنابع بعد جعل إنسان يتردد في إطلاق اسم المسلمين على بعض الجماعات في بورنيو أو في نيجيريا أو في هارليم¹.

والنتيجة التي يريد الوصول إليها من خلال حديثه السابق عن مشروع إحياء الإسلام وتحديد فكره، هي أنه يرى ضرورة قيام هيئة دولية تكون مهمتها البحث والتنسيق، وتستند أهميتها ودورها من مدى فعاليتها وهيبتها، على أن لا تعلق سلطتها على السلطات القومية لأن هذه السلطات ستقاومها وترفضها، وإنما

1- أحمد عروة: المرجع نفسه، ص 158.

هارلم Harlem (نيويورك)، هو أحد الأحياء في مدينة نيويورك يقع في قسم مانهاتن، عرف منذ وقت طويل بأنه مركزاً ثقافياً للأمريكيين من أصل أفريقي وأنه مركز تجاري. وعلى الرغم من أنه ارتبط على مر القرن العشرين بالحرسة والفقير؛ إلا أنه يشهد حالياً تنمية اجتماعية واقتصادية.

دورها في الإعداد للمراحل الكبرى التي من شأنها أن تؤدي إلى التوحيد الإيديولوجي للعالم الإسلامي.

وينبه الدكتور عروة إلى مسألة غاية في الأهمية، وهي أن المراحل التي نكتب عنها لا يمكن أن تحدّد في الزمان، وأنها تتطلب تكاتف جهود الجميع: مؤرخين، مفكرين اقتصاديين ورجال السياسة، كل في مجال اختصاصه، ووضع من أجل تحقيق ذلك مجموعة من المتطلبات يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

علينا أولاً: أن نعمل ونستحث عملية البعث ويعني ذلك أن نستكشف معنى الإسلام من حيث هو المرحلة الأولى في التطور الديني للإنسانية، وكذلك بإضافة اللثام عن ماضي تاريخ الإسلام السياسي وحضارته وفكره الفلسفي، بما فيه الدور الذي لعبه في تهمّة أوروبا.

ثانياً: المطلوب تعويض الوقت الضائع سريعاً وذلك بالتعجيل بعملية هضم المعارف والعلوم والتقنية الحديثة، مع التعجيل بالاستغلال الرشيد للإمكانيات المادية والبشرية المتوفرة.

وأخيراً المطلوب أن نحقق انطلاقة حقيقية أخلاقية وروحية زاخرة، وذلك باستغلال التراث الإسلامي الثري، والتجربة الإنسانية الحالية، كل ذلك يكون في وثبة إلى الأمام تجمع بين ازدهار فكر ديني وتقدم تقني من أجل سعادة ورفاهية إنسانية، يهيئ لإنسان عصر الفضاء معنى سامي لحياته.¹

وضع الدكتور أحمد عروة شروط القيام بالنهضة الإسلامية وهي:

¹ - أحمد عروة: المرجع نفسه، ص 158-159.

1- بعث التاريخ أو إعادة استكشافه:

يقول بهذا الصدد: "يجب أن لا تقع في عقدة نفسية تتشع وشاح العصرية الزائفة، تجعلنا ننكر الماضي"¹.

في بداية الأمر يعترف الدكتور أحمد عروة بفضل الغرب في اكتشاف الآثار لعربية والإسلامية، وبجهودهم التي فاقت جهود أصحابها من العرب المسلمين فيقول: "إننا مدينون لهم (للغرب) بهذا الفضل كما كانوا هم مدينين للعرب بفضلهم في كشف الغطاء عن الآثار الهلينية النفيسة"².

ويدعو الدكتور أحمد عروة إلى قراءة التاريخ ودراسته بواقعية وبحس نقدي، فلا ينبغي النظر للأحداث التاريخية بقدرسية، غير قابلة للمناقشة والجدل، ولا ينبغي كذلك تجاوز بعض الأحداث التي يمكن اعتبارها سلبية، حيث يقول في هذا السياق: "ومهما يكن من أمر، فليسا قصدنا أن نزهو بمجد تالد مهما تكن عظمتها، بل أن نعتبره أساسا يرتكز عليه المفهوم الفلسفي للمستقبل، بكل ما يتطلبه ذلك من واقعية ومن حس نقدي، لكي نستخلص دروسا نافعة، سواء من الانتصارات والأحجاد، أم من الهزائم والأخطاء."³

ويعتقد الدكتور أحمد عروة أن بعث تاريخ الأمة لا يكون إلا إذا كانت للشعوب الإسلامية بوجه عام والشباب المسلم على وجه التحديد ملما إلماما شاملا بوجه الحضارة الإسلامية وجوانبها المختلفة.

¹ - أحمد عروة: الإسلام في مفترق الطرق، ترجمة، عثمان أمين، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،

الجزائر، 1981: ص 160.

² - أحمد عروة: المرجع نفسه، ص 161.

³ - أحمد عروة: المرجع نفسه، ص 160.

كما يعتبر أن معرفة الماضي تنري للمستقبل، ويشير إلى الدور الذي أصبح علم الآثار مثلاً يحتله بين مختلف العلوم، ويضرب لنا مثلاً في القرآن الكريم إذ يجتنبنا الله تعالى على النظر في الأمم والشعوب الغابرة ونستخلص من تجاربهم الدروس والعبر يقول تعالى: "قل سبروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين"¹.

ويرتكز استكشاف التاريخ حسب الدكتور عروة على امتدادين:

الأول قائمة تاريخية وتعتمد على إعادة بناء حقيقي للتاريخ الإسلامي في

المجال السياسي والاجتماعي والعلمي والثقافي.

وهو يتفق تماماً مع المفكر الإسلامي مالك بن نبي² الذي يقول: "أن

الإنسان الأوروبي يعتقد على وجه الخصوص أن التاريخ والحضارة يتبدآن في أثينا، ويمران على روما، ثم مختلفين؛ فجأة من الوجود لمدة ألف سنة، ثم يظهران من جديد

¹ - سورة الروم الآية 42.

² - مالك بن نبي ولد عام 1323 هـ / 1905 م من أعلام الفكر الإسلامي العربي في القرن العشرين، يعد أحد رواد النهضة الفكرية الإسلامية في القرن العشرين^[1] ويُمكن اعتباره امتداداً لابن خلدون، ويعد من أكثر المفكرين المعاصرين الذين تبهوا إلى ضرورة العناية بمشكلات الحضارة 1393، كانت جهود مالك بن نبي في بناء الفكر الإسلامي الحديث وفي دراسة المشكلات الحضارية عموماً متميزة، سواء من حيث المواضيع التي تناولها أو من حيث المناهج التي اعتمدها في ذلك، وكان بن نبي أول باحث يُحاول أن يُحدّد أبعاد المشكلة، ويحدد العناصر الأساسية في الإصلاح، ويعد في البحث عن العوارض، وكان كذلك أول من أودع منهجاً مُحدّداً في بحث مشكلة المسلمين على أساس من علم النفس والاجتماع توفي سنة 1393 هـ / 1973 م، تاركاً رصيذاً هائلاً من الأعمال نذكر منها: بين الرشاء والنيه، تأملات، شروط النهضة، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، الظاهرة القرآنية الفكرة الإفريقية الآسيوية 1956، فكرة كومونولث إسلامي 1958، في مهبط المعركة، مذكرات شاهد للقرن _الطفل، مذكرات شاهد للقرن، الطالب المسلم في عالم الاقتصاد، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مشكلة الثقافة، وجهة العالم الإسلامي 1954. الإسلام والديمقراطية 1968.

من خلال كتابه "الإسلام في مفترق الطرق" أ. لخصر بوطبة

بباريس في حركة النهضة... أما قبل أنينا فليس شيء يذكر في ذهن الفرد المشحون بالكبرياء... الذي لا يرى بين أرسطو¹ وديكارت² إلا الفراغ³.

ويرى الشيخ محمد الغزالي في حديثه عن دراسة التاريخ والعناية به كماضي تستلهم منه الأمة الإسلامية التجارب والخبرات في مختلف المجالات حيث يقول: "إن دراسة التاريخ ليست نافلة يتطوع بأدائها من يشاء، إنها ضرورة دينية واجتماعية تقوم بها الأمم الحية"، ويضرب لنا مثالا عن دور التاريخ في حياة الأفراد والأمم فيقول: "ولو أن مؤسسة تجارية تغافلت عن حساب الأرباح والخسائر، وارتحلت أعمالها ذاهلة عن ماضيها وتجارتها لأغفلت أبوابه على عجل، وانسحبت من الأسواق لتكون ذكرى"⁴.

والثاني قائمة روحية تعتمد على ما دل عليه الإسلام من أخلاق، وهو عمل يرتكز أساسا على معرفة القرآن والسنة معرفة حقيقية، والجانب الثاني يكمن في معرفة وفهم التطور الذي حصل في الفكر الفلسفي الإسلامي إلى يومنا هذا، بحيث يسمح هذا الفهم بوضع مناهج وبرامج عقلانية ومنطقية للانطلاق في تحضة حقيقية

¹ - هو فيلسوف يوناني، وهو تلميذ أفلاطون، لقب بالمعلم الكبير نظرا لعظائه الفلسفي والعلمي الكبير، لقيت أعماله العناية والاهتمام من الباحثين والدارسين، في الفكر لشرقي، ويعد الفيلسوف العربي المسلم ابن رشد من أهم ممن اهتموا بشرح مؤلفاته.

² - روني ديكارت، 1596-1650م، فيلسوف وعالم رياضي فرنسي، واضع أسس الهندسة التحليلية، معتمدا على فلسفة الشك المنهجي ويعرف بنظرية أنا أفكر إذن أنا موجود، تأثر به كثير من فلاسفة أوروبا في العصر الحديث ولذلك يلقب بأبي الفلسفة الحديثة.

³ - مالك بن نبي: في مهب المعركة، دار الفكر، دمشق، 1981، ص 43-44.

⁴ - محمد الغزالي: المحاور الخمسة للقرآن الكريم، دار السلام للنشر والتوزيع، 136.

شاملة تحقق الازدهار والرفق للمجتمعات الإسلامية، وتخلصها مما هي فيه من تخلف وواقع بائس ومزري.

ومن أجل الخروج من اسكولائية¹ العصور الوسطى ينبغي إعداد موسوعة حديثة وإسلامية أصيلة، على أن توضع في صورتين متكاملتين، صورة شعبية تحاول تبسيط مبادئ الإسلام للجماهير الشعبية الواسعة من خلال نشر الكتب الكلاسيكية، والمطبوعات لدورية والمحاضرات، والدروس للمبتدئين، لتعليم الجماهير الواسعة الجاهلة لثقافتها ولتعليم من غير المسلمين المهتمين بالشأن الإسلامي.²

والصورة الثانية هي صورة مفتوحة لمختصين المثقفين والباحثين العلميين، لا تحتم فقط بتعميق جوانب خاصة من معرفة الإسلام معرفة عقلانية قائمة أساسا على العلم والعقل والمنطق، بل تعمل كذلك على إثرائه بصفة مستمرة ومواكبة التطورات الحاصلة على جميع المستويات في العالم الحالي، حتى لا يبقى الدين الإسلامي حبيس الماضي ولا يستجيب لمتطلبات الناس العصرية.³

وحيث تتوفر لدى الجماهير الشعبية ثقافة إسلامية شاملة الجوانب التاريخية والأخلاقية والفلسفية، يتوفر لديها حينها وعي كامل برسالتها الحضارية التي تجعلها

¹ - هي الفلسفة المسيحية بأوروبا إبان العصور الوسطى، ومن أعلامها القديس أوغسطين. وفي القرن التاسع اصطبغت بالصيغة الأفلاطونية والأفلاطونية الجديدة، ومن مشكلاتها طبيعة المعاني الكلية: أي شيء هي؟ فقال الواقعيون إنها صور عقلية قائمة بذاتها في عالم مستقل عن عالم الأشياء الجزئية. وقال الإسميون إنها منبثة في الأشياء الجزئية نفسها، كما اختلف على مكانة العقل ومكانة الإيمان. وفي القرن 13 م عرفت أوروبا فلسفة أرسطو عن طريق العرب، فنهضت الاسكولائية وألقت بين الاتجاه الأرسطي العقلي وبين الفكر المسيحي الديني. ولما ظهرت العلوم الطبيعية في عصر النهضة، انتهت الاسكولائية وبدأت الفلسفة الحديثة.

² - أحمد عروة: المرجع نفسه، ص 163.

³ - أحمد عروة: المرجع نفسه، ص 164.

ترتقي إلى مستويات عليا تستجيب لمستوى المسؤولية الملقاة على عاتقها باعتبارها حاملة لرسالة نبيلة إنسانية وحضارية راقية.

2- التجديد: الإسلام يسير على سنن الغرب:

تميز الشعوب الإسلامية حسب الدكتور عروبة باتساع هوة التقدم مع الشعوب العالم الحديث، حيث تفتحت الشعوب الإسلامية على تحلفها في شتى المجالات، وقد عمقت السيطرة الأجنبية تلك الهوة، خاضت الشعوب المستعمرة صراعات ضد القوى الاستعمارية قصد التحرر من قبضتها، واختلف صراعها وتشكل في صور عديدة كللت بزوال الاستعمار، لكن ما كان ينتظر هذه الشعوب كان أعمق وأعقد فلا بد من مواجهة تحلفها، وكذا تبعية البعض منها اقتصاديا وسياسيا وحضاريا.

ولئن تمكنت الشعوب الإسلامية من قهر الاستعمار بشق الوسائل حسب الظروف التي عرفتها ووفق التطلعات القومية، والنتيجة الأهم التي تم تحقيقها هي زعزعة ذلك الكيان الاستعماري المتغطرس المتعالي.

هذا الاستعمار الذي دمر وخرب البنى التحتية والفوقية، وربط مصير الشعوب التي كانت ترزح تحت سيطرته بعد استقلالها الشكلي والصورى في واقع الأمر، فلا يزال يتحكم في رقاب ومصائر هذه الشعوب، حيث استطاع واجتهد في إيجاد منافذ ليبقي بواسطتها هيمنته وسيطرته على خيراتنا الباطنية وعلى فكرها، ذلك أن الاستعمار خرج من الباب وعاد من النافذة، لقد خرج بحسده وترك روحه تنخر كيان مستعمراته السابقة¹، وكان تركيزه في هذه المرحلة على الهيمنة على اقتصاد هذه

¹ - شايغ عكاشة: الحضارة العربية الإسلامية بين التطور والتخلف، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص 130-131.

الشعوب والحرص على إبقائها تابعة مستهلكة مستوردة لا منتجة، كما كان تركيزه كذلك على الميدان الثقافي في غزو ثقافي رهيب المهدف منه إذابة الشخصية الوطنية وإحلال شخصية غريبة مكانها، وفي أسلوب خبيث وباستعمال وسائل وأساليب غاية في التطور والذكاء والدهاء إلى درجة تجعل هذه الشعوب تتجمل من ماضيها ومن تاريخها الذي تعرض بطبيعة الحال إلى المسخ والتشويه والتدليس والتزوير، فتصبح لهذه الشعوب بعد ذلك لها قابلية للاستعمار¹، كما يقول المفكر والفيلسوف مالك بن نبي.²

ويرى الدكتور عروة أن مرحلة ما بعد الاستقلال (ما بعد الثورة)، حيث تمكنت الشعوب الإسلامية من تحقيق استقلالها، يرى أنها مرحلة في غاية الصعوبة والخطورة، وتتطلب من هذه الشعوب أن تكون أكثر يقظة وأن تتحلى بالنظرة الواقعية للأمور في محاولة للمعالجة، وتتحدى بشجاعة كبيرة لا تقل عن تلك الشجاعة التي اكتسبتها في صراعها وكفاحها المرير ضد الاستعمار الغاشم، كما يرى أن الأمر يتطلب كذلك من هذه الشعوب أن تواصل كفاحها بروح تضحية قوية وعاطفة الوحدة كما أنها لا زالت في مرحلة الكفاح التحرري، فيفضل هذه الخصال وهذه الشروط تمكنت هذه الشعوب من الانتصار والتغلب على الاستعمار على الرغم من

¹ - حول فكرة القابلية للاستعمار يقول مالك بن نبي: "فكون المسلم غير حائر جميع الوسائل التي يريدها لتمية شخصيته، وتحقيق مواهبه، ذلك هو الاستعمار. وأما ألا يفكر المسلم في استخدام ما تحت يده من وسائل استخداماً مؤثراً، وفي بذل أقصى الجهد ليرفع من مستوى حياته، حتى بالوسائل العارضة، وأما ألا يستخلم عقله في هذه السبل، فيستسلم لخطة إفقاره وتحويله كما مهملاً: يكفل نجاح الفية الاستعمارية ذلك هي القابلية للاستعمار". أنظر مالك بن نبي: شروط النهضة. ترجمة عبد الصبور شاهين وعمر كامل مسقاوي، دار الفكر، دمشق، 1979.

² - مالك بن نبي: المرجع نفسه.

الفارق الكبير في الإمكانيات المادية والمعنوية، لكن كما يقال إرادة الشعوب لا تقهر، وأن عدالة قضيتهم جعلتهم ينتصرون على عدوهم، ويعلل الدكتور عروة ضرورة تمسك هذه الشعوب بالمتطلبات التي ذكرها سلفنا، بأن قوى كثيرة تترص بما لتستولي إيديولوجيا على الحركات الثورية التي تقلب التاريخ دوما.¹

وكان الدكتور عروة من المفكرين الذين تصدوا لظاهرة الغزو الثقافي الذي عرفته الجزائر وسائر البلاد الإسلامية التي خرجت من العهد الاستعماري، وكان تدعو للتمسك بالثوابت والأخلاق الإسلامية التي بدونها لن تستطيع الأمة الصمود في وجه هذا الغزو الذي يملك من المؤثرات ما يجعل منه قوة حقيقية تهدد الكيان العربي الإسلامي. وعن الغزو الثقافي² الذي طال شباب الأمة خلال فترة ما بعد الاستقلال والذي لا يزال قائم إلى اليوم يقول المفكر أنور الجندى³: "طال أمد الغزو الاستعماري في العالم العربي الإسلامي، ووقعت شذذات من الشباب المدارس في جامعات الغرب وإرسالياته، في كمان الاستعمار الثقافية والفكرية، فوافقوه على محاولاته التخريبية ضد الإسلام وحسبوا، أن الحلول لمشكلات لعالم العربي

¹ - أحمد عروة: المرجع السابق، ص 166.

² - لمعلومات أكثر عن موضوع الغزو الثقافي راجع: أنور الجندى: إطار إسلامي للفكر المعاصر، طبعة المكتب الإسلامي الأولي 1400هـ / 1980م - موسوعة القرن الخامس عشر الهجري 11 كتاب رقم 13، ص 36.

راجع كذلك، محمد الغزالي: الغزو الثقافي يمتد في فراغنا. أنظر كذلك، منصور عبد العزيز الخريجي: الغزو الثقافي ماضيه وحاضره،

³ - أنور الجندى مفكر إسلامي وأديب مصري، 1917- 2002 م، وهو أحد أعلام الفكر العربي والإسلامي في القرن العشرين، ترك ما يربو عن مائتان (200) من المؤلفات في الفكر الإسلامي والأدب والنحو والفلسفة والتاريخ والاجتماع... كرس حياته للعلم والدفاع عن أصالة الأمة وشخصيتها وحضارتها: الإسلامية الأصيلة، وكان بعمر من العلوم والعارف.

والإسلامي، أدوية معلبة تستجدي من صيدليات أوروبا التي تنعبد دور لوصاية على الشعوب القاصرة لتأخذ بيدها إلى التقدم¹.

ويقول عنه الشيخ محمد الغزالي: "إن الغزو الخلفي للاستعمار الغربي بدأ يؤتي ثماره أسرع فتكا من الغربيين أنفسهم، فإن انتشار الشهوات في الغرب جاء بعد ازدهار الحضارة والمعرفة، وبعد أن نال الفرد حظوظا كبيرة من الفهم لمصلحته ومصلحة أمته، فهم يقبلون على العم واللغو معا، وبينون المصنع الفذ والمسرح العايب، ويقسمون أوقاتهم هذا وذاك بحكمة أو نزق..."²

ويبدو الذكور عروة أكثر وعيا بالواقع العربي الإسلامي حين يتحدث عن المساعدات الاقتصادية والثقافية والفنية التي تقدمها الدول المتقدمة للدول المتخلفة، أنها في واقع الأمر ليست مجانية كما قد يبدو للوهلة الأولى بل هي باهظة التكاليف، كما أن بعض الأفكار والإيديولوجيات التي تقدمها بعض العناصر دون دراسة وخبرة، ودون تخطيط عقلائي يعتد العقل والمنطق في رسم الخطط والبرامج التنموية في شتى المجالات، يرى أن هذه الإيديولوجيات الفاشلة والعقيمة لم تستطع منع الشباب من الارتقاء في أحضان إيديولوجيات أجنبية منبهرين بالنجاح الذي حققته علميا وتقنيا.

ويسلم بأن أي تنمية تستهدف تطوير التقنيات والعلوم لا ترتبط إطلاقا بفلسفات محددة كشرط لها، كما تدعي وتشيع هذه الإيديولوجيات، كما أن الالتزام بأيديولوجيتها معينة كذلك يمكنه أن يؤدي دورا حاسما في دفع وتحريك طاقات

¹ - أنور الجندي: المرجع نفسه، ص36.

² - محمد الغزالي: من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث، شركة الشهاب، الجزائر، 1998،

الإنسانية المتاحة اقتصاديا وعقليًا، ويسوق لنا مثالًا حيا في دور الإيديولوجية أن تطرف دولة صغيرة لا يجعل منها قوة نووية، وفي الوقت ذاته لا يؤدي تقليدية دولة كبيرة إلى أن تصبح قوة نووية كذلك.

ويشر كذلك في نفس السياق إلى مقارنة الدولتان اللتان أصبحتا تتنازعاں الرعامة والريادة في العالم بعد الحرب العالمية الثانية، وهما الولايات المتحدة الأمريكية التي كانت تتزعم الغرب الرأسمالي وتشكل مركزه المركزي، والاتحاد السوفياتي الذي كان يتزعم المنظومة الاشتراكية والعالم الشرقي، يتبينان مذهبيا أسلوبين ونظامين اقتصاديين واجتماعيين متعارضين، كما أن نزعة التقليدية لكل من إنجلترا واليابان لم تمنعهما من تيوًا الصدارة في الدول العظمى والمتقدمة.

وبالنسبة للعالم لعربي والإسلامي فإنه يمتلك من المقومات والإمكانات ما يؤهله للنهوض بمشاكله وهومو، والقيام بالإصلاح الشامل للإنتطاق في نخضة شاملة، فهو يملك الإسلام كمنظومة متكاملة كما يملك المؤهلات المادية من ثروات وطاقات متنوعة ويملك كذلك طاقات بشرية لا تتوفر لدى الدول المتقدمة، فما عليه سوى توظيف الإيديولوجية الإسلامية التي يملكها كرصيد لا ينضب من أجل استغلال الطاقات الطبيعية والبشرية المتوفرة، فبذلك يمكنه أن يتحرر من التبعية للعالم الغربي ويتخلص من هيمنته وسيطرته على اقتصادياته وإيديولوجياته.¹

ويرافع في حديثه عن الشروط الضرورية للقيام بالنهضة والوثبة في مجالات شتى، فيقول أن شروط هذه النهضة متوفرة في أنفسنا وفي إرادتنا لو شئنا لاستطعنا تحقيقها رغم أن الجهود ستكون كبيرة والتضحيات جسام والثمن باهظ، لكن من المؤكد أن النجاح سيكون حليفنا، أما إن انفصلنا عن أنفسنا وضعفت ثقتنا في

¹ - أحمد عروة: المرجع نفسه، ص165.

أنفسنا وسقطنا في كمين الإيديولوجيات الأجنبية التي لا تتوقف عن العمل وبذل الجهود في سبيل إيقاننا مكبلين بالأغلال، لننظر مجرد سوقا لترويج لأفكارها وتصريف وتسويق منتجاتها، وحينئذ سنجد أنفسنا يقول الدكتور عروة نرغمي في أحضان استعمار جديد من طراز القرن العشرين لا يقل وطأة ولا ضراوة وخطرا عن استعمار القرن التاسع عشر، هذا الاستعمار الجديد جاء بأساليب ووسائل أكثر ذكاء وأكثر فتكا، فهو استعمار يجعل الشعوب هي من يتجه إليه بإرادتها تحت تأثير سحر التكنولوجيا الرهيب.

ويرى الدكتور عروة أن الإعانات الفنية والنظرية التي تتلقاها الدول العربية الإسلامية من الخارج لا يجب أن تكون قوة تكميلية مؤقتة، ريثما يتم إرساء قواعد الإصلاح الوطني، ويمكن تحويل تلك الإعانات إلى المبادلات التي تتم بين بلدين متساويين في الحظوظ، لا أن تعامل الدول القوية صناعيا الدول الأقل منها تصنيعا أو الدول المختلفة من مركزها القوي وتستمر في النظر إليها بنفس النظرة التي كانت عليها قبل حركة التحرير، أن تصبح الدول العربية الإسلامية تتعامل مع هذه الدول المتقدمة الند لند، لا معاملة القوي للضعيف، وهذا لا يكون إلا ببناء اقتصاد قوي يستند إلى إيديولوجيا قوية تتمثل في المنظومة الإسلامية لا غير.

وحسب الدكتور عروة لا يمكن للعالم الإسلامي أن يصل إلى مستوى الحضارة التقنية الحديثة بعيدا عن الاستفادة من العلاقات مع العالم الغربي، ويرى أنه في ظل هيمنة وسيادة البنيات التقليدية الاجتماعية والاقتصادية والعقلية في العالم الإسلامي فإن المهمة ستكون صعبة وشاقة، ولكن ذلك لا يمكن أن يعيق التقدم لأن التخلف ليس ظاهرة أو حالة وراثية في الإنسان أو قدر محتوم لا مفك منه، بقدر ما هو ظاهرة إنسانية سلبية نتيجة تراكمات متعددة منها ما هو من صنيع الاستعمار،

أو قوى رجعية ترفض وتقاوم التحضر والتقدم تحت غطاء إيديولوجيات عقيمة ومفلسة، فطالما القدرة المادية متوفرة، لا شيء يمكن أن يقف في وجه التقدم إذا توفرت الإرادة النبينة، ففي ظل توفر الحافز المادي يقول الدكتور عروة لا شيء يستطيع أن يمنع العربي أو الإفريقي أو الصيني من أن يكتسب أكثر المعارف التقنية تقدماً¹.

وها هم الصينيون يحققون التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ويغزون العالم ينتاحهم الغزير والمتنوع، ويبداعهم، وأصبحوا يضايقون العالم الغربي حتى في عقر داره.

وهو في ذلك يتفق مع المفكر والناقد مالك بن نبي الذي ويقول عن التغيير: "تبدأ ثورة التغيير الفعلية حين لنجاح في تحرير الإنسان، من عقدة لنقص والانهار ما عند الأوروبيين، وتحريره من الترسبات الوراثية في مجال التواكل والخرافة"². ويقول كذلك: "إن المشروع الإصلاحي يبدأ بتغيير الإنسان، ثم بتعليمه الانخراط في الجماعة ثم بالتنظيم فالنقد البناء"³.

ووضع الدكتور عروة شروط يجب إتباعها من أجل بلوغ التطور المنشود في المجالين التقني والعلمي حدود الإبداع والإيجاب بلخصها في العناصر التالية:

-تعميم الجهد العقلي الموجه إلى رفع المستوى العام للشعب ثقافياً وتقنيا وذلك لا يكون إلا بإنشاء المدارس وتعميم التعليم والعمل على نشره على أوسع نطاق، وإرسال البعثات الطلابية للخارج بغية التكوين والعودة للاستفادة من خبرات

¹ - أحمد عروة: المرجع نفسه، ص166.

² - مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي.

³ - مالك بن نبي: شروط النهضة.

من خلال كتابه "الإسلام في مفرق الطرق" - لخصر بوطية

ومهارات الأجناب في المجالات التقنية خاصة، والعمل على جلب الأساتذة والمكونين من الخارج بغية تأطير وتكوين الكوادر المحلية والوطنية لكي تنهض بالتنمية الشاملة، وتشجيع البحث العلمي وذلك بتخصيص ميزانية له معتبرة وتحفيز الباحثين والمبدعين والمفكرين وأصحاب الأفكار الخلاقة والمواهب والمخترعين وعدم التوقف عن تشجيعهم ماديا ومعنويا، وذلك كله من أجل تزويد البلاد بالكوادر المكونة عقلا، ويجب الاستفادة من الغرب والمشي على سنته، بشرط أن لا يكون ذلك على حساب شخصيتنا الوطنية، فلا ينبغي على الإطارات المتكون المتعلمة في البلدان الغربية أن تشعر بعقدة النقص ولا ينبغي لها أن تحجل بانتماها الحضارية والدينية للإسلام، ويجب المحافظة على الشخصية لوطنية، ويجب على للباحثين العلميين كذلك أن يكونوا على قدر المسؤولية الملقاة على عاتقهم فيجب أن يكونوا تلاميذ صالحين حتى يصيروا أساتذة صالحين، ويرفض في هذا الإطار المفكر والفيلسوف المغربي محمد العابد الجابري¹. المواقف الثلاثة لقضية نخضة العرب والمسلمين، التي عبر عنها أعلام النهضة منذ القرن التاسع عشر، وهي: الأخذ من التراث العربي القديم، أو الأخذ من الحضارة الغربية، أو التوفيق بينهما. حيث يقول: "أعتقد أن مثل هذه

¹ - محمد عابد الجابري من مواليد عام 1936 بغيغ بالدار البيضاء بالمغرب، وهو مفكر وفيلسوف عربي، له 30 مؤلفاً في قضايا الفكر المعاصر، أبرزها "نقد العقل العربي" الذي تمت ترجمته إلى عدة لغات أوروبية وشرقية. كرمته اليونسكو لكونه "أحد أكبر المتخصصين في ابن رشد، إضافة إلى تميزه بطريقة خاصة في الحوار". حصل على عدد كبير من الجوائز الدولية من منظمات وهيئات علمية معروفة كالْيونسكو، توفي بالمغرب في سنة 2010م. ترك العديد من المؤلفات في الفلسفة والفكر العربي المعاصر نذكر منها:

- من أجل رؤية تقدمية لبعض مشكلاتنا الفكرية والتربوية. - فكر ابن خلدون: العصبية والدولة.
- نحن والتراث: قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي. - الخطاب العربي المعاصر.

الرؤية لم تجد بعد ضريقتها إلى التحقق، ذلك لأن مفكري النهضة قد انقسموا إلى ثلاثة أصناف:

صنف حصر جهده في التماس الحلول من الماضي، وهم الذين يمثلون التيار السلفي بصفة عامة، وصنف حصر جهده في التماس الحلول من الحضارة الغربية المعاصرة، وهؤلاء يمثلون ما يسمى عندنا بـ (التيار الليبرالي العربي)، والصنف الثالث حاول أن يجمع بين الجاهدين، ودعا إلى التوفيق بين شيء تأخذه من تراثنا، وشيء تأخذه من الغرب.

وهذا في نظري عمل غير علمي وغير عقلائي، لأن المسألة ليست مسألة أخذ واقتطاف، بل هي مسألة بناء وتجديد، تنطلق من الداخل بأساليب جديدة. لتحقيق هذا البناء أو المشروع الحضاري، ماذا تأخذ من التراث العربي والتراث العالمي؟¹

ويرى الشيخ عبد المجيد أمزيان أنه منذ انطلاق النهضة العربية الإسلامية كان ينظر إلى الحضارة الغربية كنمط ونموذج يجب أن يتبع، بصفتها (الحضارة الغربية) صاحبة السيطرة العالمية التي تحدث التحولات وتثير ردود الفعل، سواء كنا في حوار أو في صراع مع هذه الثقافة المسيطرة على ذهنياتنا فإننا مكيفون منذ انطلاق النهضة تكيف التبعية.²

فإذا أردنا أن نخطو بخطى ثابتة نحو تحقيق نهضة حقيقية وحضارة راقية علينا أن نتبع المسيرة العقلية الأبدية التي سار عليها حملة ورموز الحضارات الإنسانية

¹ - نبيل فرج: حوار لم ينشر مع محمد عابد الجابري: النهضة العربية في ملكوت العقل، جريدة الأمازيغ الإلكترونية يوم 2010/05/28.

² - عبد المجيد أمزيان: التوازن بين الفكر الديني والفكر العلمي عند ابن خلدون، مجلة الثقافة، عدد 77، وزارة الثقافة: الجزائر، سبتمبر - أكتوبر 1983، ص 11.

القديمة، فالإغريق كانوا يرتحلون إلى مصر لتعلم الطب والحساب، وتلقى العرب في صنع حضارتهم علوم الإغريق واليونان والفرس والهنود، ونهلت أوروبا من تابع الحضارة الإسلامية، والعالم الإسلامي اليوم يتلقى علومه ومعارفه من باريس أو لندن أو موسكو، إن تكوين هذه الكوادر تكويننا عقلا نيا بعيدا عن الإيديولوجيات الرجعية وبعيدا عن التطرف والاستلاب، يعد في نظر الدكتور عروة عملا بارزا يقتضي تعبئة حقيقية كبيرة للجماهير الشعبية، لتحمل مهمة التغيير نحو الأحسن، وتعمل جاهدا على استغلال واستثمار الطاقات المتاحة التي أشرنا إليها من قبل.¹

- والميدان الثاني يتمثل في العمل على توفير الظروف الملائمة والمناسبة لتتبع في كنفها الأفكار، ولا تصطدم مع الواقع القومي ولا تتعارض معه، ويضرب لنا الدكتور مثلا واقعا عن فرار أو هجرة الأدمغة من دول أوروبية متقدمة كألمانيا والمجلترا وفرنسا، واستقرارها في أمريكا، لا لشيء إلا لأنها لا شك قد وجدت الترحيب اللائق بها، والظروف الحسنة وعوامل الاستقرار أحسن ما توفرت في بلدانها الأصلية، وتأسف الدكتور وينحسر كثيرا حين يتكلف عن التكاليف الباهظة التي تكلف الدول في العالم المتخلف في تكوين الإطارات، ما أن تنهي تكوينها في بلدانها ويحين وقت الانطلاق في الإبداع والعمل لتستفيد من خبراتها ومهاراتها المجتمعات، نجدها تغادر إلى الدول المتقدمة بحثا عن حياة أفضل، أو أن هذه البلدان لا ترقى إلى مستوى طموحاتها، وهي دراما حقيقية لا يستمتع المرء إطلاقا بمشاهدتها.² فهذه البلدان المتخلفة التي تسهر على تكوين هذه الكوادر وتنفق عليها التكاليف الباهظة، هي نفسها التي تساهم في هجرة تلك الكوادر بسياستها العقيمة، وبالظروف المناسبة

¹ - أحمد عروة: المرجع نفسه، ص 166-167.

² - أحمد عروة: المرجع نفسه، ص 167.

من خلال كتابه "الإسلام في مفترق الطرق" _____ أ. لخضر بوطبة

التي لا يمكنها توفيرها لهم، فأصبحت هذه البلدان عامل ضرد للمفكرين، الذي تفتح لها الدول المتقدمة ذراعيها لعلها الفائدة التي ستعود عليها من وراء تدفق الأدمغة المفكرة على بلدانها.

ومن هذا الواقع يدق الدكتور أحمد عروة ناقوس الخطر في الدول المتخلفة عموماً والدول العربية الإسلامية خصوصاً، بدعوته الجادة إلى التفكير بجد وبعمق

للحد من هذه الظاهرة (ظاهرة هجرة العقول العربية)¹، والعمل على السيطرة عليها، وذلك لا يكون إلا بالعمل والسعي إلى توفير كافة الظروف والإمكانات التي يمكن أن تساعد على استقرارها، وقيل ذلك كله يجب أن تقتنع هي بأن رسالتها سامية

¹-شكل هجرة العقول العربية إلى خارج أوطانها حاجساً مخيفاً للحكومات والمنظمات على حد سواء، وتكتسب هذه الظاهرة أهمية متزايدة في ظل تزايد أعداد المهاجرين خاصة من الكوادر العلمية المتخصصة، لما لها من آثار سلبية تتمثل في حرمان هذه الدول من الاستفادة من خبرات ومؤهلات هذه الكفاءات لتؤثر سلباً على تطور الاقتصاد القومي وعلى التركيب الهيكلي للسكان والقوى البشرية. التقرير العربي الأول للجامعة العربية حول العمل والبطالة يعزو ارتفاع معدل الهجرة إلى تزايد القيود المفروضة على حرية ممارسة البحث العلمي والفكري الحر في أغلب الدول العربية. ما يترتب عليه شعور متزايد بالاعترا ب لنكفاءات العلمية والفكرية العربية داخل أوطانها وترقيتها فرص الهجرة إلى الخارج. ويوضح التقرير أن نحو 50% من الأطباء العرب و23% من المهندسين و15% من العلماء، يهاجرون إلى الولايات المتحدة وكندا سنوياً، وأن 54% من الطلاب العرب الذين يدرسون في الخارج لا يعودون إلى بلادهم. المرجع، ما السبل إلى الحد من هجرة العقول العربية؟ الجزيرة نت، [www. Aljazeera.net](http://www.Aljazeera.net) الأحد 2008/9/7.

ويكمن خطر هذا التزيف القتال في تأثيره على مستقبل الوطن العربي إذ تصيب أضراره كل مواطن عسري ولعدة أجيال، ذلك أن حرمان عجلة التقدم في أي بلد من العقول والأدمغة والخبرات اللازمة لتحريكها يترك آثاره السلبية على مختلف نواحي الحياة الاقتصادية والثقافية والتربوية والصحية.

ونبيلة وهي وضع كل طاقاتها لخدمة أوطانها وشعبها، وعلى الأنظمة في الدول العربية والإسلامية أن تعرف أن أسلوب الإغراء يوجه الناس أكثر من الإكراه.

ويتأسف الدكتور أحمد عروة في حديثه عن أولئك الطلاب الذين يصفهم في مشهد درامي مثير الشفقة، حين يظنون أنهم بتحررهم وتخلصهم من ثقافة بلادهم وأخلاقها وإنكارها أنهم حرروا أنفسهم فهم واهمون، "فبدل أن يكونوا في طليعة مطامح شعوبهم المشروعة وضعوا أنفسهم على هامشها. وهم إذ جهلوا الواقع القومي وجهلهم، قد اندفعوا قلبا وقابلا عميان وباسمين في أذيال عالم مريب تتأكد فيه اتجاهات سلبية وأتانية أكثر مما تتأكد شخصية بناءة وأصيلة".¹

هذه الفئة من ضعاف النفوس لا نأمل على أنها يمكنها أن تندمج في مجتمعاتها، فتحيا حياتها وتحس بالأمها وآمالها، لكنها في الواقع " تميل إلى تكوين فئة منزلة عن المجتمع عابسة وغير مكترثة"، لما تعيشه مجتمعاتها من واقع مر يتطلب تكاتف الجهود لمواجهته ومحاولة الافتكاك من قبضته.

فهم منغمسون في عالم غريب، منشغلون فيه في آفاق أجنبية تبدو أفضل ملائمة من الاغتراب النفسي الذي كانوا يعانون منه، بسبب انفرادهم بثقافات مختلفة عن ثقافة مجتمعاتهم، وانعزالهم عن بني جلدتهم.

وقد حبا الله هذه الأمة من يدافع عن مبادئ الإسلام وعن أصالة الشعوب العربية والإسلامية مشرقا ومغربا، ولنا أمثلة كثيرة عن هؤلاء يطول الكلام بذكرها ولكن نكتفي بذكر القليل منهم عبد الحميد بن باديس وجميع أعضاء جمعية العنساء

¹ - أحمد عروة: المرجع نفسه، ص 167-168.

كـمبارك المـلبـي والإبراهيمي والعربي التبسي وغيرهم، كما برز في معالجة هذا الموضوع الشيخ محمد الغزالي¹.

— المجاوزة:

ويتنقل بنا الدكتور أحمد عروة إلى موضوع فكري آخر شائك ومتعدد الجوانب يتعلق بواقع الأمة العربية والإسلامية الحضاري المزري، وهي تحمل كل المعلومات التي تؤهلها لتحقيق تحفة شاملة، حيث يرى أن في يتعين أن تتحد الجهود في المستقبل، وتتجلى في الثورة الدائمة التي تعني الاستمرار في:

إثراء الفكر الإسلامي لفرضه كبديل وجعله ينبؤ مكانته اللائقة به، لما يحمله من أفكار أخلاقية وفلسفية وعقلية، تجعل منه يأتي في الطليعة.

التحقيق التدريجي للأنظمة، ولا ندري ماذا يقصد بالأنظمة، هل هي الأنظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية السائدة في بلدان العالم العربي والإسلامي التي تمتاز بالتباين والاختلاف والتي يمكن أن تنف كعائق أمام أية مبادرة لتوحيد الجهود من أجل لوصول إلى أهداف معينة.

تعزير مركز الإسلام على المستوى الدولي، باعتباره حكم ومنظومة متكاملة، تدعو لسعادة البشر كافة وتعمل على نشر مبادئ السلام والسلم في العالم.

ويرى أن هذا التعزير الذي ينبغي أن يفرض نفسه سواء بقوة التأثير بواسطة الأفكار الأخلاقية والفلسفية والعقلية التي سبق أن تحدث عنها، أو بالتحلي بالواقعية المادية أي فرض الأفكار على أرض الواقع،² لا أن تبقى أشياء مجردة غير قابلة

¹ — محمد الغزالي: ليس من الإسلام، لماذا تأخر المسلمون: المحاور الخمسة للقرآن الكريم،

² — أحمد عروة: المرجع نفسه، ص 172-173.

للتجسيد الميداني، والعالم الغربي خاصة لا يؤمن إلا بالأفكار التي يترجمها الواقع الملموس في شتى المجالات.

وأشاد الدكتور بالجهود التي بذلها المصلحون المسلمون الأوائل أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وخلفائهما، حيث كانت هذه الجهود الخطوات الأولى التي فتحت أبواب الإصلاح على مصراعها، وأخذت أفكار تنمو ومحاولات جادة لبعث الأمة العربية الإسلامية.

لاحظ على هذه المحاولة أمرين: أولهما أن هذه الحركة عكست الظروف السياسية، في العالم الإسلامي كان اهتمامها مقارعة الاستعمار من أجل التحرر الوطني، في وقت كان الغرب قوي الشكيمة ونحصر قوي الشكيمة لا يمكن هزيمته بسهولة ويسر.

وثانيهما أن هذه الحركة الإصلاحية الجادة لم تجد من يواصلها من خلفاء المصلحين السابقين بحيث يكونون في مستواهم، على الرغم من تحسن الظروف في عهدهم مما كانت عليه من قبل، لكن لسوء الحظ لم يصحبها جهد تجديدي لفكر الديني على مستوى الأحداث التاريخية.

ولا يمكن أن ننكر أن الدين لعب دورا حاسما في صراع الشعوب الإسلامية مع الاستعمار، إلا أنه مع الأسف الاستقلال المحقق لم يكن في مستوى التضحيات المقدمة. ولا في مستوى الجهود المبذولة، وذلك لأن الاستعمار وجد طرقا للتغلغل داخل هذه البلدان من دون عناء كبير أو مقاوم تذكر، وذلك في ثوب المعونة الاقتصادية والتقنية المقدمة والتي كانت مصبوغة بالأيديولوجية الثقافية، فلا شيء يقدمه الغرب للعالم المتخلف في واقع الأمر بدون ثمن.

وهذا ما يجيرنا به المفكر مالك بن نبي حين يقول: "وهنا تبرز الإشكالية التي وقعت فيها غالبية الحركات التحررية في العالم العربي والإسلامي، يوم عملت على تصفية الاستعمار من وجوده المباشر، دون أن تعير اهتماما للإنسان والشعب بشكل دقيق، علما أن الشعب يجب أن يكون هو القائد، هو الملهم للطلائع في تحركها، فإن نجاح أية حركة ثورية رهن بخلق الثورة في ذات الإنسان، فهو أساسها وضمأن استمرارها، وعلى أي حال فالثورة لا تستطيع الوصول إلى أهدافها، ما لم تغير الإنسان بطريقة لا رجعة فيها من حيث سلوكه وأفكاره وكلماته".¹

ويستغرب الدكتور عروة في كون العاملين في الدراسات الإسلامية واغلبهم كما يقول غير مسلمين يرافعون عن الإسلام ويتساءلون عن مستقبله، كما يقترحون الحلول، ولا يجدون للأسف من يتصدى لهم اعتمادا على أصالة الإسلام، لأن مثقفينا نخلوا من الفكر لغربي في صورته البورجوازية المادية البراغماتية، أو الماركسية الشيوعية، فيعبرونهم اهتماما بالغا ين يتكلمون ويبدون لهم إعجابهم بأفكارهم. "حتى عندما يسول لهم عن حسن نية مذهل، أن ينكروا الله لكي يعبدوا الطبيعة أو يحرقوا نبي الله إبراهيم في نار هيروقليطس".²

إن أخطار الثقافة الواحدة عندما تضخم القيم الاجتماعية على حساب القيم الوطنية، لا يمكن تجنبها إلا بنقد ذاتي قاس والذي يعني نقد جهل الإنسان لنفسه، ويوجد خطرا آخر مهددا للثقافة يتمثل في تضخيم الوطنية على حساب القيم الاجتماعية ومحاولة بناء المستقبل بناء على صورة الماضي، أي تمجيد الماضي دون التفتح على آفاق المستقبل، فتبقى الأمة حبيسة أحداث الماضي تنغى بها في

¹ - مالك بن نبي: بين الرشد والتهيه، ص 46.

² - أحمد عروة: المرجع نفسه، ص 173-174.

دراما البكاء على الأطلال، وهذه هي التي تمثل الثقافة الواحدة والمنطوية على نفسها، فلا تصمد أمام تيار التجديد الجارف، فلا يمكن حسب الدكتور عروة بعث الماضي إلا بالاعتماد على ما يوفره العالم الحديث من وسائل علمية وعقلية ضخمة. فلا بد من التجديد في الفكر، ولا يكون التجديد على يد الفئات الدينية المغلقة على نفسها والساذجة في أفكارها التافهة في ادعاءاتها، فينبغي أن يحدد دون أن نحطم، وذلك بالمحافظة على الأصول، والعمل على تطوير الفكر الإسلامي وجعله يواكب التطور الرهيب الذي عرفته البشرية، في العصر الحالي، لأن الإسلام لا يقبل الرهينة ولا الكهنوتية، فممثلو الإسلام يمكن أن يكونوا سياسيين أو رجال علم أو علماء اجتماع، أو عمالاً أو فلاحين أو من قراء القرآن، وتلك علمانية يحملها الإسلام في طبيعته، وهي مصدر شموليته وقوته وواقعيته.¹

ويرى الدكتور عروة كنتيجة لهذه الأفكار الإيديولوجية الداعية إلى النهوض بالفكر والحضارة الإسلامية، ليستفيق العالم الإسلامي من سباته، وستكون النتائج باهرة إذا تم ذلك النهوض، إذ يتخيل أن يحدث انتفاضة هائلة، سيكون العالم الإسلامي بأسره ميدانها لها، ويذكر أن للمليار ونصف للمليار مسلم الذي يعمرن الأرض الواقعة بين الأطلنطي وأندونيسيا، لو يكتشفوا وحدة قدرهم ومصيرهم، وتحرروا من عقدة استسلامهم لتخلفهم، هذه العقدة التي يريد لهم الغرب أن لا يبرؤوا منها، ولو يهتدوا إلى إرادة الوحدة والعمل، يستطيعوا حينها أن يقوموا بثورة على الصعيد العالمي، وسوف ينعمون بواقعيتها ويأبداعها، حينئذ سيبلغ الإسلام رسالته الخالدة مجدداً، وهي رسالة السلام والتقدم والحضارة والإخاء، والعدالة والحرية،

¹ - أحمد عروة: المرجع نفسه، ص 174.

وسوف يتبين للشعوب زيف الإيديولوجيات الواهمة، وذلك يغنيهم عنها لا محالة كما يغنيهم عن التصب السياسي، وحينئذ سيكون هذا البلاغ أعظم أمجاده.¹

حينئذ يشعر كل مواطن أنه مسئول عن قدر الجماعة بأسرها وبذلك يذوب الأنا الشخصي في الأنا الجمعي، وأنه لا ينفق قوته ووقته في سبيل خدمة إيديولوجيا مثيرة للحماسة ولا من أجل رسالة إحياء الإسلام فحسب، بل يصبح يشارك بخطى ثابتة في الاهتمام من جديد إلى فلسفة إنسانية شمولية، فلسفة الإنسان المتكامل المترن للمفعم بالإيمان فترتقي أبعاده اللامتناهية إلى الله وذلك حسبه.

خاتمة:

وفي الأخير يمكننا القول أن الدكتور أحمد عروة يعتبر صاحب فكر نير ورؤية مستقبلية ثاقبة، كما يعد من المفكرين الواعين بواقع الأمة العربية والإسلامية مدركين لنوع المرض الذي أصيبت به منذ زمن بعيد، عارفاً علاج هذا المرض متمكنا من تشخيصه تشخيصاً دقيقاً، كما يبدو أنه متأثر بما كتبه المفكر والفيلسوف الناقد مالك بن نبي وغيره من زعماء الإصلاح في القرنين التاسع عشر والعشرين.

وفي محاولته تقديم شرح وتحليل شروط نهضة العالم الإسلامي والعربي يبدو متفهماً للوضع الذي تعيشه الأمة مدركاً لصعوبة نهوضه، ومتأكداً من أن الطريق طويل وشاق وأن التغيير من أصعب الأمور على الإنسان، ولكنه متأكد أن الوصول إلى تحقيق الأهداف والغايات مضمون إذا كانت المنهجية مضبوطة وإذا اعتمد الإنسان الذي ينشد التغيير على العقل وإنتاج الأفكار الخلاقة، وإذا توفرت الإرادة والنوايا الحسنة كذلك، والأهم من ذلك إذا أقبل الإنسان على نقد ذاته ثم الشروع في

¹ - أحمد عروة: المرجع نفسه، ص 174-175.

تغيير نفسه، لأن مشكلة العالم المتخلف كما يقول المفكر مالك بن نبي ليست في الثروات المادية بل تكمن في عدم إنتاجه للأفكار.

وتبين أصالة الأفكار التي جاءت في كتاب الدكتور عروة، حيث وضع في مؤلفه برنامجا عمليا للشباب، للنهوض والتقدم وتحقيق النصر في فترة كانت الجزائر تعيش أزمة توجه، بفعل القرار السياسي -آنذاك- هذا القرار الذي دفع الجزائر في اتجاه الاشتراكية، فقد كان لأفكار الدكتور عروة الصادرة في كتاب (الإسلام في مفترق الطرق) دور في تحصيل المجتمع الجزائري من تجاوزات الابتعاد عن مرجعيتها الدينية والحضارية كما أوضح الدكتور سعيد شيبا.

الدكتور أحمد عروة

وملتقيات الفكر الإسلامي في الجزائر

أ.د/ بلقاسم شتولن

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الدكتور أحمد عروة وملتقى الاجتهاد:

عرفت الجزائر أيام الحزب الواحد والحكم الاشتراكي انعقاد ما كان يسمى رسميا وإعلاميا وعالميا "ملتقيات الفكر الإسلامي"، وكان يدعى لها كبار المفكرين الإسلاميين من جميع أصقاع العالم وكثيرا ما كان يشهد هؤلاء أن الحرية المتوفرة خلال أشغال الملتقيات كانت كفيلا يجعل تلك الملتقيات لقاءات علمية وفكرية تشحذ همم المفكرين وعليه فإن المرحوم الدكتور أحمد عروة قد شارك في العديد من هذه الملتقيات بالبحوث العلمية والمناقشات الفكرية القيمة، وعليه فإننا سندكر له مشاركة واحدة شارك بها في ملتقى الاجتهاد الذي انعقد من يوم 8 إلى 15 شوال 1403 هـ الموافق لـ 19-26 يوليو 1983م بمدينة قسنطينة عاصمة الثقافة العربية سنة 2015م. حيث ورد في الجزء الثالث من مطبوعات محاضرات ملتقى الفكر الإسلامي السابع¹ محاضرة قيمة للدكتور أحمد عروة الأستاذ بمعهد العلوم الطبية الجزائر موسومة بـ: "الخبرة العلمية الحديثة وصلتها بالاجتهاد" تميزت هذه المحاضرة بالآتي:

- عنوان المحاضرة المختار بعناية شديدة وذلك في توظيف الخبرة العلمية التجريبية الطبية الحديثة وإدراجها تحت الاجتهاد الشرعي لأجل ضبط أي اجتهاد علمي مستحدث وإدراجها تحت قواعد الاجتهاد والأصول الشرعية من قرآن وسنة.

¹ - مؤسسة العصر للمنشورات الإسلامية، الجزائر، ج.3.

القرآن: - قوله تعالى: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾¹.
- وقوله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾².

السنة:

- قوله صلى الله عليه وسلم (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد)³.
- عن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران. وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر)⁴.
-- مقدمة: يبين فيها الآتي:

أ- تقدم الحضارة المعاصرة وخاصة في مجال تخصصه من الناحية الطبية والتقنيات المستحدثة التي لم تكن تخطر ببال المجتهدين القدامى ولم يتيسر لهم ما تيسر للمعاصرين.

ب - يوجه العلماء في ميدان تخصصه والتخصصات الأخرى في الوقت نفسه أن يمتلكوا الخبرة العميقة بأصول الدين والشريعة.

ج - يلفت نظر العلماء إلى التكامل المعرفي النظري والتطبيقي، اللذان يعتبرهما الخبرتان المتكاملتان الأساسيتان للاجتهاد الشرعي في عصرنا واللذان لا يجتمعان في النادر إلا عند رجل واحد.

¹ - سورة النساء، آية 59.

² - سورة الحشر، آية 7.

³ - البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب: إذا اصطلحو على صلح جور فالصلح مردود، دار الكتاب العربي، ص 543.

4 - البخاري، فتح الباري شرح صحيح البخاري، للمصنف سنة النشر: 1407هـ / 1986م.

د - يرى أنه لا حاجة إلى تكوين المجتهد المثالي الذي يجمع بين الاختصاصات، لأن الحكمة تدعو إلى التبادل المستمر بين الاختصاص العلمي التجريبي والاختصاص الفقهي التشريعي.

- هدفه من ورقته المقدمة للملتقى الاجتهاد:

1. حتمية الارتباط المنهجي في تبادل الإرشاد والاسترشاد بين الخبرة العلمية والفقهاء.

2. توصل العلوم النظرية والتطبيقية إلى اكتشافات ومناهج علمية تسمح بمبادرات علاجية ووقائية خطيرة في مضمونها وفي عواقبها، وقد تثير تساؤلات تقنية وخلقية وفقهية وإنسانية، تستدعي من المجتهد إعطاء رأيه فيها.

- حديثه عن إمكانيات الطب الحديث:

1. العمليات البيولوجية والجراحية المدعمة بوسائل التعقيم والإنعاش الطبي المكثف.
 2. التقاط الأعضاء وحفظها وإدخالها في حالة حياة طويلة الأمد.
 3. زرع الأعضاء لتخلف أو ترقع عضوا افتقد أو أضعاف وظيفته كعظم أو عين أو جلد أو دم أو كلية الخ.
 4. إبقاء الجسم بوسائل الإنعاش المكثف في حالة حياة عضوية مصطنعة تحافظ مثلا على نبض القلب، وحركات التنفس، والتبادلات الأساسية.
- ثم يذكر الحضور بأهم المسائل التي تطرح على ضمير وحذاقة المجتهدين والتي تقع حول:

أ- زرع الأعضاء.

ب- استعمال موانع الحمل، وتحديد النسل.

ج- الإنعاش الطبي وعلاقته بالموت.

د- معاملة الجثث لمصلحة أو لحاجة شرعية علمية.

تدعيم مداخلته بجدول نموذجي ترتيبا لبعض العمليات الطبية مع ذكر نوعيتها وعواقبها المنتظرة واحتمالاتها الأدبية والشرعية حيث يرينا هذا الجدول أن الأسئلة التفصيلية تنفرع عن سؤالين أساسيين هما:

1- إمكانية زرع الأعضاء المنقولة من الحي إلى الميت.

2- إمكانية زرع الأعضاء المنقولة من جثة الميت .

هذا هو النوع الأول من الأسئلة، أما النوع الثاني من الأسئلة فإنه يدور حول وسائل منع الحمل، وقد عرض في جدول يتناول نوعية الوسيلة وآثارها على الفرد والمجتمع واحتمالاتها الأدبية والشرعية كما فعل في الجدول الأول¹.

أما النوع الثالث من الأسئلة فإنه يتعلق بإجراء التنشيط الطبي المكتف الذي يمد حالة الحياة العضوية لجسم فقد وعيه وإحساسه العصبي.

والسؤال هو " متى يكون إنهاء عملية التنشيط بالنسبة لضالة الأمل في إنعاش المريض". والخيرة هنا مشتركة بين صاحب الحرفة وصاحب الحكم الشرعي، الخيرة متعلقة بصعوبة أو استحالة تحديد معنى الموت الحقيقي؟

والنوع الرابع من الأسئلة يتعلق بمعالجة الجثث وفيه سؤالان:

1- سؤال يتعلق بتشريح الجثث لدافع شرعي بمحاول تحقيق الأسباب الجنائية للموت.

2- سؤال يتعلق بتشريح الجثث لدافع علمي تعليمي تجريبي.

وأنتهى بملخص لورقته العلمية يقول فيه:

ليس غرضنا من هذا العرض الإجابة عن الأسئلة المطروحة، ولا إحالتها على السادة الأساتذة العلماء المختصين بالفقه والتشريعي. وإنما المهدف إلقاء بعض النور

1- د/ أحمد عروة، ملقى الاجتهاد، مؤسسة العصر للمنشورات الإسلامية، الجزائر، ج3، 243 -

عنى منهجية الاجتهاد وآفاقه المرتبطة بالخبرة العلمية الحديثة، إضافة للمقاييس الأساسية التي يركز عليها الاجتهاد التشريعي في الإسلام والتي نذكر منها:

- التتيد بالنصوص الشرعية الأساسية.
- احترام الحياة البشرية وحق الكائن الحي في الحياة والكرامة.
- اعتبار المصلحة الخاصة والعامة.
- نية الإصلاح وردع الفساد.
- دفع الضرر على الأفراد والجماعات.

رحم الله شيخنا وأستاذنا ورئيس جامعتنا الدكتور أحمد عروة وأسكنه فسيح جنانه وجمعه مع النبيين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

الإعجاز القرآني عند الدكتور أحمد عروة

في ضوء المعارف العلمية الحديثة¹

د. السعيد رحمانى

جامعة الجزائر

قال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَهْرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ
عَنَّمَا مُخْرَجُونَ﴾. سورة يوسف، الآية: 105.

تمهيد:

تعتبر قضية الإعجاز القرآني من القضايا العقدية التي اهتم بها الفكر الإسلامي منذ العصور الإسلامية الأولى، فقد طرحت هذه القضية في بداية القرن الثاني، وعرفت تطوراً كبيراً مع مقولات النظام ورد تلميذه الجاحظ على آرائه في القول بالصرقة.

وتطور النقاش والبحث في قضية الإعجاز القرآني بين العلماء المسلمين على تنوع مذاهبهم واختلاف تخصصاتهم، وظهرت كتب ومؤلفات كثيرة تناولت قضية الإعجاز القرآني ودوره في الدفاع عن الرسالة الإسلامية، ودفع شبهات الملحدين والمعارضين، على غرار كتاب الخطابي والرماني والباقلاني والجرجاني وغيرهم ممن تناولوا قضية الإعجاز القرآني.

وفي العصر الحديث، وبسبب تطور العلوم بمختلف فروعها وتحصاتها، وتقدم العالم الغربي وامتلاكه زمام المبادرة، وناصية التقدم والحضارة الحديثة، ظهرت

¹ محاضرة ألقى في المنتدى الوطني الثالث حول حياة ومآثر وفكر الدكتور أحمد عروة -رحمه الله- الذي نظمته جمعية الثقافة والتراث التاريخ بامدوكال بجامعة باتنة يومي 11 و12 ماي 2011 ولم تنشر من قبل.

الحاجة إلى بحث الإعجاز القرآني من جديد في ظل كل تلك المستجدات التي عرفها الفكر العالمي، وكذلك وقوع الهجمة العلنية الشرسة ضد الإسلام وعقائده وفكره ورسوله.

فقام علماء وباحثون كثيرون في مختلف بلاد المسلمين يبحث مسألة الإعجاز القرآني بغرض الدفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين والتغريبيين والعلمانيين والملاحدة.

ومن بين من بحث هذه المسألة من علماء الجزائر المفكر الكبير مالك بن نبي في كتابه الشهير الظاهرة القرآنية، والدكتور الطيب الباحث أحمد عروة؛ في دراسة أسماها (أقرأيتهم النار التي تورون)، وهي دراسة علمية جيدة وجادة وقيمة، وذلك لتناولها قضية الإعجاز القرآني من زاوية جديدة، ربما لم يسبق إليها الباحث من قبل، ولهذا سقفت عند هذه الدراسة لتحليلها ومناقشتها للموقوف على آراء الباحث الدكتور أحمد عروة في قضية إعجاز القرآن، ودوره في خدمة الدعوة والدفاع عن العقيدة والشريعة.

وستتناول في هذه الورقة النقاط الآتية:

- مفهوم الإعجاز القرآني عند الدكتور أحمد عروة.
 - أوجه الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.
 - الكشف العلمي الحديث عن الإعجاز في ظاهرة "النار".
 - أبعاد التحدي القرآني:
- أولاً: البعد الذي يظهر قدرة الله تعالى وواسع علمه.
- ثانياً: البعد الذي يكشف عجز الإنسان وسخافة الاستكبار الإلخادي.

مفهوم الإعجاز القرآني عند الدكتور أحمد عروة:

تحدث الدكتور أحمد عروة عن الإعجاز القرآني في دراسة علمية أعدها للهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وقد تولت بنفسها طبع ونشر هذه الدراسة.

ومن خلال هذه الدراسة المركزة استطاع الباحث أن يبين لنا الكثير من القضايا المتصلة بإعجاز القرآني، سنحاول الوقوف عندها فيما يأتي من المباحث.

مفهوم الإعجاز القرآني:

يرى الدكتور أحمد عروة رحمه الله تعالى أن الإعجاز القرآني يختلف كلية عما سبقه من معجزات الرسل السابقين، فإذا كان الإعجاز عند الأنبياء قد وقع بالمعجزات المادية المحسوسة، فإن القرآن سلك طريق الإعجاز بطريقة أخرى هي طريقة الإعجاز بالمعقولات، واعتبر هذا أمراً تفرد به القرآن الكريم عن سائر الكتب السماوية السابقة، فقال: "إن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي يتخطى طريق الإعجاز بالمعجزات ليسلك طريق الإعجاز بالمعقولات"¹. وبهذه العبارة يلفت الكاتب نظرنا إلى ميزة مهمة في إعجاز القرآن، ويبين لنا بعد ذلك معنى الإعجاز بقوله: "المقصود بالمعجزات الخوارق التي كانت تظهر على يد المرسلين عليهم السلام كعصا موسى وناقص صالح"².

هذه هي معجزات الأنبياء السابقين، أما معجزة القرآن فتختلف عنها لأنها تحمل مجموعة من المواصفات والخصائص: فهي معجزة عقلية موجهة للناس كافة. وغير مقيد بالزمان والمكان.

¹ - د أحمد عروة: أفرايم النار التي تورون، ص 8.

² - عروة: المرجع نفسه، ص 8.

طبيعة المعجزة القرآنية: بين الدكتور عروة طبيعة الإعجاز القرآني هذا بقوله: "إن القرآن الكريم هو الكتاب المنزل الوحيد الذي يتخطى طريق الإعجاز بالمعجزات، ليسلك طريق الإعجاز بالمعقولات" ووضح مقصوده من هذه المقولة فيقول: "وهكذا كل ما جاء في القرآن الكريم من آيات تستشهد بظواهر الكون والطبيعة لإثبات ربوبية الله ووحدانيته وصدق كلامه وحقيقة اليوم الآخر تحمل ذلك الطابع الإعجازي الذي يتحدى العقول بمعطيات العلم ومقاييس العقل"¹، وبهذا يتضح لنا من خلال ما أورده الدكتور عروة أن الإعجاز القرآني يتميز بالشمولية والسعة، بحيث يظهر في كثير من نصوص القرآن بل في كل الآيات.

مميزات الإعجاز القرآني:

بما أن الإعجاز القرآني يتميز بشكل واضح وبارز عن سائر معجزات الأنبياء السابقين، فإن ذلك يعني أنه يتصف بمواصفات ومزايا كثيرة أوردها الدكتور عروة وأشار إليها في بحثه، فقال: "يتميز الإعجاز القرآني بخصائص نلخصها فيما يلي:

1. إن القرآن الكريم يدعو العقل الإنساني إلى سلوك مناهج الاستكشاف العلمي والاستدلال العقلي لمعرفة الحقائق التي جاء بها تبليغا وترشيدا.
2. إن إعجاز الآية القرآنية مرتبط بشبوت الحقيقة الكونية التي يستشهد بها لإيضاح تلك الحقيقة.
3. إن الاكتشافات العلمية للظواهر الكونية من شأنها أن تجلي الحقائق الغيبية التي تصرح بها الآيات القرآنية.

2- عروة: المرجع نفسه، ص 8.

4. إن الاكتشافات العلمية ما دامت قد ارتقت إلى مستوى الحقيقة، فإنها تعطي للآيات القرآنية التي تتعرض لها أبعادا لا تزال تتعمق وتوسع على مدى تلك الاكتشافات حتى تصل بالعقل إلى درجة اليقين.

5. إن الآيات القرآنية في تفاصيلها وتكاملها تعبر عن وحدة الكتاب كما أن الآيات الكونية في جزئياتها وتناسقها تعبر عن وحدانية الخالق.

6. إن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم يأخذ تارة طابع الاستدلال العقلاني الذي يدحض جدلية الملحدين، ويأخذ تارة أخرى طابع التحدي، بما أنه يطالب الإنسان بإقامة البرهان العلمي على استنصغاره وإنكاره للقدرة الإلهية الخلاقية.¹

هذه هي الخصائص والمميزات التي يتميز بها الإعجاز القرآني استخلصها واستنبطها من الآية القرآنية (أفرأيتم النار) التي جعلها منطلقا لبحثه في الإعجاز القرآني، وقد شرح لنا هذا الأمر بقوله: "تلك بعض الخصائص التي يتميز بها الإعجاز القرآني ستعرض لها مفصلة في المثال الذي التقطناه من بين الظواهر التي يستشهد بها القرآن الكريم. ذلك المثال هو (ظاهرة النار) وقد اخترناها لأن الله تعالى سخرها للإنسان خاصة، وجعل منها حياته ومعاشه وكل مظاهر حضارته، وما زالت تستقطب اهتمامه منذ تلك العصور الأولى، وأخذت في الحياة المعاصرة مكانة تكاد تستحوذ على كل المرافق الاقتصادية والحضارية"².

هذا هو المنطلق الذي بدأ منه الدكتور عروة حديثه عن الإعجاز القرآني، ليبين لنا عقب ذلك أوجه الإعجاز القرآني مفصلة، انطلاقا من آيتين قرآنيتين هما، قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ﴾ (80)³،

1- أحمد عروة: أفرأيتم النار التي تورون ، ص 10.

2- أحمد عروة: المرجع نفسه، ص 11.

3- سورة يس / 80.

وقوله تعالى: أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (71) أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمُ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ (72) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَدَكُّرًا وَتَمَازُغًا لِلْمُؤْمِنِينَ (73) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (74) ﴿١﴾ .

وانطلاقاً من هاتين الآيتين، وفي ظل المعارف العلمية الحديثة؛ بحث عروة أوجه الإعجاز القرآني واستخلصها وقد جاءت على النحو الذي سنعرضه هنا بالاعتماد على كتابه: (أفرأيتم النار التي تورون).

أوجه الإعجاز العلمي في القرآن الكريم:

استطاع الدكتور أحمد عروة بما يمتلكه من رصيد علمي وطبي وثقافة علمية عميقة جمعت بين اللغتين العربية والفرنسية، وبما امتلكه من قواعد المنهج العلمي الصارم الذي تميز به تفكيره. بعد دراسته الطب في جامعة مونيولي، وبحثه في تاريخ العلوم عن العرب والمسلمين. أن يحدد ويستخلص أوجه الإعجاز القرآني انطلاقاً من الآيتين اللتين ذكرناهما، وقد حصرها في ثمانية أوجه، هي على النحو الآتي:

1. الإعجاز الجدلي.
2. الإعجاز العلمي في التكامل الاستدلالي.
3. الإعجاز العلمي في الظاهرة الخلقية.
4. الإعجاز العلمي في شمولية المعنى.
5. الإعجاز التبليغي.
6. الإعجاز القرآني في ترابط الآيات.
7. الإعجاز العلمي في الاستدلال بظاهرة النار.
8. الإعجاز العلمي في تحدي القرآن للإنسان.

¹ - سورة الواقعة / 71- 74.

- الوجه الأول الإعجاز الجدلي:

جعل الشيخ عروة أول وجه من أوجه الإعجاز ما سماه الإعجاز الجدلي،
فما المتصود به ؟

يشرح المؤلف مراده من قوله (بالإعجاز الجدلي) فيقول: "وهو أم تلك الآيات تركز على برهان المشاهدة الموضوعية للظواهر الطبيعية لتدحض بها جدلية المكذابين وهم يعتمدون على نفس المشاهد لإنكار البعث كما جاء في الآيات"¹ ويذكر الآيات التي تشير على هذا المعنى الذي يريده، كما يشير أيضا إلى أن طريقة الإنكار والاستدلال السليبي التي يعتمدها الكفار والمشركون هي نفسها التي اعتمدها الفلاسفة الماديون القدامى والمحدثون.

أما الآيات التي تبين هذا الوجه من الإعجاز فمنها قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾ (74) ²، وقوله تعالى: ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمُبْعُوثُونَ﴾ (47) أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوْلُونَ (48) ³، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ ⁴، فهذه الآيات تبين لنا المنهج الاستدلالي السليبي الذي يعتمده المشركون والكفار وغيرهم من الماديين قديما وحديثا، يقول أحمد عروة: "نفس الاستدلال السليبي نجده عند كل الماديين القدامى منهم والحداثيين من الفلاسفة اليونانيين مثل أبيقور إلى الماديين الماركسيين ومن اقتدى بهم إلى يومنا هذا"⁵.

¹ - عروة: أفرايم النار التي تورون ، ص 12.

² - يس / 74.

³ - الواقعة / 47-48

⁴ - الحجية / 24.

⁵ - عروة: المرجع نفسه، ص 13

هذا المنهج الذي يعتمد الكفار والماديون بينه القرآن ورد عليه بطريقة يراها الدكتور عروة أنها إعجازية، فيقول: "يرد عليهم القرآن الكريم بفضح الخلل الذي يعترى منهجهم الاستدلالي، وذلك الخلل هو أنهم نسوا أو تناسوا حلقة أساسية في بنيتهم الجدلية، وهي معجزة ظهور الحياة الخارقة لقوانين المادة، وما يتسلسل عنها من معجزات خلقية وحياتية لا تحصى. تلك الحلقة المفقودة هي التي يعبر عنها القرآن في قوله تعالى: (ونسي خلقه)، ثم بعد التصحيح لمعطيات الاستدلال يصل إلى عكس ما توصل إليه الملحدون، وهو ما يبينه القرآن الكريم في الآيات التالية، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (79) الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ (80) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (81)﴾¹.

من خلال هذه الآيات يبين عروة إلى القول مبينا طبيعة الرد القرآني المعجز على الماديين والمنكرين: "هذا رد القرآن الكريم على الماديين المكذبين السابقين واللاحقين، يقلب عليهم جدليتهم فيدكها في جحرها مستدلا بظاهرة الحياة نفسها"².

وبهذا يكون القرآن قد اعتمد على الحقائق العلمية الثابتة التي تمثل سنة الله في خلقه والتي لا تقبل التكذيب، في الوقت الذي يعتمد فيه المكذبون في إنكارهم على ظاهرة القوانين الطبيعية، وهذا ما وضحه المؤلف بقوله: "لم يكن القرآن ليكذب الحقائق العلمية الثابتة التي تمثل سنة الله في مخلوقاته، وإنما ليضعها في حدودها

¹- سورة يس / 79 - 81.

²- عروة: المرجع أفرايم النار التي تورون ، ص 14.

الوضعية وغاياتها الوجودية، بينما يعتمد الماديون في إنكارهم لوجود الله وحقيقة البعث على ظاهرة القوانين الطبيعية"¹.

وينتقل الدكتور عروة بعد هذه الإشارة إلى هذا الوجه من أوجه الإعجاز القرآني التي بحثها، للحديث عن بعض القوانين العلمية التي اكتشفها العلم الحديث، والتي يحاول الماديون الملحدون تطبيقها لدعم إنكارهم لوجود الخلق والبعث، ولتوظيفها لتفسير حقيقة الخلق والوجود، فيقول: "ومن بين القوانين الطبيعية التي وضعت في العصر الحديث والتي كثيرا ما يركز عليها الجدلون الماديون. قوانين الديناميكية الحرارية، وهي تخص التحولات التي تطرأ على الطاقة الحرارية في الكون"². ويواصل بيانه بطلان منهج أولئك الماديين الملحدين بشرح وتوضيح عمل تلك القوانين التي يحاولون تطبيقها، وينتهي إلى أن الحقيقة العلمية لتلك القوانين والنظريات تعكس منهجهم وتدحض افتراءاتهم وتؤيد المنهج القرآني وتكشف عم مدى إعجاز آياته، التي تدل على وجود الله وحدانيته وعلمه وحكمته، ونظرا لما نراه في دقة تلك الملاحظات والاستدلالات التي لفت انتباهنا إليها الأستاذ أحمد عروة، فإننا نقل هنا تلك النصوص للوقوف على مراد الكاتب منها، وهي على النحو الآتي:

فيما يتعلق بنظام عمل تلك القوانين يقول الدكتور عروة: "إن الطاقة الحرارية المتفاعلة في الكون ستنتهي حتما إلى التعادل والسكون، ويعني ذلك انتهاء كل حركات الكون وظواهر الحياة، ولكن هذا القانون هذا القانون لا يصدق إلا في حدود نظام مغلق يفترض أن الطاقات الموجودة والمتفاعلة فيه متروكة لديناميكيته الذاتية دون تدخل أي قوة أو إرادة خارجية عنها". ولكن عند هذا الحد النظري لا

¹ - عروة: المرجع نفسه، ص 14.

² - عروة: المرجع نفسه، ص 14.

يطرح الإشكالات، وإنما يطرح الإشكالات عندما يتعلق الأمر بنظام الكون الواسع والمعقد، ولهذا يتساءل الدكتور عروة فيقول: "كيف يطبق هذا القانون على نظام الكون؟ هنا يأتي الجواب على النحو الآتي، يقول عروة هناك حالتان:

إما أن نفترض أن الكون حدث في الزمان، وفي هذه الحالة يجب وجود الخالق المبدع وتبطل حجج الماديين، وإما أن نفترض أن الكون أزلي الوجود. ولو كان الأمر كذلك لسكنت الطاقة الحرارية منذ الأزل، وفي هذه الحالة أيضا لا يمكن بقاء الحركات والطاقة الحرارية فيه إلا بوجود الخالق المدبر"¹.

والقرآن الكريم في مظهر من مظاهر إعجازه بتقدير عروة يستدل بتلك الطاقة الحرارية نفسها كما يظهر ذلك في ظاهرة النار المختزنة في الأوراق الخضراء من النبات، يقول الدكتور عروة: "نعم ظاهرة النار المسخرة للحياة، ذلك ما تبينه المشاهدة البسيطة، وذلك ما يثبته البحث العلمي في النبات الأخضر الناشئ الذي يحمل في خلاياه الدقيقة أجهزة عضوية عجيبة تستحلب الطاقة الحرارية من أشعة الشمس الضوئية، وتمسك منها بالمقدار الموزون لتحويلها وتخزينها في الأوراق والفروع والفواكه لتصنع بها من عناصر الأرض الترابية والهوائية والمائية سكرا ودهنا ووقوداً"².
والنتيجة التي يخلص إليها الشيخ أنه من هذه الظاهرة التي تعجز العقل فيما تبديه من نظام خلقي وتركيبى، ومن تحكم في الطاقات الكونية ومن حكمة في الغاية الحياتية. يتبين أن جدلية الطبيعة الحية لا تستغني عن الخالق المدبر الحكيم، بل تدل على وجوده ووحدانيته وعلمه وحكمته.

¹ - عروة: أفرأيت النار التي تورون ، ص 14 - 15.

² - عروة: المرجع نفسه، ص 1.

– الوجه الثاني الإعجاز العلمي في التكامل الاستدلالي:

ينتقل الدكتور عروة بعد بيانه لحقيقة الوجه الأول من أوجه الإعجاز القرآني في ظاهرة النار، والذي أسماه (الإعجاز الجدلي) إلى الحديث عن وجه آخر متصل بالأول هو (الإعجاز في التكامل الاستدلالي)، فيقول: يتجلى هذا النوع في التكامل الاستدلالي بين الآيات القرآنية التي تستشهد بظاهرة النار لإثبات حقيقة البعث، ويذكر الآيات التي يظهر فيها هذا التكامل، وهي قوله تعالى: ﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا﴾ وقوله تعالى: ﴿أفرأيتم النار التي تورون. أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون﴾. ويكشف عن أوجه التكامل الذي ظهر في هذه الآيات، ويحصرها في ثلاثة وهي:

– **الوجه الأول:** إن تلك الآيات ترد على نفس الإشكالية الجدلية التي طرحها الماديون المنكرون للبعث وهي:

الأولى في قوله تعالى: ﴿وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم﴾.

وفي الحالة الثانية قوله تعالى: ﴿وكانوا يقولون أئذا كنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون. أو ءاباؤنا الأولون﴾.

– **الوجه الثاني:** أن الاستدلال ينطلق من منطلقين:

في الحالة الأولى من معجزة النشوء في قوله تعالى: ﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون﴾.

وفي الحالة الثانية من معجزات التسخير في قوله تعالى: ﴿أفرأيتم النار التي تورون. أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون﴾.

— الوجه الثالث: الاستدلال يهدف إلى إثبات نفس الحقيقة وهي إثبات البحث:

في الحالة الأولى بقوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (79)¹.

وفي الحالة الثانية بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (49) لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ (50).

ويخلص المؤلف في نهاية كلامه عن هذا الوجه من الإعجاز إلى نتيجة وخلصها حاسمة، فيقول: "إنه في كلتا الحالتين يأتي الجواب على السؤال قبل إثباته بالاستدلال، ويكرر ذلك الاستدلال على المشاهدة الموضوعية للقدرة الخلاقة التي تتجلى واضحة في نشأة الإنسان نفسه، ثم في تسخير طاقات الكون المادية والحية لمعاشه وتطوعاته الحياتية والحضارية. بعد ذلك كيف يتشكك السائل في قدرة الله على بعثه من جديد كما خلقه أول مرة ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ (40)².

الوجه الثالث: الإعجاز العلمي في الظاهرة الخلقية:

الوجه الثالث الذي يراه الدكتور عروة للإعجاز القرآني من خلال ظاهرة النار، هو الإعجاز العلمي في الظاهرة الخلقية، فهي "تتمثل في تخزين الطاقة النارية التي تكمن في الأشعة الشمسية، وذلك ما يظهر في عملية التمثيل الضوئي التي تنطبق عليها الآية القرآنية الكريمة في قوله تعالى: (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا). ولبیان حقيقة الإعجاز في هذه الناحية شرح الشيخ عروة ظاهرة التمثيل الضوئي بطريقة مبسطة، وذلك على النحو الآتي:

¹ - سورة يس / 79.

² - سورة القيامة / 40.

التمثيل الضوئي:

من طبيعة الكائنات النباتية سواء كانت صغيرة (ذات الخلية الواحدة) أو كبيرة أنها تقتبس من الأشعة الشمسية لتمسك بها عناصر الأرض الترابية والمائية والهوائية، وتؤلف بينها، وتصنع منها المركبات العضوية، ومنها السكريات (هيدرات الكربون) والدهنيات (الزيوت النباتية) والبروتينات.

تمر عملية التمثيل الضوئي على مراحل تكوينية عديدة ومعقدة لا نهمنا تفاصيلها لتلخص في عمليتين أساسيتين:

1. تحليل جزئيء الماء بفصل الهيدروجين عن الأكسجين، وبذلك تتحرر الطاقة الحرارية التي تحملها ذرات الهيدروجين.
2. تركيب الجزئيات العضوية.

وحصيلة العملية هي أن المادة العضوية المركبة قد تختلف حسب نسبة ونوعية المكونات الأساسية والإضافية، وأن تلك المركبات قابلة بدورها للتحليل المتدرج والاحتراق. وذلك يرجع بالمكونات إلى أصلها حسب المفاعلة وقد رسمها بالرموز¹.

وعملية التمثيل الضوئي كما بينها عروة تقع داخل جهاز خاص في الخلايا النباتية يشتمل على حجيرات تتكون فيها مادة اليخضور.

وهي مادة تعطي للنبات لونه الأخضر، وتقوم بعملية التقاط الأشعة الضوئية وتحويلها وتخزينها وتصديرها لكي تستخدم في صنع المركبات العضوية المختلفة كالسكريات والنشاء والسلولوز والحطوب كما بينه الشكل الذي رسمه².

¹ - انظر عروة: أفرايم النار التي تورون ، ص 22.

² - انظر الشكل: المرجع نفسه، ص 23.

وواصل الكاتب شرح العملية التي يتم من خلالها صنع المادة العضوية والتي تحتوي على العشب والفواكه والحبوب والحطب، وهي كلها مواد تولد الطاقة النارية والحرارية¹.

الوجه الرابع الإعجاز العلمي في شمولية المعنى:

يتمثل هذا الوجه من أوجه الإعجاز في شمولية المحتوى لمعنى الآية، وذلك أن الطاقة النارية التي تشير إليها الآية محل الدراسة والتي سبق ذكرها في أكثر من موضع، لا تقتصر على النار الموقدة من الحطب، وإنما تمتد إلى جميع أنواع المحروقات التي يرجع منشؤها إلى النبات وهو الشجر الذي تعينه الآية الكرمة ومن بينها: الحطب الجاف، الزيت النباتي والحيواني، الفحم الحطبي والحجري، البترول ومشتقاته، الغاز الطبيعي. كل هذه الأنواع من المحروقات يرجع أصلها إلى المادة العضوية النباتية، وتختلف حسب الكيفيات والظروف التي وقعت فيها تحولاتها التركيبية والانحلالية². وبعد أن بين وشرح الأصل الذي ترجع إليه كل المحروقات وهي المادة العضوية، وكيفية تكون تلك المحروقات انتهى إلى القول: "وتمتد تلك الشمولية إلى كل أنواع الطاقات الضوئية والكهربائية والكيميائية والحرارية والآلية التي يرجع أصلها إلى تخزين الطاقة الشمسية في الشجر الأخضر"³.

وبهذا يتبين المقصود بشمولية المعنى في الآيات القرآنية والذي هو وجه من أوجه الإعجاز القرآني الذي سعى المؤلف إلى شرحه وبيانه بشكل مبسط رغم كون العملية التي تتم بها تلك المراحل معقدة، وقد استطاع الكاتب أن يوصل المعنى المراد بلغة علمية بسيطة وواضحة.

¹ - انظر تفصيل العملية عند الدكتور عروة: المرجع نفسه، ص 24.

² - انظر عروة: أفرايمم النار التي تورون ص 26.

³ - عروة: المرجع نفسه، 27.

الوجه الخامس الإعجاز في الجانب التبليغي:

يرى الأستاذ عروة رحمه الله تعالى أن هذا الوجه من الإعجاز "يظهر في تكيف الآية القرآنية مع هدفها التبليغي والاستدلالي حسب التفاوت البشري في إدراك الحقيقة العلمية التي تدعو إليها بحيث إنما تقنع الساذج الأمي كما تقنع الباحث الطبيعي المتعمق في الاختصاصات البيولوجية¹.

هذه الحقيقة التي يتصف بها القرآن في طريقة تبليغه، وهي بلا ريب طريقة إعجازية. سبق أن لفت انتباهنا إليها ابن رشد في كتابه مناهج الأدنة، وجاء في العصر الحديث الدكتور عبد الله دراز فوقف عندها وقفة تحليلية عميقة في كتابه المتميز "النبأ العظيم". وما هو الدكتور أحمد عروة يعطيها بعدها العلمي الذي كانت في حاجة إليه بما يتناسب والفكر العلمي المعاصر.

وبعد هذا يتساءل عروة قائلاً: كيف كان وقع الآية في ذهن البدوي الذي يسمع الآية القرآنية تتلى عليه أول مرة: (أفأنتم النار التي تورون)؟

والجواب كما يقول: "تأتي الآية لتخرجه من بدهاة الرؤية وتلقائية الاستعمال إلى مرحلة التدبر في الظاهرة نفسها وأسرار نشوتها وحكمة تسخيرها، وما تتضمنه من قدرة خالقة مدبرة. لقد كان ينظر إلى الأشياء التي تحيط به باعتبار علاقته معها والحاجة إليها في طلبه للمعاش والراحة والأمن، وذلك شأنه في الماء الذي يشرب ويسقي به مراعيه ودوابه، والطعام الذي يستحضره من العشب والحب والفواكه والأنعام، والنار التي يوقدها للاستضاءة والطبخ والتدفئة والحداثة.

ولربما كانت النار من بين تلك الظواهر الطبيعية أشد وقعا وتخيلاً لما تحمله من طاقة مدمرة مهلكة، ولعل هذا وراء تفديسها من قبل بعض الوثنيين². هكذا

¹ - عروة: المرجع نفسه، ص 28.

² - عروة: أفأنتم النار التي تورون، ص 29.

كان ينظر الإنسان إلى هذه الظواهر سواء كان وثنياً أو بدوياً عربياً بسيطاً، لكن عندما جاء القرآن وتحدث عن هذه الظواهر فنقل الإنسان من تلك النظرة الساذجة البسيطة إلى نظرة أخرى تتمثل المظاهرة على حقيقتها التي أرادها الله الخالق لها يقول عروة: "ويأتي القرآن الكريم بذكر المظاهرة ليتدبر المرء في خصائصها الطبيعية، وفي أنها تخضع لسنة خالقها في نشوئها وتسخيرها حتى يصل به العقل إلى الإيمان بالله تعالى"¹ كما يشير إليه قوله تعالى: نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرًا وَرَمَاقًا لِلْمُقِيمِينَ (73).²

ولما تطور العقل الإنساني من خلال التراكم العلمي والمعرفي الذي حققه، وبفضل الاكتشافات العلمية وتطور المناهج الاستدلالية؛ بدأ يكشف بصورة واضحة تلك الحقائق التي كان القرآن الكريم يشير إليها في الآيات التي كان يبلغها الرسول صلى الله عليه وسلم للناس، والتي توصل إلى بيان بعض معانيها الكثير من المفسرين للقرآن الكريم، وهذا ما بينه عروة حين قال: "ثم يتطور العقل البشري وتتسع مجالاته العرفانية؛ وتتراكم بحاربه، وتنضبط مناهجه الاستنباطية والاستدلالية، وهكذا يكشف أن النار عنصر طبيعي من بين العناصر الأساسية التي تتكون منها الكائنات الجاندة والحية" وهذه أول خطوة علمية للعقل الحديث نحو الإقرار بالإعجاز القرآني وإعطائه أبعاداً جديدة، يقول عروة: "فيتقدم العلم ليعطي الإعجاز القرآني أبعاداً جديدة تتناسب ومستحدثات العلم وتطور المفاهيم"³.

وهذه الحقيقة العلمية التي توصل إليها العلم الحديث، لم تخل كتب القدماء من المفسرين من الإشارة إليها وإن كان ذلك بصورة مجملة، وقد لمح الكاتب إليها بقوله: "ذلك ما نجد عند المفكرين والمفسرين الأفاضل الذين زعرت بهم الحضارة

¹ - عروة: المرجع نفسه، ص 29 .

² - سورة الواقعة / 73.

³ - عروة: أفرايض النار التي تورون ، ص 29.

الإسلامية في عهدوها الزاهرة من أمثال الفخر الرازي، وأبي حامد الغزالي وابن سينا، كما يتبين لنا من خلال شروحهم وتفسيرهم"¹.

وتأييدا لما قاله سابقا عن سبق القدامى في الإشارة إلى تلك الحقيقة العلمية الباهرة التي اكتشفها العلم الحديث في خصائص النار والحراة؛ يورد بعض الأمثلة مما قاله أولئك العظماء، منها المثال الأول هو الرازي فيقول: "يقول الفخر الرازي في تفسير الآية الكريمة (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون) ووجهه هو أن الإنسان مشتمل على جسم يحس به، وحياة سارية فيه، وهي كحراة جارية فيه، فإن استعدتم وجود حراة وحياة فيه فلا تستبعدوه فإن النار في الشجر الأخضر الذي يقطر منه الماء أعجب وأغرب وأنتم تحضرون حيث منه توقدون"².

وأما المثال الثاني فهو ابن سينا الذي تحدث عن دور الطاقة الشمسية في إنضاج الفواكه قبل اكتشاف العلم الحديث لعملية التمثيل الضوئي بتسعة قرون، وكلام ابن سينا كما يورده عروة، يقول: "تكون الفواكه التي تحلو تكون أولا فيها عفوضة شديدة التبريد فإذا جرت فيها هوائية ومائية حتى تعتدل قليلا بالهوائية ويأسخان الشمس للمنضج مالت الحموضة مثل الحصرم، وفيما بين ذلك تكون إلى قبض يسير ليس بعفوضة، ثم تنتقل إلى الحلاوة إذ عملت فيها الحراة المنضجة"³. بهذا الوضوح في العبارة والدقة في الملاحظة تنبه العلماء المسلمون القدامى إلى هذه الظواهر الملفتة التي أشار إليها القرآن وعبرت عنها الآيات بطريقة إعجازية، تدل على أن القرآن وحى من الله لا ريب في ذلك، وذلك ما يؤكد العلم الحديث من خلال اكتشافاته.

¹ - عروة: المرجع نفسه: ص 30

² - عروة: المرجع نفسه: ص 30.

³ - عروة: المرجع نفسه، ص 30 - 31.

الكشف العلمي الحديث عن الإعجاز في ظاهرة النار:

لا ريب أن الاكتشافات العلمية التي حققها الإنسان في القرون المتأخرة وبالخصوص القرن الماضي قد فتحت أفاقاً معرفية كثيرة للإنسان ووسعت من مجال إدراكه لحقائق الوجود والكون، ومن ذلك ما كشفه العقل المسلم من إدراك بعض معاني ومقاصد النصوص القرآنية لكثير من الآيات التي لم يكن بإمكان الناس فهمها وإدراكها كما هو اليوم، من ذلك ما كشفه العقل الحديث في ظاهرة النار، ورفع الستار عن طبقة جديدة من الإعجاز القرآني، وهذا ما توصل إليه عروة في دراسته لظاهرة النار في ضوء المعارف العلمية الحديثة يقول عروة: "ثم يأتي عصر الاكتشافات العلمية الياصرة والإنجازات التقنية والصناعية الهائلة، فتكشف عن أسرار الخلق الدقيقة وتحتل الطاقة النارية مكانتها القوية سواء في العلوم الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية والتطبيقية.

ويرفع العلم الستار عن طبقة جديدة من الإعجاز القرآني مصدقة لما فيه وداعية إليه".¹ وإذا كان العلم الحديث قد تصادم مع الكنيسة وبعض معتقداتها، وهذا يرجع كما نعلم إلى طبيعة العلاقة بين الكنيسة والعلم في العصور الوسطى في الغرب. فإن الاكتشافات العلمية بالنسبة للمسلمين "تؤيد الآيات القرآنية وتعطيها بعداً أعمق ومدلولاً أوسع، وتثبت إعجازها الاستدلالي، وهو ما ينجلي بوضوح في آية النار كما استخلصه عروة من بحثه حين قال: "بينما تبقى حجة الآية الاستدلالية والوعظية تطرق أذهان البشر على مر العصور فلا يزالون يجدون في آيات النار وأسرار نشأتها وحكمة تسخيرها دليلاً ساطعاً على وجود خالقها، ولا يزال البحث العلمي

¹ - عروة: أفرأيتم النار التي تورون، ص 31.

يراود أسرار الكائنات في النفس الإنسانية وفي آفاق الكون ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾، سورة فصلت الآية: 35.

الوجه السادس الإعجاز القرآني في ترابط الآيات:

الوجه السادس من أوجه الإعجاز القرآني عند الدكتور عروة "يتجلى في الترابط الدقيق بين ظاهرة النار وبقية الظواهر الطبيعية من ناحية، ومن ناحية أخرى بين آية النار ومختلف الآيات الكونية الأخرى في القرآن الكريم، وكل ذلك يشهد على دقة الخلق وتناسقه ووحدانية الله تعالى وصدق القرآن الكريم".¹

ويظهر ذلك الترابط من خلال تلك العلاقة التي توجد بين الطاقة الشمسية وبين مظاهر الحياة في الأرض كما بينه الباحث عروة، سواء بالشكل البياني الذي رسمه أو بقوله: "إن النار من الآيات المتحلية في الآفاق ولا تنفصل عن نظام العالم، ولا تخرج عن حكمة وجوده وغاية تسخيرها للإنسان كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾². هذا عن آية النار، وأما عن الترابط بين الآيات "فيظهر في العلاقة الحياتية بين الطاقة الشمسية ومظاهر الحياة في الأرض كما يمثلها الشكل"³.

إن ذلك الترابط البديع الموجود بين العمليات التي تتم في الكون، ويظهر فيها دور الطاقة الحرارية والتي هي أحد مظاهر النار ومرحلة من مراحل تحولها تعبر عن بديع صنع الله في الخلق، وعن إعجاز التعبير القرآني، وقد لخص لنا أستاذ الطب والباحث في تاريخ العلوم عند المسلمين الدكتور أحمد عروة حقيقة هذه الظاهرة وكشف لنا عن نواحي الإعجاز فيها في بحثه نقف على تفصيله من خلال كلامه،

¹ - عروة: أقرآيم النار التي نورون، ص 34 .

² - سورة لقمان / 20.

³ - انظر الشكل في كتاب عروة، المذكور سابقا، ص 35.

الإعجاز القرآني عند الدكتور أحمد عروة في ضوء المعارف العلمية الحديثة - د. السعيد رحمانى

الذي يقول فيه: "خلاصة هذا الترابط بيّن،" هو أن الشمس تبعث أشعتها الحرارية والضوئية على سطح البحر وعلى المساحات الأرضية فتثير بسخونتها تبخر الماء وصعوده إلى الأجواء الباردة حيث يتكاثف البخار المائي في السحاب وتتكون منه الأمطار، بينما تثير تلك التيارات الحرارية تحركات هوائية تنتج عنها الرياح التي تسوق السحب إلى داخل البراري والأقطار، وأما أشعة الشمس الضوئية فإنها تنفذ إلى خلايا النبات المختلفة، وتعدّها بالطاقة التي تكون بها الطاقة العضوية، ومن تلك المادة تتغذى الحيوانات والإنسان، بينما تتراكم فضلاتها وتتحلل جزئياً، وتتكون منها أنواع المحروقات"¹.

والسؤال هنا من أين جاء هذا الترابط البديع والتنسيق الحكيم بين الطاقات الكونية والحياة الأرضية ؟

لقد كان جواب الماديين والملحدّين هو القول بالصدفة، ولكن الحقيقة العلمية تقول غير ذلك. إن هذا الترابط البديع والتنسيق الحكيم بين الطاقات الكونية والحياة الأرضية ليس من شأنه أن يكون نتيجة الصدفة العمياء بل يشهد على حكمة الخالق ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسْوَى (2) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (3)﴾.²

إن هذا الترابط البديع بين الآيات والذي هو دليل على الإعجاز نلاحظه ونجده في إشارات القرآن كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ

¹- عروة: أقرأهم النار التي تورون، ص 36.

²- سورة الأعلى / 2-3.

وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ(164) ﴿١﴾.

فهذه الآية الكريمة الجامعة كما يقول عروة "، ترجع بنا إلى التحليل السابق، وتعبر عن تناسق الطاقات الكونية وتسخيرها في الأرض، وتسخير الكل للإنسان المستخلف في الأرض".

ثم توقف الدكتور عروة عند الآية السابقة واستخلص منها نواحي الإعجاز العلمي في دور الطاقة النارية المنبعثة من الشمس وشرحها على النحو الآتي:

1. خلق السماوات والأرض:

الشمس نجم من بين النجوم الوهاجة التي تسبح في السماء ولا تحصى عددا، وإنما سخرها الله خاصة للحياة في الأرض، وخلق الأرض على بعد منها محدد ومقدر، بحيث إن الأرض تلتقط من حرارة الشمس كمية موزونة من الأشعة الضوئية والحرارية بقدر ما تحتاجه الحياة لنشأتها ونموها وانتشارها.

2. اختلاف الليل والنهار:

وهو حركة الأرض حول محورها التي بفضلها تتوزع الطاقة الشمسية على جميع أنحاء الأرض المعمورة بالتداول، بينما تستغرق فترة الليل لنشاطها أو للسكنات الاستكمالية سواء على مستوى النبات أو على مستوى الإنسان والحيوان.

3. الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس:

منها القلاعية التي تسير بدفع الرياح الذي تثيره حرارة الشمس، ومنها الحركة بأنواع الوقود المشحونة بالطاقة النارية المحولة.

¹ - عروة: المرجع نفسه، ص 37.

ونفس الشيء يجري على أنواع المركبات البرية والجوية وعلى الآلات
المصنوعة التي تتحرك بطاقة المحركات ومشتقاتها.

4. نزول الماء من السماء:

يحدث من خلال الدورة المائية التي تثيرها الطاقة الشمسية بتسخين مياه
البحر وتبخيرها، وتصعيدها في الجو، وتكثيفها في السحاب، وانزالها على الأرض.

5. إحياء الأرض بعد موتها:

كما يلتقي الماء بعناصر الأرض والهواء والطاقة الشمسية، وتولف بينهم
القدرة الخلاقة، كما بيّنا ذلك في ظاهرة التمثيل الضوئي، وكما تشير إليه آيات
قرآنية كثيرة منها قوله تعالى: (وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت
وربت وأنبت من كل زوج بهيج)¹.

6. الحياة النباتية والمياه الجارية:

ومن الحياة النباتية والمياه الجارية تتغذى الدواب وتتكاثر الأنعام وتتوالد
الحيوانات، ويسخرها الله للإنسان كما سخر له ما في الأرض جميعا قال تعالى:
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِنَّا عَمَلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (71)
وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (72) وَلَهُمْ فِيهَا مَنَاقِعُ وَمِمَّا رُبُّوا أَفَلَا
يَشْكُرُونَ (73)﴾².

7. تصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض:

لقد رأينا كيف ينتج ذلك عن التفاعلات والحركات التي تثيرها الطاقات
الشمسية على سطح الماء وفي الهواء قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْجِي سَحَابًا ثُمَّ

¹ - سورة الحج / 5 .

² - سورة يس / 71 - 73 .

يُؤَلَّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزَلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ (43) ﴿١﴾

في كل هذه المراحل من حركة الطاقة وتحولها لتكون هي العنصر الفعال في هذه الحركة الضرورية للحياة كما أرادها الله تعالى، تتجلى قدرة الله تعالى وحكمته وبديع صنعه، منها يتجلى الإعجاز في ترابط الآيات، وقد حاول الأستاذ عروة بيانه كما رأينا فيما قدمناه.

الوجه السابع الإعجاز العلمي في حكمة الاستدلال بظاهرة النار:

يظهر الإعجاز القرآني في نواح متعددة منها الإعجاز الذي يظهر كما يرى عروة في الاستدلال بظاهرة النار، وهي لفظة علمية متميزة أتى بها الدكتور عروة يقول رحمه الله تعالى: "رأينا في النوع الثاني من الإعجاز العلمي أن القرآن الكريم يستشهد بظاهرة النار لإثبات حقيقة البعث وفي العرض الأخير لوجود الإعجاز حاولنا أن نستكشف سر الاستدلال بظاهرة النار خاصة"². وينطلق عروة في بيان هذا الوجه من أوجه الإعجاز من مقولة الماديين في تفسير الوجود والحياة، وكيف رد عليهم القرآن من خلال الكثير من الآيات منها آية النار، فيقول: "عن الماديين يعتمدون في إنكارهم لحقيقة البعث على المشاهدة للظواهر الطبيعية، ويستدلون بقوانين المادة وطبائعها للحكم على ظاهرة الحياة نفسها بأنها عفوية أو حتمية لا تخضع لإرادة أو قدرة خارجة عنها، ويأن ماأما الحتمي هو الفناء والرجوع إلى طبائع وعناصر المادة الأولى" هذا هو تفسير الفكر المادي الملحد للحياة وللوجود، ولمن القرآن يرد على

¹ - سورة النور / 43 .

² - عروة: أفرأيتم النار التي تورون ، ص 41.

هذه النظرة يبين بطلانها، وذلك من خلال الآيات التالية: قال الله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (79)﴾¹، وقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ (80)﴾²، وقال: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (71) أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ (72)﴾ وقد بين عروة - بعد ذكره لهذه الآيات التي ترد على الفكر المادي الملحد المنكر للمخالق وللبعث- أنه بالمقارنة بين نشأة الإنسان الذي نفخ الله فيه الروح، وبين نشأة الشجر الأخضر الذي شحن فيه طاقة النار تبين لنا حكمة بديعه في الاستدلال بها، وذلك ما لاحظته في العناصر التالية التي حصرها وشرحها وهي: (التشابه الخلقى - التكامل الحياتي - التناسب الاستدلالي) وبينها بالتفصيل في الدراسة بالشرح والبيان وبالأشكال البيانية.³

الوجه الثامن الإعجاز العلمي في تحدي القرآن للإنسان:

ذكر الكاتب أن هذا النوع من الإعجاز القرآني يختلف عن الأنواع الأخرى التي لاحظنا ترابطاً وتكاملاً بينها، ومعنى هذا الوجه من الإعجاز هو: أن القرآن الكريم يتحدى الإنسان من حيث قدرته على الخلق أو التحكم في مجرى قوانين الكون⁴.

وإذا كان التحدي الاستدلالي جاء ليدحض جدلية المنطق الإلحادي بفضح تناقضاته ونقائصه، فإن التحدي الإعجازي يهدف إلى إبطال الجدل الإلحادي الذي يحاول استصغار القدرة الإلهية أو إنكارها.

¹ - سورة يس / 79 .

² - سورة يس / 80 .

³ - انظر تفصيل الشرح والبيان لهذه العناصر الثلاثة عند عروة، ص 44-53.

⁴ - انظر عروة: أفرايتم النار التي تورون ، ص 54 .

أين نجد هذا التحدي الإعجازي؟

منذ اللحظة الأولى التي نزل فيها القرآن بدأ يتحدى الإنسان، والتحديات التي وجه بها القرآن الكريم الإنسان متنوعة منها (تحدي القرآن للإنسان من حيث قدرته على الخلق أو التحكم في قوانينه).

وقد حاول الباحث الدكتور أحمد عروة شرح هذا النوع من الإعجاز ببيان الحكمة منه وموضع وجوده في القرآن وأبعاده، ورده على طريقة الملحددين، نلخصها فيما يأتي:

موضع التحدي في القرآن:

يقول عروة مبينا موضع التحدي في آيات القرآن: "نجد هذا النوع من التحدي القرآني في أوضح تعابيره في محاجة إبراهيم عليه السلام لصاحب الملك في عهده حين قال: ﴿قَالَ أَنَا أَخِي وَأُمِّيْتُ﴾¹ وما كان ذلك الزعم عند الطاغية إلا تلاعبا بالألفاظ، وتلبيسا للمعاني لأن قدرة الإحياء والإماتة التي كان ينسبها لنفسه ليس لها البعد المطلق الذي تحمله في خلق الله جل وعلا، وكان التحدي حاسما على لسان إبراهيم عليه السلام حين قال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾². والتحدي هنا يظهر عجز الإنسان عن المساس بسنة الله في الكون أو مضاهاة القدرة الإلهية. نفس التحدي نستنبطه من مضمون الآية الكريمة:

﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (71) أَنَّكُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا. أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ (72)﴾.

¹ - سورة البقرة / 258 .

² - سورة البقرة / 258 .

أبعاد التحدي القرآني:

يشير الكاتب إلى أبعاد التحدي القرآني، ويذكر أن له بعدين متكاملين يدعم أحدهما الآخر، وهما:

أولا البعد الذي يظهر قدرة الله تعالى وواسع علمه:

هذا البعد الذي يعظم القدرة الإلهية هو الذي شرحه الكاتب في شرح ظاهرة النار وتسخير الطاقة الحرارية. وقد ذكرنا طرفا منه.

ثانيا البعد الذي يكشف عجز الإنسان وسخافة الاستكبار الإلحادي:

يتمثل في مطالبة الإنسان بتقديم برهانه على ما يدعيه من القدرة ومن الاستغناء عن الخالق لأنه ليس في متناوله أن ينشئ ذلك الشجر الذي اختزن الله فيه طاقة النار.

وإذا كان التحدي في عصور الجاهلية الأولى يتوجه إلى قوم لا يملكون من المعرفة والمقدرة إلا القسط الضئيل فإنه في عصر الاكتشافات الباهرة والانجازات الماثلة يكتسي خطورة تكبر بقدر الاستكبار الإلحادي الذي يعتمد عليها.

لقد كان الإلحاد البدائي يجادل في البيهيات عن طريق الجدل البسيط كما حكى القرآن الكريم موقف الملحدّين في قوله تعالى: (قال من يحيي العظام وهي رميم)¹.

أما في العصر الحديث فإن الإلحاد يمتطي منهج الجدلية المادية التي لا تكفي بإنكار وجود الخالق اعتمادا على ظواهر الأشياء، وإنما تحاول أن تقدم البرهان العلمي على ما تدعيه، وفي ذلك الغرض تسلك المادية الجدلية طريقتين مترادفتين:

¹ - سورة يس / 78 .

أ- طريق التحليل العقلي.

ب- طريق التخليق الاصطناعي.

ولكى يبين الباحث تماثف النظرية المادية في تفسير ظواهر الحياة والوجود قام بعرض ملخص لطريقة النظرية المادية في تفسير الوجود والحياة التي تدعى الموضوعية والعلمية، وبين تماثفها استنادا إلى معطيات العلم الحديث وحقائق القرآن وطريقة استدلاله بأية النار، وإفادة القارئ بهذا العرض العلمي المبسط أعرض كلام عروة باختصار.

يقول عروة في بيان طريقة التحليل العقلي عند الماديين: "تعتمد هذه الطريقة على التفسير الموضوعي لظواهر الحياة، وتحاول أن تبين أن الحياة بما تشمله من كائنات دقيقة ونباتات وحيوانات وإنسان عاقل ليست نتيجة إرادة إلهية مقدرة ومدبرة، وإنما هي نتيجة لتطورات متتالية تخضع لعاملين طبيعيين هما:

1. عامل الطاقة التي تجمع بين العناصر الطبيعية.

2. عامل الحتمية التي تجمع بين القوى الكامنة في تلك العناصر فتنشأ عنها مركبات كيميائية تتزايد في التكاثر والتعاقد حتى تظهر فيها طبائع الأشياء وكيفيات تقفز بها إلى مستوى أعلى من الوجود، وهو مستوى الحياة. وتشمل هذه النظرية كل ظواهر الحياة، وهي النمو والتوالد وتخزين الطاقة وتحويلها إلى نشاط وظيفي".¹

وبين عروة أن هذه المزاغم لأصحاب هذه النظرية لا تصمد أمام حقائق العلم ولا أمام ما جاء في القرآن من الحقائق في تفسير ظواهر الحياة والوجود بمختلف مستوياته، وذلك بقوله: "ولعل ظاهرة التمثيل البيخضوري التي يتميز بها النبات هي من الميادين العلمية والاختبارية التي توصل فيها العلم إلى أبعد مدى من التحليل

¹ - عروة: أفرايمم النار التي تورون ، ص 57 .

والتدقيق رغم أن ذلك العلم مع إمكانياته ووسائله الهائلة لم ينفذ ولا يمكن له أن ينفذ إلى الأسرار النهائية، وهي أسرار تسخير الطاقة لوظيفة الحياة¹، فكيف له أن ينفذ إلى ما هو أبعد من ذلك من الظواهر كما يزعم الماديون في نظرياتهم وادعاءاتهم.

حقيقة مزاعم العلماء الماديون:

ينطلق العلماء في بحثهم لمظاهر الحياة والوجود في هذا الكون من حواسهم ومعطيائهم المعرفية التي تستند إلى عقولهم وإلى معرفهم المكتسبة، وهي في حقيقة الأمر محدودة إذا ما قورنت بهذا الكون الفسيح، ولهذا فالتوقع لنتائجهم أن تكون هي الأخرى محدودة أو جزئية، ولذلك يرى أحمد عروة، كما يرى غيره من العلماء في الغرب وفي العالم الإسلامي أن ما يتوصل إليه الإنسان في هذا الميدان من البحث هو قاصر وعاجز عن إدراك حقائق الوجود الكوني والإنساني². وقد أشار عروة إلى حقيقة ما توصل إليه الفكر المادي فقال: "ومهما بلغت مزاعم العلماء الماديين فأهم لا يخرجون من ملاحظة الأشياء واستكشاف الكيفيات، وكلما حاولوا إدراك الأسباب والغايات وقعوا في مناهات الظن والتخمين، وكان ذلك حظ كل الفلاسفة الماديين سواء كانوا ماركسيين مثل: (ماركس) نفسه و(إنجلز) لا سيما في كتابه (جدلية الطبيعة)، أو مثل من تأثروا من بعدهم بالفكر المادي ولو لم ينتسبوا مذهبياً إلى الأصول الماركسية، ومنهم (جاك مونود) في كتابه (الصدفة والحتمية) أو (ألان جاكوب) في كتابه (منطقية الكائن الحي).

¹ - عروة: المرجع نفسه، ص 57-58.

² - من هؤلاء العالم الطبيب المشهور ألكسيس كاريل الذي كتب الإنسان ذلك المجهول، ومن الكتب التي تشير إلى عجز العقل الحديث عن إدراك حقائق الوجود (العلم في منظوره الجديد) لجورج ستانيسو وزوربرت غروس.

تناقض الجدليين في ادعاءاتهم:

يشير الدكتور عروة إلى حقيقة الفكر المادي وأنه قائم على التناقض وعلى الادعاء الكاذب، وذلك حين يعتمد في استدلاله على أخذ جانب من القضية وترك الجانب الثاني اللازم منها، فيقول: "ومن الغريب أن أولئك الجدليين يعتمدون على إتقان المصنوع لإنكار الصانع، وعلى إثبات الآية الحياتية لتكذيب الغاية الوجودية فيقعون في تناقض جدلي فظيح كما نجد في قول (ألان جاكوب) في كتابه منطقية الكائن الحي: "إن الكائن الحي يمثل حقا تنفيذ تصميم، ولكن ليس هناك عقل يديره، إنه يسعى لتحقيق هدف، ولكن ذلك الهدف ليس نتيجة لإرادة مخيرة"¹. والماديون لا يكتفون بالتناقض الجدلي هذا بل يصلون إلى أبواب الحق ثم يتعدون عنه خائفين منه ورافضين له كما يرى الكاتب.

طريقة التخليق الاصطناعي:

هذه هي الطريقة الثانية التي يعتمدها الماديون الجدليون في منهجهم، فهي ملازمة لمنهجهم العنادي² وتمثل في محاولة إثبات نظرية التخلق الذاتي بتدخل الإنسان في عمليات التفاعل الطبيعية حتى يستخرج منها المادة الحية، وفي رأيهم أنه إذا ثبت أن الإنسان قد استطاع أن يصنع المادة الحية، أو كائنا يملك صفات الحياة: فإن ذلك قد يبرهن على أن ظاهرة الحياة قد تستغني عن تدخل قدرة مخارحة عن الطبيعة.²

¹ - عروة: أقرأتم النار التي تورون، ص 58 .

² - وقد تطورت في وقتنا الحاضر هذه المحاولات وأخذت شكلا آخر تمثل في الاستساخ وعملية البحث في الجينات بعد اكتشاف الخارطة الجينية، وتهليل الكثير من الأوساط في العالم المعاصر بقرب توصل الإنسان إلى كشف حقيقة الحياة، والتحكم في مصير الإنسان. ولكن هذه المحاولة في تقديري لا

محاولات الماديين الزائفة لصنع الحياة:

ضرب الدكتور عروة مثالا لمحاولات الماديين الفاشلة لتأكيد زعمهم، فيقول: "وانطلق المعاجزون يحاولون خلق الظروف المناخية التي يظنون أنها كانت تسود في الأرض عند بروز الحياة فيها فصنعوا أوعية مشحونة بالغازات والأبخرة، وأثاروا فيها زوايح مهيجة للمركبات الكيميائية، وقذفوا فيها بصواعق الكهرباء والأشعة فوق البنفسجية، ولم تتمخض العملية ولا غيرها من الاختبارات المماثلة إلا على مركبات كيميائية عادية لا تكسب من طبائع الحياة شيئا¹. فهل يستطيع الإنسان أن يغير شيئا من سنة الله في الحياة؟ هذا السؤال أو ما يمكن اعتباره إشكالا مطروحا لدى كثير من الباحثين في ظل محاولات الإنسان المعاصر الدخول في المنطقة المحظورة، يجيب عنه عروة بقوله: " لم يستطع ولن يستطيع في تجاربه واختباره وإنجازاته التكنولوجية الهائلة أن يغير سنة الله في المخلوقات، ولا أن يصنع مادة نباتية ولا حيوانية تملك صفات الحياة، ذلك لأنه لا يكسب من العلم إلا علمه الله، ولا يكسب من القدرة إلا التي سخرها له بمنحه العقل المبدع وبتذليل الطاقات والكائنات له" وقصارى ما يستطيع الإنسان أن يفعله "بتلك القدرة المودعة فيه، وبتلك الطاقات المسخرة له يمكن للإنسان أن يستخدم الطاقة الشمسية وغيرها من الطاقات الكامنة في البر والبحر وفي الشجر وفي الحيوان، وحتى في الكائنات الدقيقة

تختلف في حقيقتها وجوهرها عن تلك الادعاءات السابقة التي كان يروج لها الماديون الماركسيون من قبل.

¹ - وقد حدث ما يشبه هذا الصنيع في السنة الحالية (2009م) حين قام العلماء ببناء أكبر نفق تكلف ما يقرب من 3 مليار دولار، لمحاكات بداية الحياة، وكشف أسرار بداية الوجود، ولكن رغم الخسارة الكبيرة التي تكلفها المشروع لم يحقق شيئا.

التي لا تحصى كما ولا نوعا، والتي أودع الله فيها قدرة التزود بالطاقة الشمسية واستخدامها لتأدية وظائفها الحياتية".¹

هذا هو أقصى ما يستطيع الإنسان فعله بما أوتيته من علم وقدرة على كشف بعض مظاهر الطبيعة كما خلقها الله تعالى.

والخلاصة التي يمكن أن ننهي إليها مع أستاذنا الكبير أحمد عروة من خلال بحثه العلمي الذي تناول ظاهرة النار انطلاقا من قوله تعالى (أفرأيتم النار) أن "الاكتشافات العلمية سواء في الكون الكبير أو في الكون الجزئيات الصغيرة، وسواء في مركبات (المُتَكُونَدِرِيَّة) التي تستهلك الطاقة داخل الخلايا البدنية أو مركبات اليخضور التي تخزن تلكم الطاقة في خلايا الشجر الأخضر تؤيد الحق وتدعو إليه، وتكشف أن التحدي القرآني يكبر ويظفي على المعاندين ليلتقم ما خلقوا وما حرقوا فترجع البراهين إلى محور المكذبين هذا من جهة. ومن جهة أخرى أثبت العلم إعجاز القرآن الكريم في آية النار التي شرحها عروة في واجهتين كما يقول عروة:

1. واجهة الاستدلال بعظمة الخلق التي تعجز علم العلماء.

2. واجهة التحدي الذي يظهر سخافة المستكبرين المنحدين بعجزهم عن

إنشاء الشجرة التي يستخرجون منها نورهم ونارهم.²

¹ - عروة: المرجع نفسه، ص 60 - 61.

² - انظر عروة: أفرأيتم النار التي تورون، ص 61 - 62.


خاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة نستطيع القول: إن العلم الحديث وما يحققه من تقدم مهما بلغت درجة دقته، فهو لا يخرج عن كونه كشف عن بعض حقائق الوجود، وأسراره الكبيرة التي أودعها الله فيه، ومن ثم يتيح الفرصة للعلماء لإدراك بعض جوانب الإعجاز القرآني كما رأينا عند الدكتور أحمد عروة في هذا البحث القيم الذي كشف من خلاله عن أوجه الإعجاز القرآني كما لاحظها في آية نار.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



جهوده في المجال
الاجتماعي والخدمي

قضايا اجتماعية في تحليل

الدكتور أحمد عروة¹

د. بشير فايز

جامعة مكيف²

مقدمة:

كانت ولا زالت، المسألة الاجتماعية بشكل عام، وقضية المرأة بشكل خاص، من بين أهم القضايا المطروحة في المجتمعات العربية والإسلامية، تناولتها النخب المثقفة والتيارات الفكرية والدينية والاجتماعية والسياسية المستنيرة، انطلاقاً من قناعاتها بأنها قضية مركزية في عملية الإصلاح الاجتماعي أو التغيير، لا يمكن تجاهلها بأي حال من الأحوال، للخروج من حالة التخلف والجمود والانحطاط، التي تحيكت على مختلف أوجه الحياة، في البلاد العربية والإسلامية، لقرون عدة. وبطبيعة الحال، لم تكن المحاولات والدعوات إلى معالجة المسألة، معالجة فكرية هادئة، لتمر دون أن تثير عواصف لم تهدأ إلى غاية الآن، استهجن مشروها المبادرة بطرح المشكلة

¹ - أحمد عروة: ولد في بلدة امدموكال القريبة من مدينة بركة، في 11 ماي 1926م، تحصل على شهادة البكالوريا بفرنسا خلال السنة الدراسية 1947م/1948م، تحصل على شهادة الدكتوراه في الطب من جامعة مونبولي 1955م، اعتقل في نهاية شهر فيفري 1957م من قبل سلطات الاحتلال بسبب نشاطه لصالح الثورة التحريرية، أصيب خلال مظاهرات 11 ديسمبر 1960م، تنوع نشاطه بعد الاستقلال بين مواصلة مهنة الطب واللقاء المحاضرات بجامعة الجزائر والنضال الحزبي، وشغل المناصب العلمية والإدارية، تم تعيينه مديراً لجامعة الأمير عبد القادر للعلم الإسلامية، وهو المنصب الذي بقي فيه إلى غاية وفاته في 27 فيفري 1992م. جمع بين ثلاثة مجالات: الطب، الأدب، الفكر الإسلامي، خلف تراثاً علمياً وفكرياً غزيراً باللغة الفرنسية نذكر منه: الإسلام في مفترق الطرق، العلم والدين مناهج ومفاهيم، الإسلام والديمقراطية... إلخ.

من أساسها، لأنه لا وجود في تصورهم، لما يسمى بقضية المرأة أو مشكلة المرأة أو غيرها من التسميات، متهمين أصحابها بالوقوع تحت تأثير الغزو الفكري والثقافي، والتيارات التغريبية المعادية للإسلام.

وإذا كانت غاية التيار الأول، هو البحث في كيفية النهوض بالمرأة العربية والمسلمة، فكربا واجتماعيا، حتى تكون عنصرا أساسيا وفعالا في المجتمع، فإن مبتغى التيار الثاني كان الإبقاء على الوضع كما هو عليه، ربما لعدم إيمانه بوجود دور ما تلعبه غير إنتاج النسل، والسهر على خدمة الرجل الذي يظل في الأخير هو الكائن الكامل والأقوى، وهي الكائن الناقص أو الضعيف.

وبين التيارين، تيار ثالث، يساند رأي التيار الأول بكون أن معالجة قضية المرأة أولوية أساسية، لكنه يختلف معه في الوصفة العلاجية، حيث يطرح بديلا جاهزا وهو المرأة الغربية، التي يعتبرها النموذج الأرقى الذي ينبغي أن تقتدي به المرأة العربية والمسلمة، إن هي أرادت فعلا أن تكسر قيود الجهل والتخلف والعبودية، التي طوقتها من كل جانب منذ مدة طويلة من الزمن.

انتبه الدكتور أحمد عروة، إلى أهمية المسألة الاجتماعية بشكل عام، ووضع المرأة بشكل خاص، في عملية التغيير الشامل التي تنشدها النخب العربية والمسلمة، منذ القرن التاسع عشر وإلى يومنا هذا، دون أن تصل إلى تصور قابل للتجسيد، حيث بقي الأمر حبيس النيات والأمنيات، ومنه فقد تحدث في البداية، عن ما أطلق عليه المركز القانوني للمرأة المسلمة والمقصود به حقوق المرأة، ثم تعدد الزوجات وانعكاساته على للمرأة نفسها وعلى المجتمع.

1- حقوق المرأة:

يرى الدكتور أحمد عروة، أن هناك ضرورة ملحة، لمناقشة مشكلة المركز القانوني للمرأة المسلمة، بالرغم مما تثيره من خلافات وجدال، تلك المشكلة التي لم نجد حلاً في الدول المتقدمة مثل: فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية، وسويسرا وروسيا¹.

تفيدنا لما تراه شريحة لا بأس بها، من أبناء العرب والمسلمين، من أن تلك الأمم التي تبوأ مركز الصدارة في الرقي التمدن، قد حسمت مشكلة المرأة حسماً نهائياً، باتفاق جميع مكوناتها: الاجتماعية، وتياراتها السياسية والفكرية، والأيدولوجية والمذهبية، على خلاف ما هو عليه الحال في البلاد العربية والإسلامية، التي لم يرسو فيها النقاش حول القضية إلى أرضية تسمح بمناقشتها على أسس صلبة، تؤدي إلى حسمها وليس إلى تأزمها وتعقدها، مثل ما حصل لباقي القضايا الأخرى، التي كساها غبار الزمن، دون أن تعرف طريقها إلى الحسم، حتى تفسح المجال أمام قطار النهضة والتغيير للإنطلاق.

وهو فيما سبق، يتفق مع المفكر مالك ابن نبي، الذي أكد على حتمية حل مشكلة المرأة، حلاً تكون فيه مصلحة المجتمع في المقام الأول، لأن المجتمع يتكون من عنصرين -مركزيين- هما الرجل والمرأة، لا يمكنه أن يقوم إلا بهما، بعيداً عن النزعات التي تسعى في الظاهر إلى إيجاد الحل، لكنها في واقع الأمر لا تريد لها حلاً².

¹ - أحمد عروة: الإسلام في مفرق الطرق، ترجمة عثمان أمين، د ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر: 1981م، ص 80.

² - للمزيد أنظر مالك ابن نبي: شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، سلسلة مشكلات الحضارة، د ط، دار الفكر، سورية، ص 115.

ولا شك أن حال المرأة في أوروبا عامة، والغرب خاصة، مازالت تراوح مكانها، وبالتالي لا يمكن بأي حال من الأحوال، أن تكون المثل الأعلى الذي تسعى النساء في البلدان العربية والإسلامية إلى الارتقاء إليه، على الرغم مما يبدو في الظاهر، من توافق جماعي على الدور المنوط بها داخل المجتمعات الغربية، التي بلغت شأنًا عظيمًا في التحرر من كافة القيود الاجتماعية، سواء تعلق الأمر بالمرأة أو الرجل.

وقد عبر مالك ابن نبي عن هذا الوضع، بقوله: ((...فإن مشكلة المرأة الأوروبية ما زالت خطيرة. حتى في ذهن المرأة ذاتها، وفي تصورنا لنفسها، كيف تتحقق كمثال أعلى خلقي وجمالي للحضارة))¹.

وفي تقدير الدكتور عروة، أن بداية النقاش تكون من الآية القرآنية الكريمة: "ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف" (البقرة: 228) - التي تبين بوضوح تام مكانة ودور المرأة المسلمة في المجتمع المسلم - ومع ذلك من غير المفهوم أن تتحول مشكلة "الجنس الضعيف" إلى نقطة ضعف في الدفاع عن الإسلام في هذا العصر، يتساءل الدكتور أحمد عروة؟².

وفي تحليله، يذهب إلى أن مصدر ذلك، سيان أساسيان هما:

السبب الأول:

ويتمثل في مناخ التخلف الشامل، الذي مس كل مناحي الحياة في المجتمع الإسلامي، وساهم في التخلف الرجل والمرأة على حد سواء، فلا سيادة إلا لمظاهر التخلف الاقتصادي والعقلي، التي تأتت من الأحكام المسبقة والأنانية والجهل

¹ - ابن نبي، المرجع السابق، ص 117.

² - عروة: المصدر السابق، ص 80.

واخرافات بكل أنواعها، وهي ولا شك صفات تناقض ما يتميز به الإسلام من روح تحررية¹.

أي أن وضع المرأة المسلمة، هو في واقع الأمر، نتاج للمناخ السالف الذكر، وليس العكس هو الصحيح.

ويضيف الدكتور عروة: أن المأساة التي تعيشها الأسرة المسلمة، سببها حياة التناقض التي تعيشها، حيث تاهت، بين علمين متعارضين: ((يتخالطان ويتداخلان، دون أن يفهم أحدهما الآخر، ومن أن المسخ الذي يحاول الخروج من شرنته، لا هو دودة القز ولا هو فراشة. ولكن المرأة المسلمة سائرة إلى التحرر مع الرجل في آن واحد، مع ضروب من الشطط لا معدى لها، وأخطاء تكلفها غالبا، لأن الكثيرات من الفتيات المتحررات، يخلطن بين الحرية والخلاعة، وينتقلن في سهولة كبيرة من "الخايك" إلى "الميني جيب". وبديهي أن المجتمع الإسلامي ستكون رسالته تحديد الإطار الذي تتطور فيه أخلاق الجنسين))².

وفي هذا يشير إلى نقطتين مهمتين:

تتمثل الأولى، في أن سعي المرأة إلى التحرر، هو جزء من عملية شاملة، هي تحرر المجتمعات العربية والإسلامية، التي كانت تعيش خارج العصر، تتغنى بأبجدها العلمية والحضارية، التي تحققت أثناء القرون الأولى، منحنبة التفكير في الوسائل التي تمكنها من استعادة ذلك المجد المندثر، متجاهلة الانقلاب الهائل، الذي أحدثته الحضارة الغربية الحالية، في كل الميادين وعلى كافة الأصعدة³.

¹ - المصدر نفسه، ص 81.

² - عروة، المصدر السابق، ص 81، 82.

ففي الوقت الذي أدت علوم الكون والطبيعة، إلى نقلة مذهلة في حياة الأمم المتقدمة، فانتقلت من عصر البخار إلى عصر الذرة والفضاء، ظل العرب والمسلمون متمسكون بأفكار وسياسات عقيمة مخالفة لسنن الحياة¹، تسببت في جمود العلوم والصناعات وأنظمة الحكم والحياة الدينية، حيث فقد الدين روحه، وأصبح مجرد مظاهر شكلية، لا تأثير لها على أرواح الناس وعقولهم، كما انتشرت الخرافات والبدع والأوهام².

وتعرضت الكثير من المفاهيم للتشويه، وساد التأويل الفاسد، وراجت الشكوك وانتشرت بين أبناء المسلمين، نتيجة لتعرضها لتأثيرات التيارات الفكرية الرافدة من منطق وفلسفة وفكر. وهي من الاعتقاد الخاطيء لمفهوم القضاء والقدر، الذي يعد عقيدة من عقائد الإسلام، وركنا من أركان الإيمان، لكن الانحراف في فهمه أدى إلى إفساد الفكر الإسلامي وانحطاط الحضارة والمجتمع معا، وفتح الباب واسعا أمام المستشرقين للطعن في عقيدة القضاء والقدر، وإيعاز التأخر الحضاري الحاصل لدى العرب والمسلمين إليها. وغيرها من الآراء الأفكار المنحرفة التي جعلت من الفكر الإسلامي فكرا عقيما³.

والأمر ذاته، اتسمت به الحالة الاجتماعية والثقافية، حيث امتد التخلف بصورة فظيعة إلى الذهنيات والأفكار والسلوكيات والاستجابات المضادة للتقدم الحضاري؛ بمعنى أن التخلف لم يقتصر على العجز عن بحارة مظاهر التقدم العلمي

¹ - محمد الغزالي : سر تأخر العرب والمسلمين، د ط، دار البعث، الجزائر : 1985 م، ص 121.

² - كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية، ط 10، دار العلم للملايين، بيروت : 1984 م، ص 47.

³ - للمزيد أنظر محمد الدراجي: جمال الدين الأفغاني الأسس الفكرية لمشروعه الحضاري: ط 1، دار غربيبي، للطباعة والنشر، الجزائر: 2005م، ص 146-147.

والحضاري الحاصلة في الأمم التي قطعت أشواطاً كبيرة في سلم الرقي والتقدم، بل تعدى إلى مقاومة التقدم في حد ذاته وإبداء الشكوك حوله¹.

السبب الثاني:

أما السبب الثاني، المسؤول برأي الدكتور أحمد عروة عن جعل الخلل لمشكلة المرأة، يصبح صعباً للغاية، فيتمثل في ابتعاد المسلمين عن روح الإسلام ابتعاداً خطيراً، وفي هذا الصدد يذهب إلى أنه من المهم استحضار أن الشخص الأول في حياة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، كانت زوجته السيدة خديجة رضي الله عنها، التي وجد فيها خير مآزر لرسالته الدينية، وقد كانت من قبل قد استأمنتها على تجارتها².

ويضيف أنه حري بنا أن نورد: ((تلك الوصايا الحميلة الواردة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، التي تشرك المرأة والرجل في تعداد الفضائل والمسؤوليات التي تفتح لهما أبواب الجنة))³.

وفي تقديرة، أنه لا جدال في اهتمام القرآن الكريم بالمرأة، ورعايته لها رعاية كاملة: ((بالرغم من التناقضات الظاهرية، والتأويلات الجائرة، تتجلى في تطابقه مع طبيعتها ومزاجها ونفسياتها ورسالتها الاجتماعية. فالبنيت هي الزوجة في المستقبل، والزوجة هي الأم في المستقبل، في الشركة الضرورية بين الرجل والمرأة. وطبقاً لتوزيع

¹ - كريم جبر الحسن : عملية النهوض الحضاري، ط 1، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت :

1993م، ص 249.

² - عروة، المصدر السابق، ص 82.

³ - المصدر نفسه، ص 82.

المهام في الأسرة وفي المجتمع، لا طبقاً لأي نوع كان من عدم المساواة الأخلاقية، حدد الإسلام المركز القانوني للمرأة¹.

وفي هذا المضمار، تمنى الدكتور أحمد عروة، أن يضطلع بدراسة المشكلة من هم أكثر كفاءة منه من الفقهاء وعلماء الاجتماع بكل هدوء وحرية: ((بعيدا عن كل ضغط سياسي أو ديمagogي، فيعود إلى تناول هذه للعطيات الأساسية ليسطوها للناس بسطا جديدا ويبدو لي أنهم واصلون حينذاك، إلى نتائج تغلب لمفاهيم الحالية رأسا على عقب، لأن المجتمع الإسلامي يتصور المثل الأعلى، أغلب الأحيان، بالمقارنة مع عالم غربي غريب عنه، ويمارس عليه ضغطا، سواء في المجال الأخلاقي أو في مجال الاقتصاد والثقافة²)).

وهي إشارة واضحة، إلى ترك المسألة كاملة لأهل الاختصاص دون غيرهم، فلو تولاهما هؤلاء منذ البداية، لما استشكلت بالصورة التي هي الآن، فأصبحت وتأتأها من العضلات الكبرى في الإسلام، على الرغم من أن العكس هو الصحيح؛ حتى أصبحت ورقة ذهبية في أيدي غيرهم، يطعنون بها الإسلام دون كلل أو ملل، ويقطعون بها الطريق على كل من يحاول أن يضع النقاش حولها على أرض صلبة، وهو ما أراد الدكتور عروة لفت الانتباه إليه دون خلفيات مسبقة، غير الرغبة في غلق هذا الباب نهائيا والذي أراد له خصوم الإسلام من المسلمين أنفسهم وغيرهم، أن يبقى مفتوحا إلى الأبد.

وفي معرض حديثه عن مطالب المرأة، بالمساواة المطلقة مع الرجل، يقول أنها تبدو في ظاهرها مشروعة، لكنه يربط ذلك بالثبوت عما إذا كان فعلا تحقيق الازدهار للمرأة على المستويات البدنية والنفسية والاجتماعية، لا يتحقق إلا باسترجالها: ((لأن

¹ - المصدر نفسه، ص 82.

² - عروة، المصدر السابق، ص 82.

الأمر لا يتعلق بمشكلة مساواة أمام القانون، وإنما يتعلق بتوزيع الوظائف تبعاً لميول الطبيعة الإنسانية ومطلب مجتمع متوازن. ومن هذه الزاوية يستطيع الإنسان أن يفهم وأن يبرر توزيع المسؤوليات في الأسرة الإسلامية. وإذا لم يكن للمرأة في الإرث نصف حظ الذكر، فإن هذا تليه روح التعويض، لأنها معفاة من جميع الأعباء في الإنفاق على الأسرة. وبينما ثبتت لها حقوق على ثروة زوجها، فإن لها حرية التصرف كاملة في ثروتها، وهو امتياز ظلت تحسدها عليه أختها الأوروبية¹.

الأمر الذي يعني بأن الدكتور عروة، من المفكرين الذين يؤمنون بحرية المرأة ضمن القيم الدينية الإسلامية والحدود الشرعية، وليس طبقاً للتصور الغربي، الذي يتحمس له المتأثرون بالحضارة الغربية من المسلمين، ممن يدعون صراحة المرأة المسلمة إلى التمرد على كل ما له صلة بتعاليم الدين الإسلامي، والتحرر التام من الأخلاق والقيم التي تميز الأمة الإسلامية².

حيث حدد للمتؤمنون لهذا التيار، شروط النهوض بالمرأة العربية (المرأة العربية الجديدة)، في ثلاث خطوات تتمثل في: تحريرها من الأمية والجهل عن طريق التعليم، ومن التقاليد بالتخلي نهائياً عن الحجاب، ثم بمساواتها التامة مع الرجل في الحقوق الدستورية والمدنية³.

ولا ريب أن الشرط الثاني، هو محل الخلاف بين هذا التيار، وغيره ممن يعتبرون ذلك خروجاً عن الدين والمألوف، ودعوة صريحة نحو السفور، الذي لا يحث عليه الإسلام ولا الأعراف والتقاليد.

¹ - عروة، المصدر السابق، ص 83.

² - محمد زومان : معالم الفكر السياسي والاجتماعي عند الشيخ البشير الإبراهيمي، منشورات جامعة باتنة، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر : د ت، ص 205.

³ - سلامة موسى : ما هي النهضة ومختراتها أخرى، تقديم مصطفى ماضي، د ط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر: 1990م، ص 201 وما بعدها.

إن موقف الدكتور عروة، وهو الموقف ذاته، الذي تبناه العلماء والمفكرون والمصلحون المعتدلون، الذين قادوا حركة النهضة العربية الإسلامية، في القرنين التاسع عشر والعشرين؛ حيث أكدوا على دور الإسلام في: ((تحرير المرأة من ظلم الرجال وتحكمهم، فقد كانت المرأة في العالم كله في منزلة بين الحيوانية والإنسانية بل هي إلى الحيوانية أقرب، تتحكم فيها أهواء الرجال وتنصرف فيها الاعتبارات للمادية المجردة من العقل، فهي حينما متاع يتخطف، وهي تارة كرة تطلق، تعتبر أداة للنسل أو مطية للشهوات))¹.

فقد مثل مجيء الإسلام الخفيف بالنسبة للمرأة، نهاية لعهد العبودية والاحتقار والجور والظلم والإذلال، وبداية لعهد جديد يحمل إليها التقدير والاحترام والكرامة المنقودة والحقوق المغتصبة، وفي ذلك قال الشيخ البشير الإبراهيمي: ((وجاء الإسلام فنبه على منزلتها وشرفها وكرم جنسها، وأعطاهما كل ما يناسب قوتها العقلية، وتركيبها الجسمي وسوى بينها وبين الرجل في التكاليف الدينية، وخاطبها بذلك استقلالاً تشريفياً لها، وإبرازاً لشخصيتها، ولم يجعل للرجل عليها سبيلاً في كل ما يرجع إلى دينها وفضائلها، وراعى ضعفها البدني بالنسبة للرجل، فأراحها من التكاليف المادية في مراحل حياتها الثلاث، من يوم تولد إلى يوم تموت بتنا وزوجاً وأماً))².

وهكذا نرى أن الإسلام، قد حسم للمسألة حسماً قاطعاً، ونظر إلى المرأة مع الرجل: ((قطباً إنسانياً، ولا معنى لأحدهما بغير الآخر)) ولذلك بات من الضروري أن يتم تناول الموضوع: ((بعيدا عن الأناشيد الشعرية، التي تدعو إلى تحرير المرأة:

¹ - محمد البشير الإبراهيمي: آثار البشير الإبراهيمي، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1985

ج، ص 360.

² - المرجع نفسه، ص 360.

فالمشكلة لا تتحدد في الجنس اللطيف فحسب، أوفي بنات المدن، أوفي بنات الأسر الريفية، بل هي فوق ذلك تتعلق بتقدم المجتمع وتحديد مستقبله وحضارته¹.

2- تعدد الزوجات:

شكل ولا يزال موضوع تعدد الزوجات، مادة دسمة لكل الحائضين في المسألة الاجتماعية، من المفكرين والسياسيين المسلمين وغير المسلمين، الذين لا يستطيعون فكرة تعدد الزوجات، بل ويرفضونها جملة وتفصيلا، ومن هم على سبيل المثال التونسي الشيخ طاهر الحداد، الذي عبر عن موقفه من قضية التعدد بشكل صريح فقال: ((ليس لي أن أقول بتعدد الزوجات في الإسلام لأنني لم أر للإسلام أثرا فيه، وإنما هو سيئة من سيئات الجاهلية الأولى التي جاهدتها الإسلام طبق سياسته التدريجية))².

فيما اعتبره أحدهم، يمثل عائقا كبيرا أمام الادخار أي في طريق تكون رأس المال؛ لأن إنفاق الرجل في تقديره على عدة أسر في عدة بيوت سيؤدي إلى إضعاف قوته المالية، كما أن القبول التي وضعها الإسلام لتحقيق التعدد، غير ممكنة التحسيد في علاقات الزوج المعدد مع زوجاته وأبنائه، وهو ما يجعل الأمر في النهاية مستحيلا³. وفي المقابل، يقف لهم تيار واسع يختلف معهم اختلافا صريحا في الايدولوجيا والمنهج، يرى فيما يقوله أولئك شكلا من أشكال الطعن في الإسلام، سعيا لتقزيم دوره في حياة المسلمين وتشويه صورته لدى غير المسلمين، وينظر إلى قضية تعدد الزوجات على أنها مسلمة من المسلمات، التي لا تقبل الخوض والنقاش.

¹ - بن نبي، المرجع السابق، ص 116.

² - الطاهر الحداد: امرأتنا في الشريعة والمجتمع، تقديم خالد محمد، سلسلة الأيس، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر: 1982م، ص 61.

³ - لئنزيد أنظر فريدون هويدا: الإسلام المعطل: ترجمة حسين قيسي، د ط، دار مارينور، الجزائر: د ت، ص 58 وما بعدها.

وبين النقيضين يبرز تيار ثالث، ينظر إلى المسألة بأبعادها المختلفة: الدينية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وضمن هذا التيار، نجد الدكتور أحمد عروة، الذي استهل حديثه عن المسألة، بالتنبيه إلى أنه من الضروري جدا، أن نستحضر دائما، أن الإسلام يحرص حرصا شديدا، على أن تعيش الأسرة المسلمة في حال يميزها الانسجام والاستقرار، وأن القصد من التعدد في الزوجات الذي شكل ولا يزال مصدر إزعاج للكثير من الناس، بالرغم من إباحته المقترنة بجملة من التحفظات والشروط المقيدة له: ((لم يكن القصد منه سوى تماسك مجتمع كان الرجل فيه، في آن واحد، رأس المال الأثمن والأكثر عطاء، وكان بحاجة إلى الدعم كيفما وعددا))¹.

ويضيف بأنه وبغير الظروف الاجتماعية والاقتصادية، لم تعد هنالك حاجة إلى سن قوانين أو أوامر أخلاقية جديدة تمنع تعدد الزوجات: والعلة في ذلك: ((أن الرجل لم يعد في استطاعته فيزيولوجيا ونفسيا واقتصاديا، أن يتصور حياة الحریم على طريقة حياة أسلافه القدامى، حتى على فرض أن تعدد الزوجات كان نظاما منتشرا بالقدر الذي ظنه بعض الناس. ولكن يجب أن نعجب، إذا رأينا يوما من الأيام، أن ما ينفر منه الناس، وما هو على أي حال غاية في الندرة، وقد صار "موضة" العصر، تحت تأثير ظروف تاريخية واجتماعية جديدة، وتحت اسم آخر أكثر تحجرا، حتى عند أولئك الذين يستنكرونه بين فراشين. وفي عالم صار تزايد السكان فيه كابوسا يجثم فوق صدر الإنسانية، وحبوب منع الحمل فضلا من الأخلاق، والزوجة الواحدة صعبة الإعالة، والولد الواحد زائدا عن الحاجة، من البيدهي أن المعيار الأخلاقي ينقلب رأسا على عقب، في مجتمع تتنابه هستيريا الذرية في العلم الحديث))².

¹ - عروة، المصدر السابق، ص 83.

² - عروة، المصدر السابق، ص 83، 84.

وبالتالي، فإن الدكتور عروة، لا يناقش قضية تعدد الزوجات، انطلاقاً من منهج وقناعات التيار الرفض لها أصلاً، أو التيار المتمسك بها كل التمسك، كما كان عليه الأمر في سالف الأزمان، وإنما بناء على رؤية تأخذ في الاعتبار، أن الدين الإسلامي الخفيف يبيح المسألة لكن بقيود وشروط صارمة جداً معروفة ولا خلاف حولها، حفاظاً على تماسك الأسرة والمجتمع معاً، هذا من جانب.

ومن رؤية واقعية، تربط الأمر بتقلبات الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، التي تختلف من زمن لآخر ومن مكان لآخر، والتي من شأنها أن تؤدي إلى انتشار تعدد الزوجات كما كان قبل أو بعد مجيء الإسلام، وانحصاره كما هو حاصل الآن؛ حيث أصبح الاكتفاء بزوجة واحدة هو الأصل، والتعدد هو الطارئ، في أغلب المجتمعات العربية والإسلامية مع بعض الاستثناءات. بل أكثر من ذلك، أصبح من المتعذر على الفئات الاجتماعية الفقيرة، حتى الزواج بواحدة، بسبب الفقر والبطالة وأزمة السكن وغلاء المهور وتكاليف الأعراس... وغيرها من معوقات إقبال الشباب المسلم على الزواج في عصرنا الحالي.

لأن غاية الإسلام في الأمر جله، هي إيجاد البيئة الأسرية المستقرة، التي تصنع الإنسان المسلم المكتمل من كل الجوانب، حتى يتمكن من أداء دوره الاجتماعي والحضاري المفترض، وليس التمسك بما يتناقى مع روح العصر في هذا المقام: ((ولكن إذا كان الإسلام يدفع إلى مفهوم للأسرة يجعل منها الخلية الأساسية للمجتمع، والمدرسة التي يتعلم الطفل فيها أن يخطو أولى خطوات رجولته، فليس المقصود بهذا أن يدفع إلى المحافظة على بنيات عائلية عتيقة لا تقوى على مساواة روح عصرنا. وكما أن الأخلاق للمادية تحسب أنها وجدت المثل الأعلى للأسرة في

تفككها، فإن المثل الإسلامي الأعلى يقوم في التماسك المنسجم، المؤسس على المحبة والاحترام والامتنان¹.

بمعنى أن الإسلام، يعتبر أن الزواج عقدا اجتماعيا، ليس فقط لتحقيق السعادة للأسرة التي يرتبط أفرادها برباط الزواج والنسل، وإنما لمصلحة أكبر هي الوحدة الاجتماعية الشاملة والدولة والمجتمع الإسلامي بصفة عامة².

3- خروج المرأة للعمل:

أما موقفه من قضية خروج المرأة المسلمة للعمل، جنباً إلى جنب مع الرجل، فإن الدكتور أحمد عروة، يرى أنه إذا كان في مرحلة من المراحل، قد جرى تعبئة كل الطاقات الوطنية، في سبيل إنجاح مشروع التنمية الاقتصادية، فإن ذلك لا يعني الاستمرار في هذا النهج أو المسلك الذي يخالف طبيعة الأشياء؛ بدليل ما نلاحظه حالياً في الدول الرائدة في الرقي والتقدم التي تقوم بإصلاحات في هذا المضمار، الغرض منها: ((إعادة أنوثة المرأة إليها، لا بالتوجيه المهني فحسب؛ وإنما أيضاً بخفض ساعات العمل إلى الحد الأقصى، وإذا كنا نشهد في إبان هذا الوقت بلدا إفريقيا مولعا بكل ما هو مجلوب من الخارج، يستعرض مزهوا، دفعة من عساكر النساء، فهذا أمر لا يمكن إلا أن يدعونا إلى الحكمة أمام شطط بعض الشعوذة))³.

وعلى ضوءه يتضح، أنه لا يمانع في خروج المرأة المسلمة؛ إلى العمل للضرورة، ولكنه في المقابل لا يشجع عليه لكي يصبح الأمر قاعدة عامة؛ ليس لأنه يعتقد أن المرأة غير مؤهلة للقيام به، وإنما كما ذكر أنه يجد من أنوثة المرأة، فيجعلها

¹ - عروة، المصدر السابق، ص 84.

² - آيلز ليكنستندر: الإسلام والعصر الحديث، ترجمة وتعليق عبد الحميد سليم؛ دط، الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ القاهرة: 1981م، ص 32.

³ - عروة، المصدر السابق: ص 84.

آلة للإنتاج مثل الرجل، فتضيع مهمتها الأساسية وهي صناعة الأجيال، فيضيع المجتمع برمته.

وصحيح ما ذكره بخصوص الآثار والنتائج، التي ترتبت عن الانحراط الكلي للمرأة الأوروبية في العمل، فقد تحولت إلى ضحية لمجتمعها الذي أراد تحريرها، فقدفد بها في دوامة حياة المصنع والمكتب، تعتمد على نفسها في تحصيل قوتها واحتياجاتها المادية، تنقلب في بيئة تهددها من كل الجوانب، فلا هي انتفعت ولا المجتمع انتفع: ((فقدت-وهي مخزن العواطف الإنسانية-الشعور بالعاطفة نحو الأسرة، وأصبحت بما ألقى إليها من متاعب العمل صورة مشوهة للرجل، دون أن تبقى امرأة))¹.

وهي حقيقة أكد عليها الدكتور أحمد عروة، فقال: ((إن مفاهيم دور الأسرة يمكن أن تتغير، من الأسرة الأبوية البدائية، إلى التفكك الكلي الذي تجذبه بعض الثورات الثقافية. إن تغذية الرضع باللبن الصناعي، وتسليم الأطفال لدور الحضانة، والتلاميذ للمذهب الإجماري، قد يبدو أمراً مريحاً في أماكن وأوضاع معينة، وهل يوضع الإنسان بذلك في أفضل الظروف لتفتح ملكاته؟ إننا نؤمن بما للإسلام من حكمة ثورية، هي قربة كل القرب من الطبيعة والعقل معاً، وهي تجعل من الإنسان، في آن واحد، إنساناً اجتماعياً، وإنساناً فحسب))².

ويلخص المسألة برمتها، فيقول: ((وإنما يكون الجرم والجور حين نسلب المرأة حقوقها في التنقف تنقفاً تاماً غير منقوص، وحين نسلبها حقوقها في الرفاهية والسعادة والتفتح العقلي، وحين نسلبها حقوقها في عمل يوافق طبيعتها ولا يجعل منها الرقيق الجديدة للمجتمع الحديث، بل يفتح لها أبواب النشاط الإنساني كلها، فتستطيع حينئذ أن تنمو عبقريتها الحساسة المبدعة نحو حراً، ابتداء من احتضان

¹ - بن نبي: المرجع السابق، ص 119.

² - عروة، الصدر السابق، ص 85.

الأطفال إلى المناصب المرموقة، وذلك دون انتقاص لفضائلها الجوهرية التي تجعل منها صاحبة الرجل المحبوبة المكرمة السعيدة¹.

ولا جدال في أن ما ذهب إليه هنا، يمثل المنهج الأسلم للمرأة المسلمة على الأقل، وهي دعوة صريحة لإعادة النظر في المسألة من الأساس، لأن الغاية ليست إثبات أو نفي حق المرأة في العمل من عدمه، وإنما الاهتمام إلى الطريق الصحيح، الذي يمكننا من بلورة تصور شامل للدور كل فئات المجتمع، في عملية التنمية ومسار التقدم.

تصور يأخذ في عين الاعتبار أن: ((المرأة كإنسان تشترك في كل إنتاج إنساني أو هكذا يجب أن تكون)) فتوضع: ((حيث تؤدي دورها خادمة للحضارة، وملهمة لذوق الجمال وروح الأخلاق، ذلك الدور الذي بعثها الله فيه أمًا، وزوجة للرجل))². هذا هو التحرر الحقيقي للمرأة، في نظر الدكتور أحمد عروة، المشروط بتحرر الشق الآخر من المجتمع وهو الرجل، من كل أشكال التخلف التي تعيق المجتمع المسلم، نحو الولوج إلى دائرة الازدهار والرفاهية، المنشودين منذ زمن بعيد جدًا.

فلا تقدم وتطور إلا بهما: ((ألم تكن أعظم تحية وجهها الإسلام إلى الأمهات على لسان النبي -صلى الله عليه وسلم-، أنه وضع "الجنة تحت أقدامهن"؟ ولما كانت الجنة الأرضية نفسها، أغلب الأحيان، تحت أقدام بناتنا وزوجاتنا، وأخواتنا وأمهاتنا، فقد وجب أن يتحرر المجتمع الإسلامي من معوقاته، حتى لا تعود المرأة،

¹ - المصدر نفسه، ص 85.

² - بن نبي، المرجع السابق، ص 118.

والرجل كذلك أسيرين لقهر واحد، يجهل منهما الآخر، بل جزأين من انسجام مبدع واحد، يزدهر أحدهما بالآخر ومن أجل الآخر)).¹

وفي الختام، يقر الدكتور أحمد عروة؛ أنه لا يزعم إيفائه لمشكلة المرأة المسلمة، حقها من الدراسة والمناقشة، فهي من التعقيد والتشابك، ما يجعلها في حاجة إلى الكثير من المحاضرات والمناظرات، وكل ما قاله بشأنها أراد من خلاله فقط، التنبيه إلى حقيقة وحساسة وجدية المشكلة، على غرار المشكلات المشابهة لها والمطروحة بحدة في أغلب البلاد الإسلامية التي: ((لا يمكن أن تحل إلا في إطار أخلاق إسلامية شمولية، تعتمد فيها كل الأجزاء بعضها على بعض اعتمادا وثيقا. والمسألة النسوية مرتبطة بمجموع الأخلاق الاجتماعية، تلك الأخلاق المرتبطة بالنظم الاقتصادية والمؤسسات السياسية، وستعود إليها فيما بعد)).²

¹ - عروة؛ المصدر السابق، ص 85، 86.

² - المصدر نفسه، ص 86.

خلاصة:

نستطيع القول، أن الدكتور أحمد عروة، يولي أهمية كبيرة للمسألة الاجتماعية في عملية الإصلاح والتغير، فيضعها في المقام الأول، مؤكداً على أنها المفتاح لمعالجة القضايا الأخرى، التي لا تقل عنها أيضاً تراكماً واستشكالا وتعقيداً وتأزماً، إن أردنا فعلاً الخروج من مأزق التيه (حجر الضب) الذي نحياه دون أن نتهدي إلى البوصلة الصحيحة.

فالمشكلة ليست في التخلف والعيش خارج العصر فحسب، وإنما في الخطأ في التشخيص والاستمرار في ذلك، فنتناول أدوية لا تناسب أمراض وعلل المجتمع الذي ننتمي إليه، والنتيجة تفاقم الأوضاع وتأجيل العلاج، إن لم نقل استحالتة، فعن طريق الاستقرار الاجتماعي تتم التنمية الاقتصادية ويحصل الاستقرار السياسي، وبهم جميعاً ينطلق قطار الحضارة، الذي أصبح رقمياً وافتراضياً، ولم يعد قطاراً بخارياً أو فحمياً أو بترولياً، كما كان قبل عهدنا هذا.

1- الدكتور أحمد عروة، قضايا اجتماعية في تحليل، ص 10.

2- الدكتور أحمد عروة، قضايا اجتماعية في تحليل، ص 10.

3- الدكتور أحمد عروة، قضايا اجتماعية في تحليل، ص 10.

4- الدكتور أحمد عروة، قضايا اجتماعية في تحليل، ص 10.

الدكتور أحمد عروة ودراماته في التراث الطبي الإسلامي

د. محمود عروة

مختصر في التخدير والإنعاش

رئيس الجمعية الجزائرية لتاريخ الطب

قبل الحديث عن الدكتور عروة، نقدم كلمة عن التراث الطبي الإسلامي الذي أولاه أهمية كبيرة.

ما الفائدة من دراسة التراث الطبي الإسلامي؟

هل هي فقط ذكرى وتمجيد لحضارة عظيمة ساهمت إلى حد بعيد في النهضة العلمية الأوروبية التي لا تزال تعمل بها اليوم؟
هل هي التعريف بالتراث العلمي القلم؟
الواقع أنها الاثنين معا: ذكرى وتعريف بالتراث الإسلامي الشري.

لكنها أيضا تواصل مع حاضرنا ومع التحديات العلمية الحديثة التي يواجهها الطبيب والمريض في آن واحد.

لهذا بإمكان التراث الطبي العربي أن يكون منطلق بحوث مجددة متواصلة لمعرفةنا وممارستنا التطبيقية والأخلاقية، لا ربما نساهم في إيجاد حلول مناسبة لكثير من القضايا الحديثة استلهاما من القيم الدينية الإسلامية من جهة ومن الطب والنظام الصحي الذي أنتجته الحضارة الإسلامية من جهة ثانية.

هذا ما حاول الدكتور أحمد عروة أن يستنتجه من خلال بحوثه في التراث الطبي كما سنوضحه في هذه الورقة.

سنتطرق باختصار:

أولاً: إلى كتبه وبحوثه في تاريخ الطب.

ثانياً: إلى مشاركته في الجمعية الجزائرية لتاريخ الطب.

ثالثاً: إلى أهمية دراساته وعلاقتها بالمعطيات الطبية الحديثة.

1. كتب، مقالات وبحوث في الطب الإسلامي.

نذكر من بينها:

بالعربية:

- الوقاية وحفظ الصحة عند ابن سينا.
- فزيولوجيا التنفس عند ابن سينا.
- نظرية الوقاية عند ابن سينا وآفاقها الجديدة.
- المناهج العلمية لمعرفة خصائص الأدوية عند ابن سينا.
- تدبير صحة الأطفال عند ابن سينا.
- الصحة الاجتماعية في الحضارة الإسلامية.
- الصحة وعوامل الصحة عند ابن خلدون.

بالفرنسية:

- Hygiène et prévention chez Ibn Sina
- La cosmétologie à l'ère d'Ibn Sina
- La médecine arabe et sa contribution à l'évolution de la médecine en Europe.
- Les plantes médicinales dans la médecine arabo-islamique.
- La douleur et son traitement chez Ibn Sina.
- Pharmacologie expérimentale chez Ibn Sina.
- Les services de santé dans la civilisation arabo-islamique.

أول محاضرة حول تاريخ الطب العربي ألقاها الدكتور عروة على الطلبة المسلمين في جامعة مونتبليي (Montpellier) سنة 1952-1953، عنوانها "الطب العربي ومساهمته في تطور الطب في أوروبا"، كان حينذاك رئيس جمعية الطلبة المسلمين في مونتبليي.

2. مشاركة الدكتور عروة في الجمعية الجزائرية لتاريخ الطب.

بداية، نتساءل: كيف تم تأسيس الجمعية الجزائرية لتاريخ الطب وما هو دور الدكتور عروة في هذا المجال؟

بدأت تنضج فكرة تأسيس الجمعية لدى الدكتور سعيد شيان والدكتور أحمد عروة والدكتور محفوظ بن حبيلس، في التجمع الدولي حول "تاريخ الطب الإسلامي" الذي جمعهم في ميلانو (إيطاليا) يوم 21 سبتمبر 1972 والذي نظمته الجمعية الإيطالية لتاريخ الطب.

وقد شاركوا فيه بتقديم الأوراق التالية: "المرشد في الكحل عند الغافقى للدكتور شيان، الوقاية عند ابن سينا للدكتور عروة، والأدوات الجراحية عند الزهراوي للدكتور بن حبيلس.

عرفت هذه التظاهرة العلمية بنجاح كبير مما جعل الجمعية الإيطالية لتاريخ الطب ترمج ندوات أخرى حول الطب العربي.

بهذه المناسبة، كما قلنا سابقا، بدأ الدكتور شيان والدكتور عروة والدكتور بن حبيلس يفكرون في تأسيس جمعية جزائرية لتاريخ الطب.

وقد شجع الفكرة الأستاذ عمار بوجلاب رحمه الله، وزير الصحة آنذاك.

وفي سنة 1979 تم تأسيس الجمعية الجزائرية لتاريخ الطب تحت رعاية الإتحاد الطبي الجزائري (UMA)، وكان الدكتور أحمد عروة أحد مؤسسيها والنائب الأول لرئيس الجمعية الدكتور سعيد شيبان.

من بين الأعضاء المؤسسين الآخرين، نذكر:

محموظ بن حجيلس، محمّد أمير رحمه الله، محمد أوشيش، بابا عمر، شيخ بوعمران، عمر بن عدودة، بولعيد دودو رحمه الله، بوسعد مراحي، محمد الأمين ميسوم، نور أوصديق رحمه الله، عمار طالبي، عبد الكريم زيناوي رحمه الله، حاج بوزيان زيناوي.

كان المكتب التنفيذي يتكون من:

- الرئيس الشرفي: محمد أمير.
 - الرئيس: سعيد شيبان.
 - النائب الأول للرئيس: أحمد عروة.
 - النائب الثاني للرئيس: نور أوصديق.
 - الكاتب العام: عمر بن عدودة.
 - مساعد الكاتب العام: شيخ بوعمران.
 - أمين الخزينة: محمد الأمين ميسوم.
 - مساعد أمين الخزينة: زيناوي بوزيان ثم الدكتور أحمد عمروش رحمه الله الذي ساهم كثيرا قبل وفاته في إنعاش الجمعية الجزائرية لتاريخ الطب.
- أنشأت الجمعية مكتبة تضم عددا من كتب تاريخ الطب، واهتمت بكل ما يخص التراث الطبي الإسلامي، وشارك بعض أعضائها في ندوات وطنية ودولية حول تاريخ الطب.

كما سعت الجمعية جاهدة لإدماج مادة تاريخ الطب في برنامج تدريس العلوم الطبية، لكن رغم بعض التأييد، لم يحقق المشروع بعد، ونحن نسعى إلى تحقيقه اليوم.

3. أهمية دراسات الدكتور أحمد عروة وعلاقتها بالمعطيات الطبية الحديثة.

انطلق أحمد عروة من البحث في التراث القديم لرفع التحديات الطبية المعاصرة موافقة مع تقاليدنا وحضارتنا الإسلامية.

نذكر على سبيل المثال: دراساته حول الوقاية وحفظ الصحة عند ابن سينا، التي أدت به إلى تحضير أطروحة في الجزائر، لنيل الدكتوراه في الطب الاجتماعي تحت عنوان "الوقاية ونظام الصحة" حيث أعد نموذجاً تطبيقياً لتنظيم الصحة العمومية وحفظ صحة الإنسان من كل الآفات المحيطة به وتحسين الوسط الذي يعيش فيه وتضوير كل الوسائل اللازمة لتحقيق هذه الأهداف.

من جهة أخرى، حاول الكشف من جديد على التراث الطبي الإسلامي الغني، ويظهر مدى ابتكار الأطباء العرب سواء في معاملتهم مع المريض أو في تنظيمهم لخدمة صحة المريض، ثم أتى إلى اقتراح بعض الحلول المناسبة للتحديات الطبية الحديثة استلهاماً من القيم الدينية الإسلامية ومن التراث الطبي الإسلامي.

فما هي هذه التحديات؟ نذكر من بينها:

- تنظيم وتحديد النسل.
- التلقيح أو زرع النطفة النسلية
- الإنعاش الطبي المكثف وعلاقته بالموت، وهذا يتسبب في طرح سؤال حول متى وكيف يكون توقيف عملية التنشيط الطبي عندما يفقد وعي المريض وإحساسه العصبي أو عندما يفقد الأمل في إنعاشه والحيرة متعلقة أيضاً بصعوبة أو استحالة تحديد معنى الموت الحقيقي.

- التطوع بالأعضاء وزرع الأعضاء.
- المعاملة مع الجثث لدافع علمي أو تعليمي أو جنائي.
- وقد تطرق أحمد عروة إلى هذه المواضيع الهامة في بحوث كثيرة نذكر من بينها:
- الإسلام وتحديد النسل.
- آفاق إسلامية لفهوم وسياسة الصحة.
- الطب الإسلامي: سمات وآفاق.
- آفاق إسلامية لفلسفة العلوم الإنسانية.
- تحديات علمية وآفاق اجتماعية.
- الخبرة العلمية الحديثة وصلتها بالاجتهاد.
- L' Islam et la morale des sexes.
- Islam et contraception.
- Prélèvement et transplantation d'organes, au regard de l'éthique islamique.
- La transplantation rénale, problèmes d'éthiques.

نذكر مثلاً بحثه في " الخبرة العلمية الحديثة وصلتها بالاجتهاد " الذي طرح


فيه ثلاث مسائل أخلاقية متعلقة بـ:

- التعقيم وتنظيم النسل حسب الوسائل المستعملة.
- التلقيح أو زرع النطفة النسلية.
- نقل وزرع الأعضاء.
- فيما يتعلق بالتعقيم وتنظيم النسل، وضع الدكتور عروة جدولاً تحليلاً يتناول:
- نوعية الوسيلة المستعملة
- آثارها على الزوجين
- آثارها على الإنجاب

- عواقبها الاجتماعية
- إضافة إلى جوانبها الخلقية والشرعية.
- نذكر بعض الأمثلة.
- إذا أخذنا مثلاً، وسيلة استعمال اللولب المعقم (stérilet):
- أثرها على المرأة: إمكانية أضرار محلية.
- أثرها على الرجل: لا شيء.
- أثرها على الإنجاب: مانع إلا في النادر.
- عواقبها الاجتماعية: معتبرة إذا كانت عملية جماعية.
- احتمالاتها الخلقية والشرعية: تحتاج إلى مراقبة طبية، اجتهاد فردي.
- أما وسيلة استعمال الإجهاض:
- أثرها على المرأة: خطورة نسبية.
- أثرها على الرجل: لا شيء.
- أثرها على الإنجاب: قتل الجنين.
- عواقبها الاجتماعية: فاحشة إلا إذا كانت لسبب طبي خطير.
- احتمالاتها الخلقية والشرعية: هي خطيرة إذا كانت في ضمن سياسة عامة.
- السؤال الذي يطرح، هل هناك مرحلة للإجهاض تعتبر غير قتل؟
- فيما يخص التلقيح أو زرع النطفة النسلية، يعالج الجدول القضايا (أي حالة الزوج والزوجة)، نوعية العملية، الانعكاسات العامة، العناصر الفقهية، ميزان الحكم، شروط العملية.
- إذا اعتبرنا حالة زوجة شرعية عقيمة بسبب سد في البوق:

- نوعية العملية: هي قطف البويضة من مبيض المرأة وتلقيحها بمبي الرجل ثم إعادة زرعها في الرحم.
- الانعكاسات العامة هي: تثبيت رابطة الأسرة دون مساس بالقيم الدينية والأخلاقية.
- العناصر الفقهية: شرعية الزواج عملية طيبة.
- ميزان الحكم: الإباحة مع احترام الشروط النسبية والأخلاقية.
- شروط العملية: رغبة الزوجين، ضمان النسب، المبرر الطبي.
- وأما إذا أخذنا مثلاً قضية زوج عقيم وزوجة شرعية:
- نوعية العملية: تلقيح نطفة المرأة بمبي رجل مجهول، وهذه الوسيلة تستعمل في كثير من الدول الغربية.
- الانعكاسات العامة: أبوة غير شرعية وغير حقيقية.
- ميزان الحكم: أبوة كاذبة خارجة عن المقاييس الشرعية الإسلامية.
- فيما يتعلق بنقل وزرع الأعضاء، وضع الدكتور عروة جدولاً نموذجياً مرتباً لبعض العمليات الطبية مع ذكر نوعيتها وحالة المعطي أو المتبرع (إذا كان حياً أو ميتاً)، العواقب المنتظرة للمعطي والمتلقي، واحتمالاتها الأدبية والاجتماعية والشرعية.
- لا نذكر زرع الكلى الذي أصبح معروفاً.
- أما زرع الأعضاء الوحيدة مثل القلب والكبد.
- حالة المعطي: إذا كان حياً فذلك غير ممكن، وأما إذا كان ميتاً، فآثار العملية غير معتبرة.
- فائدة العملية: علاج صعب، فائدة نسبية في الغالب.

- العناصر الفقهية: حرمة الميت، ضرورة نسبية.
 - ميزان الحكم: الحرج الطبي يسبب الحرج الفقهي.
 - شروط الحكم: رضى المعنى، استفتاء الاختصاصيين. ولكن السؤال الذي يطرح للطبيب هو: هل تجوز العملية إذا كانت نسبة النجاح ضئيلة؟
- خلاصة لهذا الاجتهاد، وفي هذه الورقة المكتوبة بخطه، يقول الدكتور أحمد عروة: "كان هدفنا إلقاء بعض الأضواء على منهجية الاجتهاد وآفاقه الجديدة المرتبطة بالتطورات الهائلة التي حققتها الخبرة العلمية الحديثة، وذلك إضافة للمقاييس الأساسية التي يتركز عليها الاجتهاد التشريعي في الإسلام، والتي نذكر منها:
- التقييد بالنصوص التشريعية الأساسية.
 - احترام الحياة البشرية وحق النفس البشرية في الحياة والكرامة.
 - اعتبار المصلحة الخاصة والعامة.
 - نية الاستصلاح وردع الفساد.
 - دفع الضرر عن الأفراد والجماعات.
- هذه إذن نظرة مختصرة على مساهمة الدكتور عروة في مجال التراث الطبي الإسلامي.
- لنا رغبة خالصة في مواصلة عبر أبحاث ودراسات جديده والإسهام في إثرائها وتبليغها للأجيال الصاعدة.

A decorative rectangular border with intricate floral and geometric patterns, featuring repeating motifs of leaves and diamonds.

جهود الأدبية

دور المثقف ورسالته عند الدكتور أحمد عروة

من خلال قصيدة "إن شعري ليس شعري"

مقاربة في الرؤية والتشكيل

أ. د. رايح لصجون

المدرسة العليا للأستاذة قسنطينة

مدخل:

الدكتور أحمد عروة (1926-1992) من أهم المنقذين والأكاديميين الجزائريين المعاصرين "فرض نفسه على التاريخ، بعلمه الجاد المثمر، بعد أن ضرب أروع الأمثلة في التضحية والجهد في سبيل العلم والمعرفة"¹، له مسيرة حافلة بالإبداع المشبع بالموهبة الخلاقة المتعددة، التي أفلحت الحياة القاسية في نسجها والذي رفض أن يكون أسير الصمت والتهميش، وآثر الحضور وتأكيد الذات في وحدتها وسط الغربة وآلام الروح بعيدا عن الترحسية والاستعراض.

تصدّر الدكتور أحمد عروة مقاما سامقا في عالم الإبداع باللغتين العربية والفرنسية، فقد رسم (الخطوط العريضة لسياسة الحقيقة) حسب تعبير ميشال فوكو Michel Foucault، وسد فراغا في المنظومة الفكرية الجزائرية، وسيظل خالدا بجواهره الإبداعية النادرة وما تحمله من إشعاعات وإيحاءات في علمها الأزلي السرمدية.

وفي هذه المقاربة استحضار في زمن الغياب لإنجازات هذه الشخصية العلمية الجزائرية من هذا العيار الذي يحظى بمكانة رفيعة في عالم الشعر وأجوائه

¹ محمد الصالح الصديق: اعلام من المغرب العربي، ج3، (ط2)، دار موفم للنشر، الجزائر 2008،

دور المصنف ورسائله عند د. أحمد عروءة من خلال قصيدة "إن شعري ليس شعري" — أ. د. رابع طيجون

المشحونة باليقين الثابت والعواطف الوطنية والإنسانية النبيلة، أو في عالم النحت السردى التخيلي، واستدراج النقد الذي ظلّ شحيحاً في شظايا كتاباته.

أولاً: سيرته ومسيرته:

الدكتور أحمد عروءة¹ من مواليد قرية أمدوكال ولاية (باتنة)، نشأ في أسرة متشبثة بأصولها ومولعة بالمحافظة على قيم المجتمع الجزائري الأصيل.

تلقى علومه الأولى وحفظ القرآن الكريم على يد والده الشيخ محمد صديق العالم الفقيه المتخرج من الزيتونة، نهل من علوم القرآن واللغة العربية وأصول الدين، واللغة الفرنسية، ثم قصد الجزائر العاصمة، فتلقى علومه الابتدائية والثانوية؛ ثم توجه إلى فرنسا، فالتحق بجامعة مونتبولييه Montpellier ليدرس الطب فحصل بتفوق على شهادة الدكتوراه عام 1955.

كان عضواً بارزاً في جمعية الطلبة المسلمين في فرنسا، ثم انتخب رئيساً لها سنة 1952، وعضواً في منظمة الشباب لحزب الشعب الجزائري، وعضواً في الكشافة الإسلامية الجزائرية.

نشط أثناء الثورة في المنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني، وذاق مرارة الاعتقال من سنة 1957 إلى 1959، كما نشط بعد الثورة في حزب جبهة التحرير الوطني، وبعد الاستقلال شارك في نشاط الأمانة الوطنية لقدماء المعتقلين والمجلس

¹ - ينظر ترجمة الدكتور أحمد عروءة في معجم الباطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والقرن العشرين، على الموقع: <http://www.almoajam.org/poet> ، وتوجد ترجمته في كتاب محمد الصالح الصديق: أعلام من المغرب العربي، ج3، (ط2)، دار موفم للنشر، الجزائر 2008، وتوجد ترجمته كذلك في كتاب الربيعي بن سلامة ومجموعة من المؤلفين: موسوعة الشعر الجزائري، ج2. دار الهدى، عين مليلة، الجزائر 2009.

دور المثقف ورسالته عند د. أحمد عروة من خلال قصيدة "إن شعري ليس شعري" — أ. د. رايح طبحون

الشعبي الولائي لمدينة الجزائر، ونقابة الأطباء الجزائريين، كما كان عضوا فاعلا في اتحاد الكتاب الجزائريين، وعضوا في مجمع اللغة العربية بدمشق (سوريا)¹.

عمل أستاذًا في كلية الطب في جامعة الجزائر، كما زاول مهنته في عيادته الخاصة، إلى سنة 1971، كذلك عمل بالمعهد الوطني للصحة العمومية، ثم أصبح رئيسًا لمصلحة صحة البيئة، ثم مستشارًا بوزارة الصحة، ثم عميدًا لجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة عام 1989.

ثانيا: إبداعه الشعري والأدبي:

أ. الإنتاج الشعري:

في رصيد الدكتور أحمد عروة عدة دواوين شعرية باللغتين العربية والفرنسية عبرت عن عالمه الأدبي والروحي والفلسفي منها:

- (ذكرى وبشرى)، من وحي الثورة الجزائرية، دار مكتبة الحياة، بيروت 1964، وقد لاقى الديوان في نفوس المتلقين إقبالا وثناء كبيرا.

- (نشيد العمال) كتبه في معتقل بوسوي عام 1957، وهو النشيد الرسمي للاتحاد العام للعمال الجزائريين بعد الاستقلال.

- (نشيد الشباب الثائر)، وقد تبنته منظمة الشباب بعد الاستقلال، وهما نموذجان مهمان من صور المقاومة الوطنية في الكتابات الإبداعية الجزائرية، وتصحيح ما شوهه الجهل والاستعمار.

إلى جانب عدة دواوين شعرية نظمها باللغة الفرنسية وقد طبعت في مطبعة الجيش الوطني الشعبي، الجزائر 1967، منها:

¹ - للتوسع ينظر ترجمة الدكتور أحمد عروة في معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر

والقرن العشرين، على الموقع: <http://www.almoajam.org/poet>

-(Fleur des champs).

-(Panorama).

-(Les temps modernes).

-(Au-delà des barrières).

ب. الإنتاج الأدبي:

له مؤلفان سرديان مطبوعان باللغة الفرنسية ومجموعة حوارات وتأملات في

الفلسفة والحياة.

-(Quand le soleil se lèvera)، وهي قصة سردية عاطفية عبر فيها المؤلف عن

إيمانه بمستقبل الجزائر في ظل الاستقلال والحرية، منشورات دحلب، الجزائر 1992.

-(Fleur de cactus)، طبع بالشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1964.

إلى جانب ذلك له بحوث ومؤلفات فلسفية سعى من خلالها بمجهود حيث

حاذ في ترقية الفكر الإسلامي، وتميز بحسن الاختيار والتنوع، وقد فتح حوارا بناء بين

وجهات نظر مختلفة ومتباينة، وبحوثه كثيرة وفي مجالات مختلفة من ضروب المعرفة

منها: (آفاق إسلامية لفلسفة العلوم الإنسانية)، سطيف 1986، و(الفكر السياسي

في العالم الإسلامي متاهات وعلامات)، لندن 1986، و(الأمة الإسلامية بين

الاعتصام والانفصام)، مؤتمر الفكر الإسلامي، الجزائر، و(النموذج العربي للأسرة حل

هو المثال والآمال)، مؤتمر الفكر الإسلامي، الجزائر، و(المسلمون في أوروبا بين

الأخذ والعطاء)، ألمانيا 1990.

وله عدة بحوث إسلامية منها: (الإسلام في مفترق الطرق)، دار النشر

والتوزيع، الجزائر 1969، (الإسلام والعلم)، 1982، و(الإسلام وتحديد النسل)

1986، و(تأملات حول العلم والدين، مناهج ومفاهيم)، دار الفكر،

دمشق 1987، و(الإسلام والجنس) 1990، و(الإسلام والديمقراطية)، دار الكتب،

1990، و(تحديات علمية وآفاق اجتماعية للتقدم العلمي والتكنولوجي)، (مخطوط).

دور المثقف ورسالته عند د. أحمد عروة من خلال قصيدة "إن شعري ليس شعري" — أ.د. رابع طيجون

وله عدة بحوث شارك بها في مؤتمرات طبية عربية وعلمية منها: فيزيولوجيا التنفس عند ابن سينا، الكويت 1957، والصحة الاجتماعية في آفاقها الإسلامية، إستانبول 1986، ونظرية الوقاية عند ابن سينا وآفاقها الجديدة، كراتشي 1986، وآفاق إسلامية لفلسفة وسياسة الصحة، الكويت 1988.

وله عدة بحوث في تاريخ الطب منها: (المناهج العلمية لمعرفة خصائص الأدوية عند ابن سينا)، مجلة التراث العربي، جامعة دمشق 1980، و(آفاق تعليم العلوم الطبية باللغة العربية)، اتحاد الجامعات العربية، الجزائر 1980، و(الصحة والوقاية عند ابن سينا) 1980، و(الصحة والبيئة) 1985، و(الوقاية وحفظ الصحة عند ابن سينا)، مجمع اللغة العربية، دمشق 1986، و(الطب الإسلامي وآفاقه).

ثالثاً: القصيدة الرؤيوية:

في قصيدة الدكتور أحمد عروة (إن شعري ليس شعري)¹ فسيفساء من تنوعات الثابت والمتحول والانتشاري والانحساري في نسيج متنوع تتخلله مواقف الرفض والقبول، لأن جوهر الإبداع لديه بحث عن فلسفة الروح وسر الوجود، وانطلاقاً من هذه الرؤيوية فالشعر بالنسبة إليه هو "قيمة مضافة إلى مجموع عناصره المكونة له، ومصادره النابع منها، إنه قيمة مضافة إلى الحياة"².

ففي الرباعية الشعرية الأولى والثانية تساؤلات في ماهية الخطاب الشعري (هل بشعري)، وفيه تثوير للطابع الساكنة، وسعي لإرضاء أفق القارئ، وبحث عن المعنى الرؤيوي الذي افتقده الشعر في الزمن المهجين.

¹ - أحمد عروة: قصيدة "إن شعري ليس شعري" مجلة الرؤيا: اتحاد الكتاب الجزائريين، عدد 3، السنة 2، شتاء 1983، ص 88.

² - محمود أمين العالم: "ملاحظات حول نظرية الأدب وعلاقتها بالثورة الاجتماعية"، مجلة الثقافة والثورة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1983، ص 8.

هل بشعري قبس يلمع في الليل الرهيب؟

هل بشعري شرر يوقد في هذا اللهب؟

هل بشعري نغمة يصغي لها طفل غريب؟

هل بشعري بسمة تزنو لها عين الكتيب؟

هل بشعري نسمة تبرد أعصار الجحيم؟

هل بشعري جرعة الماء لظمآن سقيم؟

هل بشعري بلسم يشفي به جرح الكلیم؟

هل به لقمة خبز تنعش الجسم الهضم؟

إن التردد المتناغم لمفردة (هل بشعري) مرفقا بألفاظ التناؤل وتباشير النصر والأمل في الغد الشعري المؤثت عبارات متتابعة في نسق تعبيري مترابط، فيه لمسة إبداعية متفردة ترددت فيها عبارات (قبس يلمع)، (شرر يوقد)، (نغمة يصغي لها)، (بسمة تزنو لها)، (نسمة تبرد أعصار الجحيم)، (جرعة الماء لظمآن)، (بلسم يشفي)، (لقمة خبز تنعش).

وفي الرباعية الشعرية الثالثة والعاشره والحادية عشره والثانية عشره إلى غايه الرباعية السادسة عشر تأكيد على دور الشعر في لعبة الحياة والوجود "بحيث يصبح الجمال هو أخلاق المستقبل"¹، ويتأسس التأكيد على ترددات اللازمه الشعرية بطموسها ودلالاتها تفيض بالتشويق وتنطق بالإثارة (إن شعري):

¹ - محمود أمين العالم : ملاحظات حول نظرية الأدب وعلاقتها بالثورة الاجتماعية، ص 32.

إن شعري لوعة الحسن وتقديس الكمال

إن شعري قبلة الفن على ثغر الجمال

فلماذا الجنة الخضراء غاصت في الرمال؟

ولماذا ذبل الورد وداسته النعال؟

ليس شعري صولجان بيد الشعب الأبية

إن شعري حرارة الأبطال في النار العتية

إنه فرقة اللغم وقذف البندقية

إنه الرشاش والصاروخ بالأيدي القوية

إنه شعلة نار في هشيم الخشب

إنه نسفة حق في رماد الكذب

إنه نور تجلى في ظلام الغيب

إنه ضربة ثأر شحنت بالغضب

إن شعري بفلسطين بالجزائر بالقناة

تحت ظل الحرب يدوي لانفجار القاذفات

مثل ما دوى قديما بين سيف وقناة

عن ربي الوادي الكبير وبأحضان الفرات

إنه الإرهاب والبارود في وجه الغزاة

إنه دمع اليتامى وحليب الأمهات

ودم الأبطال في الحرب الصناديد الأباة

عشقوا الموت ليهدوها مخلودا وحياة

وأمام خيارات الشاعر التي لم يتردد فيها مطلقا حيث تصدى مبكرا لحملات النكوص والتشكيك، مؤكدا على (جوهر الأدب ورسالته) في لحظة فارقة، والتي ستعطينا تفاقلاً بالحياة عبر تلوينات قصيدته (إن شعري) التي تتشاكل نسيجيا مع بعضها البعض، وتعمل على قولبة كلماتها في فضاء النص: (لوعة الحسن)، (قبلة الفن)، (فرقة اللغم)، (إنه الرشاش والصاروخ)، (إنه شعلة نار)، (إنه نسفة حق)، (إنه نور تجلى)، (إنه ضربة ثار)، (إنه دمع اليتامى)، (ودم الأبطال في الحرب). وفي الرباعية الشعرية السابعة والثامنة والتاسعة والعاشر إنكار للذين جعلوا الشعر مطية الابتذال والسفاهة، وقد علفت به تقاليد منحوجة (ليس شعري):

لا تقل شعري بقايا من شظايا شغفي
تحت أوراق كتابي تمنحي أو تحتفي
ليس شعري زفرة الكبت بصدر خائف
إنه نار بقلب غاضب لا تنطفي

ليس شعري دمعة تهرق في بحر الدموع
ليس شعري رنة تخفق بالعود الولوع
ليس شعري دقة الطبل وتقدير الجموع
أو غواني تنغى بمواعيد الرجوع

ليس شعري نكبة تخدم مجدي وحماسي
ليس شعري آهة اليأس وتعدد المآسي
ليس شعري ندوة الكأس وتهيد الكراسي
ليس شعري نشوة السكران في نادي التناسي

دور المثقف ورسالته عند د. أحمد عروة من خلال قصيدة "إن شعري ليس شعري" — أ.د. رايح طبعون

وانطلاقاً من الواقع المتردي الذي كدر صفو الحياة بنأى بشعره أن يكون
كما قال: (ليس شعري):

(زفرة الكبت)، (دمعة تحرق في بحر الدموع)، (رنة تخفق بالعود الولوع)،
(دقة الطبل وتقدير الجموع)، (تغنى بمواعيد الرجوع)، (نكبة تحمد مجدي وحاسي)،
(آهة اليأس وتعديد المآسي)، (ندوة الكأس وتمهيد الكراسي)، (نشوة السكران في
نادي التناسي).

لقد حرر الدكتور أحمد عروة الشعر من البطل الخرافي في أجواء الميثولوجية
القديمة من الآلهة وأنصاف الآلهة والذي يقوم بالخوارق والمعجزات وأعاد له إنسانيته،
بكل ما في الإنسان من خوف وتردد وتوق إلى الخير. وأعاد للقصيدة شعريتها
ووقارها وانفتاحها على ثنائية الممكن والمستحيل، وله في ذلك حضور شعري جدير
بالذكر والاحتفاء.

وقد ألهمت طبيعة قرية (أمدوكال) الساحرة به بناياتها ذات الطابع
المعماري التقليدي وسط واحاتها الخضراء من أشجار النخيل الباسقة شعر
الدكتور أحمد عروة، فقد نرى أصداء ذلك في ثنايا قصيدته التي تشكل مجالا حيويًا
بالغ الاستقطاب كما نرى تأثيرًا واضحًا لتقافته العربية الإسلامية، واتتلاف وجداني
قل مثيله في فضاء وجودي بالغ التعقيد حيث يقول:

ولماذا دفن الجوهر في غور اللحد
واختفت أنواره تحت أساطير الجمود
وانطوى الحق أسيرًا بيد الخصم الحقود
وارتمى النسر كسيرًا تحت أتقال القيود

دور المثقف ورسالته عند د. أحمد عروة من خلال قصيدة "إن شعري ليس شعري" — أ.د. رابع طبجون

إن نصوص الدكتور أحمد عروة تنبض بالحياة وتكشف عن شفافيته عبر مسارب الروح كما تعكس عمق ثقافته وموسوعيتها وتنوع مصادرها؛ وعن تحصيل معرفي رصين "فقد طبع مضامين إنتاجه بخصائص، لا تكاد نجد لها إلا عند من أتيح لهم هذا التنوع في التكوين"¹، يقول متسائلا:

ولماذا وثب الذئب على باب العرين
فأرى الليث حذولا يتداعى ويلين
مسح الدمع يسراه وبالكف اليمين
غرز الخنجر في صدر الغوي المستكين

عبث الإنسان لا الدهر بأرض قدسية
كم علت فيها شمس بسماء المدينة
فلماذا كشر التاريخ أنياب المنية
وطغى الغاصب واعتز بأسوار رسيه

فالأحداث التي مرت بها الجزائر لم تترك الدكتور أحمد عروة على الحياد فقد تناول تراجيديا الوضع العربي بالدرس والتحليل والتفاعل مع أوجاع الوطن وآلامه في لغة تنبض بالحياة داعيا إلى جمع الشتات ومحاربة العدوان، ويبدو ذلك جليا في محاولته لإيقاظ اللاوعي الجمعي لشعبه وأتمته بمقومات جديدة تؤسس لعلاقات اجتماعية وإنسانية رحية.

¹ - عبد الرزاق قسوم : أعلام ومواقف في ذاكرة الأمة ، ط1، الدار العثمانية، الجزائر 2014، ص189.

دور المثقف ورسالته عند د. أحمد عروة من خلال قصيدة "إن شعري ليس شعري" — أ.د. رابع طيجون

خاتمة:

فقدت الجزائر بوفاة الدكتور أحمد عروة أحد الوجوه البارزة التي تألقت في صدارة المشهد الثقافي والإبداعي مثله في ذلك كمثل مالك بن نبي (1905-1973)، ومصطفى الأشرف (1917-2007)، ومحمد ديب (1920-2003) ... وغيرهم ممن مثلوا مرجعيات لحيل كامل من الشباب بروح منفتحة على الكونية، ومن حذوا حذوهم من الذين كانوا يحدثون التوازن الثقافي بين الضفتين ويتمتعون بالتوقير والاحترام والهيبه والتقدير.

فلقد رسخ الدكتور أحمد عروة بأعماله المتميزة وسعيه الدؤوب في تنوير أبناء شعبه دور المثقف ورسالته النبيلة تجاه مجتمعه وأمنه، "كعامل تغيير اجتماعي في آن واحد وفي الدور الخاص الذي يسنده للمثقفين"¹، وللمثقلة في نشر القيم والمفاهيم الإسلامية السامية في جوانبها العلمية والعملية. وحسم في البداية خياراته الكبرى كدليل على حيوية لم تتعلم رغم القصور" في فترة كانت الجزائر تعيش أزمة توجه، فقد كان لأفكار الدكتور أحمد عروة الصادرة في كتاب (الإسلام في مفترق الطرق) دور في تحصين المجتمع الجزائري من تجاوزات الابتعاد عن مرجعيتها الدينية والحضارية².

لقد توزعت جهوده رحمه الله في محاربة الفقر الثقافي والاجتماعي والعجز والقصور والوهن النفسي والصحي، في مواجهة مصيرية لا تنتهي إلا بالموت والانتحاق بالرفيق الأعلى راضيا مطمئنا على أن الغرس الذي غرسه سيأتي أكله ولو بعد حين.

¹ - طاهر لبيب : سوسولوجيا الثقافة، دار محمد علي الحامي، صفاقص، تونس (د.ت) ، ص 36.

² - الملتقى الوطني الثاني للدكتور أحمد عروة : معادلة العلم والإيمان في شخصية حكيم أمبودكال، أنظر تغطية الملتقى على صفحات جريدة البصائر : العدد 755، يوم الاثنين 22-28 رجب 1436 هـ الموافق ليوم :

11-17 ماي 2015.

دور المثقف ورسائله عند د. أحمد عروة من خلال قصيدة "إن شعري ليس شعري" — أ. د. رايح طيجون

المراجع والإحالات:

- 1- أحمد عروة: قصيدة " إن شعري ليس شعري" مجلة الرؤيا، اتحاد الكتاب الجزائريين، عدد 3، السنة 2، شتاء 1983.
- 2- جريدة البصائر: العدد 755، يوم الاثنين 22-28 رجب 1436 هـ / الموافق ليوم 11 -17 ماي 2015.
- 3- الربيعي بن سلامة ومجموعة من المؤلفين: موسوعة الشعر الجزائري، ج2، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر 2009.
- 4- طاهر لبيب: سوسولوجيا الثقافة، دار محمد علي الحامي، صفاقص، تونس (د.ت).
- 5- عبد الرزاق قسوم: أعلام ومواقف في ذاكرة الأمة، (ط1)، الدار العثمانية، الجزائر 2014.
- 6- محمد الصالح الصديقي: أعلام من المغرب العربي، ج3، (ط2)، دار موفم للنشر، الجزائر 2008.
- 7- محمود أمين العالم: "ملاحظات حول نظرية الأدب وعلاقتها بالثورة الاجتماعية"، مجلة الثقافة والثورة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1983.

النشيد عند أحمد عروة بين القوة والغضب والأمل والفرح

د. مراد مزعاش

المدرسة العليا للإساتذة قسنطينة

تمهيد:

يعتبر الدكتور أحمد عروة - رحمه الله - أحد المفكرين الأدباء الذين لم يلقوا حقهم من الاهتمام والدراسة.

والجانب الأدبي عند أحمد عروة بارز جدا وباللغتين العربية والفرنسية، فقد بدأت ميولاته نحو الأدب منذ الصغر، ثم صقلته المعاناة والكفاح ضد الاستعمار الفرنسي، وكان المعتقل من أهم الأسباب التي فجرت هذه الموهبة الأدبية ودفعت بها للتخليق في سماء الإبداع الأدبي والفني.

وتشهد كتاباته الأدبية عن تمكن واقتدار وامتلاك لخاصية اللغة، وحسن اختيار للمعاني والدلالات المناسبة مع الصدق والإخلاص والوفاء، فقد كتب في الأدب:

- ديوانا شعريا باللغة العربية عنوانه (ذكرى وبشرى)¹.

- عدة دواوين باللغة الفرنسية، (أزهار الحقول)²، (بانوراما)، (الأزمة

المعاصرة)، (من وراء القضبان).

¹ - طبع دار مكتبة الحياة - بيروت 1964م.

² - مطبعة الجيش الوطني الشعبي - الجزائر 1967م.

النشيد عند أحمد عروة بين القوة والغضب والأمل والفرح ————— د. مراد مزعاش

- رواية (عندما تشرق الشمس)¹ باللغة الفرنسية، وهي رواية طافحة بالعواطف ضمن فيها تفاؤله وإيمانه القوي بمستقبل وطنه الجزائر الذي رآه مشرقاً منيراً.

- (مثل أزهار الشمس)²، وهو عبارة عن خواطر وتأملات.

- مجموعة أناشيد: (نشيد محمد بلوزداد) و(نشيد العمال)³ و(نشيد الثائرات)⁴ و(نشيد من دماء القلوب) و(نشيد عهد البناء).

- كتاب (مثل أزهار الصبار) وقد جمع فيه تجاربه وخلاصاته في الحياة ضمنها ملاحظات ومقولات جمعت بين الحكمة والفلسفة مع عمق التجربة في قالب أدبي شائق.

- إضافة إلى مؤلفاته الأخرى في الفكر والطب والإعجاز ...

النشيد:

قال ابن منظور النشيد هو: (رفع الصوت، وكذلك المعرف يرفع صوته بالتعريف فسمي منشداً، ومن هذا إنشاد الشعر، إنما هو رفع الصوت... وقال أبو العباس في قوهم نشدتك الله، قال: النشيد الصوت، أي سألتك الله برفع نشيدي أي صوتي، قال: وقوهم: نشدت الضالة، أي رفعت نشيدي، أي صوتي بطلبها، قال: نشد الشعر وأنشده فنشدت: أشاد بذكره، وأنشده إذا رفعه... والنشيد فاعيل بمعنى مفعول، والنشيد الشعر المتناشد بين القوم ينشد بعضهم بعضاً...)⁵.

¹ - منشورات حلب - سوريا - 1992م.

² - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر 1964م.

³ - كتب بمعتقل بوسوي عام 1957م.

⁴ - كتب ولحن بمعتقل بوسوي عام 1958م.

⁵ - ابن منظور - لسان العرب - الجزء السادس - دار المعرفة - طبعة سنة 1981م - ص 442.

وجاء في المعجم الوسيط: النشيد الصوت ورفع مع تلحين، والانشودة قطعة من الشعر أو الزجل في موضوع حماسي أو وطني تنشده جماعة وجمعها أناشيد¹.
فإذا كان النشيد يقوم على رفع الصوت والمناداة والصياح وإسماح البعيد من خلال إيصال الصوت له فهو يقوم بوظيفة دعائية عظيمة لها تأثيرها الواضح من خلال الدعاية الإعلامية التي يقوم بها.

النشيد بين الدور والأثر:

تميز النشيد عن الشعر من خلال الدلالات الخاصة والمعاني المتميزة التي أعطته طابعه الخاص من خلال سعيه إلى الدعوة إلى التربة والتسلية والترفيه ومعالجة الفساد الذي طال الحياة والمجتمعات² والأفراد وتقدم البدائل المناسبة...

لغة النشيد عند أحمد عروة:

1- السهولة والوضوح:

إذا قرأنا الأناشيد التي بين أيدينا وجدنا الشاعر يوظف لغة بسيطة وسهلة مركبة من ألفاظ ومفردات معروفة متداولة في الأوساط الشعبية الجزائرية وتعكس مستواها التفكيرية والإدراكية... لأنها تتماشى وطبيعة تلك المرحلة التي مرَّ بها الشعب الجزائري من انتشار للأمية وانصرافه للنضال والكفاح والثورة من أجل قضيته الكبرى لأن (شعر النضال لا يتطلب هذا العمق لأنه يتجه إلى العاطفة والشعور قبل

¹ - مجمع اللغة العربية - المعجم الوسيط - الجزء الثاني - الدار الهندسية للنشر - سنة 1985م - ص 958.

² - ينظر جلال خياط وآخرون - الشعر والثورة - منشورات وزارة الإعلام - العراق - سنة 1975 - ص 75.

العقل¹. لهذا كانت اللغة المستعملة بسيطة في ألفاظها سهلة في معانيها نابعة من عمق المعاناة التي يجيهاها الشعب الجزائري.

فهو حين يخاطب المرأة الثائرة في (نشيد الثائرات) التي نالت وسام شرف الثورة والجهاد، يخاطبها بعبارات نابعة من محيطها الثوري والاجتماعي والجغرافي التي عاشته وعرفته عن قرب وعانيت معاملة فلم يكن غريبا عنها لأنه مألوف لديها وكذلك كانت الألفاظ:

قلدتك الثورة الكبرى وسام الثائرات
ورأيانك تجوين الجبال الشاهقات
فشهدنا النصر خفاقا بأرض المعجزات
ومُضنا وابتسمنا للشفاه الياسمات²

فانظر إلى مجموع الألفاظ المكونة لهذا المقطع (الثورة، الوسام، الثائرات، الجبال، الشاهقات، النصر، الأرض، المعجزات مُضنا، ابتسمنا، الشفاه، الياسمات...) كلها ألفاظ مألوفة ليس فيها من الغريب الوحشي الذي تنفر منه النفوس لأنها لا تعرفه ولا تفهمه، أو نمحه الطباع لأنه على غير سجيتهما. ونفس حقل الألفاظ السهلة البسيطة المألوفة نراها في نشيد عهد البناء الذي يحكي معاناة الشعب وتضحياته الجسام ووقوفه في وجه المستعمر الغاصب واستعداده لبناء وطنه والرقى بشعبه:

¹ - أنيسة بركات درار - أدب النضال في الجزائر منذ 1945 حتى الاستقلال - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر 1984م - ص 152.

² - أناشيد وطنية - إعداد المتحف الوطني للمجاهد - سنة 2002 - ص 123.

نزعنا من الموت نور الحياة
بمعتك الحق والحريسات
وقمنا لعهد البناء نبادر
لتحيا الجزائر لتحيا الجزائر

نزعنا الحقوق بساح الفسدا بعزم النفوس وبذل الدما
تجلى بها النصر للثائرين رعاة الحقوق وجند الحما
أخصبت الأرض فوق الرمساد وشق الظلام ضياء السما¹

فالألفاظ المكونة لهذا المقطع (الموت، النور، الحياة، الحق، الحريات، العهد، البناء، الجزائر، الحقوق، الساح، الفداء، العزم، النفوس، البذل، الدماء، النصر، الحقوق، الجند، الأرض، الرماد، الظلام، الضياء، السماء...) هي أيضا ألفاظ مألوفة يعرفها السامع لأنها نابعة من لغة الحوار والتواصل والاستعمال اليومي عنده، فهي لغة بسيطة بساطة الجزائري الذي يطمح إلى الحرية والاستقلال والعيش الكريم في ظل أرضه التي يفديها بروحه وينبها بعرقه وجهده.

وانظر أيضا إلى الألفاظ المكونة لنشيد (من دماء القلوب) تجده لا يجيد عما هو موجود في النشيدتين السابقين في بساطة الألفاظ وسهولتها وانتراعها من الوسط الشعبي الذي هو موجه إليه:

¹ - أناشيد وطنية - إعداد المتحف الوطني للمجاهد - المرجع السابق.

من دماء القلوب الغاضبات
من عناء العيون الساهرات
من عذاب القيود والسجون المظلمات
من شباب تصدى للعدا
من صدور تعج بالفدا وبالردى
قد نزعنا من الموت الحياة

لتكذب للكون أو تدعي
محاولة الغاصب الطامع
ستقفه رنة المدفع
وتقرعه ضجة المقمع
خطابا رهيبا تعج به
صدور الصناديد بالمصرع

فما سجلته دماء الأباة
على الأرض لن تمحه الطائرات
ولو دكت الأرض من حوله
ولو هدت القمم الشانخات
ستعطي دروسا لأبنائنا
أناشيد حمراء للمرضعات

برعد المدافع تقرعها
بألسنة النار تلهبها
بسيل الدماء تحضبها
بدمع اليتامى بأطلالها
عهدنا الجزائر مهد الوفاء
بأنا نموت ونحيا لها¹

¹ - أناشيد وطنية - إعداد المتحف الوطني للمجاهد - المرجع السابق

فجميع الألفاظ المكونة للنشيد ليس غريبا ولا معقدا ولا مبهما، فهي مفهومة سهلة بسيطة متداولة، لا تشكل حاجزا في الفهم والتجاوب والانسجام مع معانيه ودلالاته.

2- الخطابية:

يمكن للقارئ أن يلحظ النزعة الخطابية في أناشيد أحمد عروة بكل وضوح من خلال الألفاظ والأساليب التي تبعث في السامع روح الثورة والحماسة والنهوض وتُجيش عواطفه نحو قضايا الوطن والأمة وتدفعه إلى تحقيق أهداف الثورة والتمرد على العدو الغاصب.

إن هذه النزعة كفضيلة بإثارة النخوة وإيقاظ الحس الوطني، فوقف الشاعر موقف الخطيب يصيح في الجموع ويثرهم ويوقظ الأحاسيس والمشاعر عندهم، لهذا نجد أناشيده حافلة بالأفعال والصيغ الدالة على ذلك خاصة مع صيغ الأمر من مثل: (فاللحقي الأحرار، فاستكملني، اصعدي، وامرحي، حيي، ...) أو مع التكرار من مثل: (لتحيا الجزائر، الثورة، الجبال، الدمع، الجرح، الدماء...)، وقد زادتها فخامة الألفاظ قوة وعنفوان. وعلى مثل هذا الموقف علق الشاعر الفحل صالح خرفي حين كان ينظم الأشعار ويحير الأناشيد والأجواء الحماسية التي تصاحبها بقوله: (الثورة المشتعلة في حاجة إلى صوت يحمس لها أكثر من حاجتها إلى نغمة حاملة تغني بها، وكنت لا استتشف أن أجد نفسي غير مرة في موقف خطيب لا شاعر ما دامت الثورة التي تلهمني تجعلني كأبي على صخرة من صخور الأطلس الشامخ أهيب بالثائرين الأحرار).¹

1 - صالح خرفي - أطلس المعجزات - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر 1968م - المقدمة

المعجم النشيدي:

الفاظ القوة والإصرار والغضب:

يُعبّر النشيد بألفاظ الغضب والعنف والحماسة والاندفاع والثورة وما ينتج عنها من إصرار وتضحية واستشهاد. وأحمد عروة ينطلق في أناشيده من نفس غاضبة وثائرة وغير راضية، غاضبة على الوضع الذي يعيشه الشعب الجزائري في ظل الاستعمار الظالم، ويعيشه الوطن تحت وطأة الاستعمار الغاصب للحق والأرض والعرض، ونفس ثائرة على هذا الوضع المتطلعة إلى تغييره وتبديله، من هذا المنطلق حفلت أناشيده بالألفاظ المعبرة عن هذا الوضع فجاءت كلها قوة وعزما وإصرارا وغضبا فكان منها:

(الضجة، صيحات، الجداد، الدماء، الدموع، الاضطهاد، الحرب، الثورة، أشواك، حداثت، الجرح، سهرت، اليأس، يدوي، الانفجار، النار، العزم، السلاح، لا يجيد، المعتقل، السجن، القيود، الغضب، السهر، العذاب، الموت، المدفع، الضجة، الطائرات، الرعد، القرع، اللهب، اليتامى، نزعنا، العزم، الجند، الغاصب، المستبد،...).

(فنشيد الثائرات)¹ كله غضب وقوة وإصرار... فيبدأه بمخاطبة المرأة الثائرة

بمذه القوة والإصرار على النهوض:

أيقظتلك الضجة الحمراء وصيحات الجداد

ودماء ودموع وقبور ورماد²

¹ - أناشيد وطنية - إعداد المتحف الوطني للمجاهد - ص 123/124.

² - أناشيد وطنية - إعداد المتحف الوطني للمجاهد - المرجع نفسه.

ثم كانت عبارات الإصرار على الثورة والمقاومة وصد العدوان، رغم الصعوبات والمشقات خاصة وأن الذي حمل التحدي هم النساء:

خدشت خديك أشواك الثنايا والشعاب
بجرحت رجلاك من سير طويل بالهضاب
سهرت عينك في ليل الصحاري الشاسعات
وتسلقت الروابي والجبال الكالحات¹

ثم يعبر عن قوة المرأة الجزائرية وصبرها وتحملها وعزمها على الثبات والنصر مما أذهل المستعمر الذي أذهله ذلك فوقف مشدوها لا يعلم ما يصنع من هول الصدمة:

علم الخضم وقد أذهله العزم الشديد
أن إيمانك درع وسلاح لا يحميد
شهد للمعتقل الحاشد والسجن الحقود
شهد التعذيب والقمع وأثقال القيود²

وإذا انتقلنا إلى نشيد (من دماء القلوب)³ وجدناه هو الآخر حافلا بألفاظ القوة والغضب والإصرار والثورة وقد كان مطلعها دليلا عليه من خلال القوة التي يحملها، يقول فيه:

1 - أناشيد وطنية - إعداد المتحف الوطني للمجاهد - المرجع السابق.
2 - أناشيد وطنية - إعداد المتحف الوطني للمجاهد - المرجع نفسه.
3 - أناشيد وطنية - إعداد المتحف الوطني للمجاهد - سنة 2002م - المرجع نفسه.

من دمساء القلوب الغاضبات
من عنساء العيون الساهسات
من عذاب القيود والسجون المظلمات
من شباب تصدى للعدا
من صدور تعج بالفدا وبالردى
قد نزعنا من الموت الحياة¹

وهذه القوة والغضب تجلّى أكثر في الرد على الاستعمار من خلال ما يقوم به الثوار، ومن خلال مدافعهم ومواقفهم التي ستكذب كل ادعاءات هذا الاستعمار وأكاذيبه:

محاولة الغاصب الطامع	لتكذب للكون أو تدعي
وتقرعه ضحة المقمع	ستقذفه رنة المدفع
صدور الصناديد بالمصرع ²	خطابا رهيبا تعج به

كما تظهر هذه القوة والإصرار في هجية الاستعمار وجرائمه التي يرتكبها في حق الشعب الأعزل، والتي يريد من خلالها محو إنجازات الثورة وانتصارات الشعب والنيل من ثباته وعزيمته، والتي تعمل في حقيقة الأمر عكس ما يطمح إليه الاستعمار، فما تزيد الشعب الجزائري إلا إصرارا وثباتا على المبدأ، والتمسك بالثورة والمقاومة والمطالبة بالحقوق، بل وانتزاعها نزعا من خلال بذل المهج والأرواح في سبيل الوطن الذي لا يغلى عليه شيء:

¹ - أناشيد وطنية - إعداد المتحف الوطني للمجاهد - المرجع السابق.

² - أناشيد وطنية - إعداد المتحف الوطني للمجاهد - المرجع نفسه.

فما سجلته دماء الاباة	على الأرض لن تمحه الطائرات
ولو ذكت الأرض من حوله	ولو هدت القمم الشامخات
ستعطي دروسا لأبنائنا	أناشيد حمراء للمرضعات
برعد المدافع تفرعها	بالسنسة النار تلهبها
بسيل الدماء تخضبها	بدمع اليتامى بأطلالها
عهدنا الجزائر مسر مهد الوفاء	بأننا نموت ونحيا لها ¹

ويجدد العهد بكل قوة وعنفوان وبكل شدة وإصرار على التغلب على الموت وعائيات الزمن، والظفر بالمعارك ونبل الحريات، وبناء الوطن وحياة الأرض، في تشيد (عهد البناء)².

نزعنا من الموت نور الحياة
بمعتك الحق والحريسات
وقمنا لعهد البناء نبادر
لتحيا الجزائر لتحيا الجزائر

نزعنا الحقوق بساح الفدا	يعزم النفوس وبذل الدما
تجلى بما التنصر للتائرين	رعاة الحقوق وجند الحما
فأخصبت الأرض فوق الرماد	وشق الظلام ضياء السما ³

¹ - أناشيد وطنية - إعداد المتحف الوطني للمجاهد - ص 183/184.

² - أناشيد وطنية - إعداد المتحف الوطني للمجاهد - ص 197.

³ - أناشيد وطنية - إعداد المتحف الوطني للمجاهد - ص 197.

فالناظر في معجم ألفاظ هذه الاناشيد يجد الشاعر يمزج بين ألفاظ الإصرار-خاصة التي تحت على الوقوف في وجه المستعمر والثورة عليه ومقاومة مشاريعه والتغلب على محظطاته - وبين ألفاظ القوة والعنف - خاصة التي تشير إلى السلاح والمدافع والدماء والطائرات والقتل - . وهذه الألفاظ تمثل نسبة عالية من كم الألفاظ المكونة للأناشيد.

كما جاءت لغة هذه الأناشيد فيها من الجزالة في اللفظ والجهارة في العبارة والجلجلة في القافية والوضوح في الإيقاع... وهي كلها ألفاظ تناسب المقام ومنبعثة من واقع التجربة المبررة للشاعر والشعب الجزائري.

ألفاظ الأمل والبشر والفرح:

وحين نتقل إلى الحقل المقابل لحقل القوة والإصرار والغضب، يتراءى لنا حقل ألفاظ الرجاء والأمل والبشر والفرح والأمان والثقة في النصر وما تحدثه في النفس من قرار واطمئنان وراحة بال، فنقرأ مثل هذه الألفاظ: (التحرر، التقدم، الوسام، الزهر، البطل، الأنوار، الأمل، الراية الخضراء، الوجه الباسم، التهليل، البشري، الأغاني، الانتصار، الإيمان، الحق، الأحرار، المستقبل، الباب، الفتح، الصعود، السلم، المجد، النصر، الحفل، الأفق، الجديد، الحياة، النور، الضياء، السماء، الازدهار، عامل، عادل، الإخاء، ...).

ففي نشيد الثائرات يشع نور الأمل في النصر والشفاء من الأمراض والأسقام والآلام التي يعانيتها المجتمع حين يرى المرأة وهي تجوب القفار والفيافي وتصعد الصعب من الجبال والبسمة مرتسمة على وجهها مما يعث على التفاؤل بالنصر:

قلدتك الثورة الكبرى وسام الثائسرات
ورأيناك تجوين الجبال الشاهقسات
فشهدنا النصر خفاقا بأرض المعجزات
ونحننا واتسمنا للشفاه الباسمات¹

ويتحقق النصر الذي يصنع تاجا أحمر مرصعا بالدماء يزين به رأس الحرائر
من نائرات الجزائر فيتحرر الوطن ويتحررن معه، مما يفتح الباب على مصراعيه نحو
المستقبل الخالد والأمل الصادق:

قد حباك النصر تاجا بالصعيد الأحمر
ونزعت الحق في نار النضال الأكبر
فالخقي الأحرار في السير إلى المستقبل
قد فتحت الباب للخلد به فاستكملي²

وحين يتحقق النصر يكون الصعود نحو المجد والمرح والاحتفال، فتزرف الراية
خفاقة إيذانا بصبح جديد فيستبشر الجيل الصاعد بما حققه الآباء والأجداد:

اصعدي في سلم المجد مع الشعب العتيد
وامرحي بين جنود النصر في الحفل المجد
حيي هذا العلم الخافق في الأفق المديد
إنه ذكرى وبشرى لبني العهد الجديد³

¹ - أناشيد وطنية - إعداد المتحف الوطني للمجاهد - المرجع السابق.

² - أناشيد وطنية - إعداد المتحف الوطني للمجاهد - المرجع السابق.

³ - أناشيد وطنية - إعداد المتحف الوطني للمجاهد - المرجع نفسه.

وفي نشيد (دماء القلوب) يعطي الشاعر الوعد للوطن، فإما حياة في سبيله
وإما الموت من أجله وذلك من الوفاء المعهود في هذا الوطن لأهله وأبنائه:
عهدنا الجزائر مهد الوفاء بأننا نموت ونحيا لها¹

ويكون نشيد (عهد البناء) كله مفعما بالأمل والرجاء في مستقبل زاهر
للشعب والوطن، فبعد التضحيات التي قدمها ليتم تحرير الوطن، وجب اليوم أن نتطلع
لبنائه وتشبيده، في ظل التماسك الأخوي والاتحاد الاجتماعي لأبنائه حتى تسود فيه
قيم العدل والحرية والأخوة والاتحاد والسلام، ليحيا الوطن حرا كريما شامخا بين الأمم:

نزعنا من الموت نور الحياة
بمعتك الحق والحريات
وقمنا لعهد البناء نبادر
لتحيا الجزائر لتحيا الجزائر

بزعزعت النفوس وبذل الدما	نزعنا الحقوق بسلاح الفسدا
رعاة الحقوق وجند الحما	تجلى بما النصر للثائرين
وشق الظلام ضياء السما	فأحصبت الأرض فوق الرماد
يشيد مستقبلا مزدهر	هنا قام شعب قوي أمين
تلين له المعجزات الكبار	ومن بعث النور من دمه
ولا مستبد ولا محتكر	فلا عاش من بينه غاصب

¹ - أناشيد وطنية - إعداد المتحف الوطني للمجاهد - المرجع نفسه.

وما ثورة الشعب إلا انطلاق
يحدث روح الفدا والقيم
لمجتمع عامل عادل
يسود الإحياء به والسلم
يحالفه النصر في سيره
لتحيا الجزائر بين الأمم¹

فالمتعمن في ألفاظ هذا الحقل يجد الأناشيد حافلة بما يعث على الأمل ويدفع إلى الرجاء ويشعل الأنوار، ليدفع بها دياجير الظلام ويفتح الآفاق، ويشرع الأبواب نحو المستقبل الذي تسوده القيم السامية السلم والمواخاة والاتحاد والتكافل بين أفرادها.

وهذه الألفاظ - أيضا - تمثل نسبة هائلة من الألفاظ المكونة للأناشيد جاءت في مقابل الألفاظ المكونة للحقل الأول لتحدث نوعا من التوازن بين الحقلين.

كما جاءت لغة هذه الأناشيد فيها من الرقة والسهولة والليونة... وهي كلها ألفاظ تناسب المقام ومنبثقة من واقع التجربة الواقعية المتشعبة بالتفاؤل والأمل والتطلع للمستقبل للشاعر.

خاتمة:

إن النشيد عند أحمد عروة لغته سهلة بسيطة نابغة من الواقع المعيش لكن فيها من الفخامة والجزالة ما فيها، منطلقها الغضب والثورة والقوة والعنفوان والإصرار لكن نهايتها تكون سعيدة مليئة بالمبشرات والأمال والأفراح.

¹ - أناشيد وطنية - إعداد المتحف الوطني للمجاهد - ص 197 / 198.

A decorative rectangular border with intricate floral and geometric patterns, featuring repeating motifs of leaves and flowers along all four sides.

آثاره

المفكر أحمد عروة بين الأصالة والحداثة

بناء على كتابه "الإسلام في مفترق الطرق"¹

د. أبو عمر بن سامية

جامعة بوزريعة - الجزائر²

إن كتاب المرحوم الدكتور عروة جاء بآراء مهمة ومواقف أساسية وهو جدير بالاهتمام لأنه ناقش أفكارا لا زالت صالحة إلى يومنا هذا. يمكن أن نلخصها في التراث والأصالة وما يمكن أن نأخذ من الثقافة الغربية. إنه يمتاز بقدرته على النقد البناء وتمسكه بأصالته، فبين الفرق بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية قاصدا توضيح ما ظهر من التباس وسوء التفاهم أحيانا. وقد تمسك بما يقارب بينهما معتمدا على الحوار المثمر.

نبذة عن حياته:

ولد الدكتور أحمد عروة بقرية أمدوكال (ولاية باتنة) في 11/05/1926 ثم انتقلت أسرته إلى مدينة القليعة (ولاية تيبازة حاليا) في سنة 1933، حيث كان والده يشغل وظيفة إمام.

تعلم أولا في هذه المدينة ثم انتقل إلى مدينة الجزائر حيث واصل تعليمه الثانوي، والتحق فيما بعد بجامعة "مونبولي" (Montpellier) الفرنسية التي درس فيها الطب، وكان له نشاط اجتماعي وثقافي. فترأس جمعية الطلبة الجزائريين في تلك المدينة الجامعية. قد أنهى دراسته الطبية وعاد إلى الجزائر سنة 1955 فمارس مهنة

¹ -A.Aroua, L'Islam à la croisée des chemins, édit. SNED, Alger, 1969.

- محاضرة أقيمت في الملتقى الوطني الثالث حول حياة ومآثر وفكر الدكتور أحمد عروة -رحمه الله- الذي نظمته جمعية الثقافة والتراث التاريخ بامدوكال بجامعة باتنة يومي 11 و12 ماي 2011 ولم تنشر من قبل.

المفكر أحمد عروة بين الأصالة والحداثة بناء على كتابه "الإسلام في مقترب الطرق" - د. سامية أبو عمران

الطب بالعاصمة. أثناء حرب التحرير اعتقلته السلطة الاستعمارية بسبب نشاطه في جبهة التحرير الوطني. بعد الاستقلال عين في وزارة الصحة واشتغل في التدريس في كلية الطب. وبعد ذلك عين رئيسا لجامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة إلى أن أصابه مرض عضال وتوفي بمدينة الجزائر في 1992/02/27.

كان الدكتور عروة مفكرا وأديبا وشاعرا حيث ألف روايات "عندما تشرق الشمس" (1969) و"قصائد زهرة الحقول" (1969)، و"مساء وراء الحواجز" (1969)...²¹ وألف عدة كتب علمية ومقالات في المجالات.

اجتهد الدكتور عروة في إيجاد نوع من التفاعل بين ثقافته العربية الأصيلة وتكوينه العلمي. وكان اهتمامه الأساسي الاعتماد على الاتجاه الإنساني والتربوي فرفض المذاهب البعيدة عن بيئته ومجتمعه وثقافته الدينية. فكان ينتمي إلى تيار ثالث يسعى إلى التوسط بين المتمسكين بالتراث تمسكا شديدا والمحدثين الذين يتبنون تماما أطروحات الغرب ويتخلون عن التراث الإسلامي الأصيل.

مواقفه :

وهنا لابد من الإشارة إلى مواقفه الشجاعة في القضايا ذات أهمية كبرى. فانتقد الغرب والنظام الاستعماري من جهة وأسباب اغتطاط مجتمعنا من جهة أخرى وحدد الشروط التي تبدو له ضرورية للخروج من التخلف.

رد الدكتور عروة على الغرب في مجال آخر هو نظامه الإيديولوجي وخاصة مذهبه الليبرالي والرأسمالي والتيار الماركسي، مركزا على الاستبداد الاستعماري المفروض

1- انظر عاشور شرفي - معلمة الجزائر - دار القصة، الجزائر 2009، ص 1039.

المفكر أحمد عروة بين الأصالة والحداثة بناء على كتابه "الإسلام في مفترق الطرق" - د. سامية أبو عمران

على الشعوب (ص 16 من كتاب الإسلام في مفترق الطرق)، فرأى أنه من الواجب القضاء على المؤسسات الاجتماعية الموروثة من هذا الاستعمار (نفس الصفحة).

ولاحظ أنه من الممكن أن ينتهي الصراع بين الرأسمالية والشيوعية، بفضل القوة الثالثة المتمثلة في العالم الثالث والإسلام بصفة خاصة (ص 18-19 من نفس الكتاب). وأضاف أن الغرب سواء كان رأسماليا أو ماركسيا قد جهل كل شيء عن الإسلام الحقيقي (ص 36 من نفس الكتاب). موضحا أن المذهبين ينتميان في الأساس إلى المادية والإلحاد إلى درجة أنهما زعما أن عصر الإيمان قد ولى نغائيا (ص 25 من نفس الكتاب).

رد الدكتور عروة على ذلك إذ الإيمان متواصل وصالح لكل مكان وزمان. فيفوق العلم بكثير ويكشف للإنسان أبعاد مصيره التي لا تحميها لها (ص 28 من كتاب الإسلام في مفترق الطرق). ورأى أن الإسلام في الحقيقة ليس عدوا للغرب بل جاء مؤكدا ومتمما للديانتين السابقتين كما هو معروف (ص 36 من نفس الكتاب).

وبعد ذلك توقف الدكتور عروة عند قضية كثيرا ما ناقشها علماء النهضة وهي أسباب انحطاط العالم الإسلامي. فرأى أن الإسلام لا يزال يعاني من بعض مظاهر التخلف ومن ركود التصوف النظري الذي أهمل القضايا الاجتماعية مكتفيا بالعبادات وطهارة النفس فقط. إن هذا النوع من التصوف لا يمكن أن ينهض الأمة إلا إذا اعتنى أيضا بمشاكل الأمة (ص 34 من نفس الكتاب).

ثم أضاف أن مجتمعنا تخلى أيضا عن الاجتهاد واعتمد على التقليد الأعمى فأدى حتما إلى الكثير من التصورات الخاطئة والخرافات. فيجب على الجميع في نظره أن يتعدوا أساسا على الاجتهاد الأمر الذي يضمن لهم مستوى ثقافيا رفيعا،

المفكر أحمد عروة بين الأصالة والحداثة بناء على كتابه "الإسلام في مفترق الطرق" - د. سامية أبو عمران

والاجتهاد هو الذي يواجه به المسلمون المشاكل التي تطرح عليهم مع التمسك بمبادئ الشريعة الصحيحة¹.

هناك ظاهرة سلبية أخرى هي جهل بعض الناس للإسلام على حقيقته. فترتب عن ذلك تصرفات بعيدة كل البعد عن الدين الصحيح، والسبب في ذلك أن الثقافة عندنا انحصرت في أقلية من العلماء الذين لم يفتتحوا على الفكر الأجنبي والثقافات الأخرى. اكتفت العامة بأداء الواجبات الدينية دون التعمق في معانيها وأبعادها.

وفي هذا المجال رأى الدكتور عروة أن على المسلمين أن يتفقهوا في الدين وأن يمارسوه على حقيقته وعليهم النظر في محتواه ومعانيه (ص 21 من نفس الكتاب). وعليهم أيضا أن يعتمدوا على النقد الموضوعي وذلك لأن العالم الإسلامي يتعرض لضغوط سياسية واقتصادية وثقافية جعلته أحيانا يعاني من الضعف في العقيدة والفكر والسلوك والأخلاق. إن تلك الضغوط تأتي من تيارات مبنية على الكثير من التناقضات. فالتيار الأول يريد الرجوع إلى حرفية النصوص وحدها والتمسك بها. أما التيار الثاني فهو محافظ يعتمد على المظاهر أكثر ما يعتمد على المعاني الفعالة². وفي المقابل يأتي تيار ثالث يعتمد على القيم الغربية فيكتفي بالديمقراطية الليبرالية يهمل الدين فيميل إلى اللائكية المستوردة. ويرى أن الإسلام لا ينسجم مع الديمقراطية. وهذا غير صحيح لأن الإسلام يأمر بالشورى.

وبعد ذلك يتعرض المؤلف إلى واجبات الدولة ويرى أن عليها أن تعترف للأفراد بحقوقهم لأنها لا تستطيع أن توطد سلطتها إلا إذا وفرت العدل والمساواة بين

1- أنظر د عروة ، الأخلاق والنظم مجلة الأصالة، ص 307.

2- نفس المرجع، ص 321.

المفكر أحمد عروة بين الأصالة والحداثة بناء على كتابه "الإسلام في مفترق الطرق" - د. سامية أبو عمران

أفراد الأمة. في هذا المعنى أشار الدكتور عروة إلى الحديث النبوي الشريف الذي جاء فيه أن الأمة يكون لها النظام الذي تستحقه على غرار ما قاله جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وشكيب أرسلان وابن باديس...

ورأى المفكر فيما يخص علاقة الدولة بالإسلام أن ليس هناك دولة إسلامية إلا إذا طبقت فعلا مبادئ الإسلام وسهرت على تطبيق قيمه كلها بتطبيق مبدأ الشورى على ضوء الآية الكريمة: "وأمرهم شورى بينهم" (الشورى، الآية 38). فهو المبدأ الذي يعيد الاستبداد بجميع أنواعه، وهناك من يرى أن الدولة الإسلامية لم تتغير مع الظروف، وهذا خطأ لأن الدولة الإسلامية تتكيف مع الظروف في تطبيق المبادئ الأخلاقية الثابتة بفضل الاجتهاد المتواصل (ص 78).

ثم ركز الدكتور عروة على واجب الجمع بين الدين والعلم مقترحا تجديد فهم تعاليم الدين طبقا لما يناسب العصر (ص 76). وبعبارة أخرى ينبغي أن نسترجع الزمن الضائع باكتساب علوم العالم الحديث وتقنياته المتطورة (ص 106) فقال: "يجب علينا أن نحقق من المعرفة ومن القدرة ما يتيح لنا أن نكتشف في أنفسنا الطريق الأمثل لبناء بلادنا، وتثبيت دعائم بنيتها الاقتصادية والاجتماعية والتأسيسية للقيام بهضبة تقنية وثقافية".

وفي نفس الوقت لا بد من الاعتماد على الغرب في المجال التكنولوجي شريطة أن نحافظ على التراث الروحي العظيم الذي نحمله في ذاتنا (ص 107).

وطلب أن نتعامل معه مع المحافظة على شخصيتنا بدون أي مركب نقص ملاحظا أن الحضارة الأوروبية بنت نخضتها على الحضارة الإسلامية في العصر الوسيط، واليوم من مصلحتنا أن نأخذ منه بدورنا طبقا لما يسمى بتفاعل الحضارات... فتبادل الآراء والمصالح مع البلاد المتقدمة شيء ضروري. وعلى أساسه

المفكر أحمد عروة بين الأصالة والحداثة بناء على كتابه "الإسلام في مفترق الطرق" - د. سامية أبو عمران

يجد مجتمعنا مكانته الطبيعية في العالم الحديث (ص 111-113). وفي ذلك كله كان الدكتور عروة متيقنا أن حضارتنا تملك قوتين أساسيتين هما القوة الفلسفية والروحية من جهة والقوة العقلية والعلمية من جهة أخرى (ص 124).

فعلينا أن نتمسك بهما، ولا نقبل التحديد من أجل التحديد بعيدا عن مبادئنا وأهدافنا، علينا أن نثق في مستقبلنا تلك هي شروط النهضة.

ثم توقف المفكر عند وضعية المرأة في مجتمعنا التي ليست متساوية بعد مع الرجل رغم أنها أصبحت تتمتع ببعض الحقوق مثل موافقتها على الزواج وحرية التصرف في أموالها، وحقها في الإرث... ولكن في الحقيقة عندما ينحط المجتمع فإن الظلم يشمل الرجل والمرأة فإذا تقدم المجتمع، فإن المرأة تستطيع الحصول على حقوق أخرى مثل ممارسة مهنة ما والمساهمة في الحياة السياسية... (ص 54).

وأضاف الدكتور عروة أن مشكلة المرأة لم يوجد لها حل لا في فرنسا ولا في سويسرا ولا في الولايات المتحدة ولا في روسيا (ص 54)، أما وضعية المرأة المسلمة فقد حددتها الآية الكريمة: " لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَ " (سورة النساء، الآية 32). فرعاية الإسلام للمرأة رعاية تامة رغم بعض التناقضات والتأويلات الخاطئة للنصوص التي تظهر هنا وهناك (ص 55)، وإذا كان المجتمع متخلفا اقتصاديا وجاهلا فانه يبتني كل أنواع الحرافات وهذه عادات بعيدة كل البعد عن الإسلام، فإن المرأة سائرة إلى التحرر مع الرجل في آن واحد... وتوسع الملف في ذلك بالإشارة إلى دورها الفعال في الأسرة.

المفكر أحمد عروة بين الأصالة والحداثة بناء على كتابه "الإسلام في مفترق الطرق" - د. سامية أبو عمران

الخلاصة:

وفي الخلاصة نلاحظ أن الدكتور عروة اختار التفاهم مع الغرب عوض محاربه مع أنه انتقده أحياناً بشدة في بعض مواقفه كما انتقد مجتمعاته، وأكد دوماً تعلقه بمدرسة النهضة وروادها مستشهداً بأرائهم السديدة وأشار إلى معظمهم بأسمائهم دون ذكر مؤلفاتهم وهذا الأمر قد يرجع إلى أن الدكتور عروة كتب لجمهور واسع وليس للمتقنين فقط.

ويتبين للقارئ من كتابه أنه تأثر كثيراً بأبرز مفكري النهضة وخاصة منهم ومحمد إقبال وكتابه "إعادة بناء الفكر الديني في الإسلام"¹ وسجل تقريباً بالحرف الواحد ما قاله هذا الفيلسوف في الجمع بين الدين والعلم (ص 28).

وقد تبني شعار النهضة المقتبس من الآية الكريمة: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَتْ حَتَّىٰ يَغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ" (سورة الرعد، الآية: 11)، (ص 40)، وزيادة على ذلك يشعر القارئ أنه استفاد من مفكرين بارزين الدين سبقوا النهضة منهم فلاسفة اليونان ورواد الفكر الحديث الغربي مثل ديكرت وماركس ولينين وتويني ورينان.... ولا بد من إشارة وجيزة إلى أسلوبه في كتابه فهو يتحلى بالوضوح وتبسيط المفاهيم حتى تصل إلى الجمهور الواسع وذلك أسلوب المحاضرات.

كما نقول أنه قد أثر بطريقة أو بأخرى سواء من خلال كتبه العديدة (ترجمت البعض منها إلى اللغة العربية) أو من خلال محاضراته، ومن المعروف أنه شارك في الكثير من الندوات الوطنية والدولية، وأضاف الدكتور عروة مواقف أخلاقية إلى آرائه الإنسانية واجتهد في التقريب بين الحضارتين الغربية والشرقية منتقداً التعصب الذي بدأ في كثير من الأحيان بينهما.

¹Reconstruire la pensée religieuse de l'islam, trad. E. Meyerovitch, éd. A. Maisonneuve, Paris, 1955, pp.19-33

المفكر أحمد عروة بين الأصالة والحداثة بناء على كتابه "الإسلام في مفترق الطرق" - د. سامية أبو عمران

ويمكن القول بأنّ الدكتور ساهم فعلا في الحوار المثمر بين الحضارات والثقافات وبقيت كعبه متداولة بين الناس ومن واجبتنا اليوم أن نعيد نشرها وتوزيعها بين الشباب.

ببليوغرافيسا: الدكتور عروة:

1. L'Islâm à la croisée des chemins, Sned, 1969.
- الإسلام في مفترق الطرق، المؤسسة الوطنية، 1969، الجزائر.
- 2- عندما تشرق الشمس، نفس الناشر، 1969.
3. Hygiène et prévention chez Ibn Sinna, Sned, 1974.
- المحافظة على الصحة ورعايتها عند ابن سينا، نفس الناشر، 1974.
- L'homme et son milieu, Sned, 1978.
- الإنسان وبيئته، نفس الناشر، 1978.
- الإسلام وأخلاق الجنس، نشر ديوان المطبوعات الجزائرية، 1985.
5. L'Islâm et la morale des sexes, OPU, Alger, 1990.
- 6- الأخلاق والتنظيم الإسلامية، مجلة الأصالة، عدد 75-78، الجزائر 1979-1980.
7. M. Iqbal, **Reconstruire la pensée religieuse de l'Islam**, édit. A. Maisonneuve, Paris, 1955.
- 8- عاشور شرفي، معلمة الجزائر، دار القصبة، الجزائر 2009.
- ألقيت هذه المحاضرة في الملتقى الثالث بيانته: 11-12 ماي 2011.

كتاب "الطب الإسلامي: سمات وآفاق"

للدكتور أحمد عروة

د. محمود عروة

هسيب مختصر في التدريس والاعمال
رئيس الجمعية الجزائرية لتاريخ الطب

" الطب الإسلامي - سمات وآفاق " (La médecine islamique - vocation et perspectives) هو عنوان كتاب للدكتور أحمد عروة لم ينشر بعد.

لنساءل لماذا لم يتم طبع هذا الكتاب مع أنه أُلّفه بداية من سنة 1980؟
لعل السبب راجع إلى أن الدكتور عروة تصور الكتاب في قسمين: القسم الأول هو عبارة عن نظرة تاريخية وتأملات حول الطب الإسلامي، وقد تم إنجازها في سنة 1980، أما القسم الثاني فهو عبارة عن ملحقات تضم عدد من المحاضرات المتصلة بالموضوع، حيث كانت تضاف البحوث الجديدة باستمرار إلى القسم الثاني، وممرت السنين إلى أن أراد القدر أن يرحل الدكتور عروة دون إنهاء مشروعه. ولهذا شرعنا في تحقيق الكتاب بنية نشره، وأعدنا له مقدمة عامة نشر فيها إلى ترجمة المؤلف ومساهمته في دراسة التراث الطبي الإسلامي.

قمنا في هذه المقدمة بعرض المواضيع المطروحة في الكتاب مع بعض الملاحظات والشروح، زيادة إلى تقدم معجم عربي-فرنسي للألفاظ الطبية الواردة في النص.

سوف تقدم الطبعة الأولى باللغة الفرنسية كما هي في الأصل ثم تليها إن شاء الله طبعة باللغة العربية.

كتاب " الطب الإسلامي - سمات وآفاق " مصنف إلى قسمين:

- القسم الأول: تحت عنوان " تأملات حول الطب الإسلامي"، وهو يحتوي على عدة أبواب.

- القسم الثاني: يشمل بعض المقالات أو المحاضرات المتصلة بالموضوع.

يحتوي القسم الأول على الأبواب التالية:

1. المقدمة.
2. الطب العربي قبل الإسلام.
3. الإسلام والمفهوم الحديث لصحة الإنسان.
4. الإسلام والعلوم الطبية.
5. تعامل الأطباء المسلمون مع الطب اليوناني.
6. إسهام الطب العربي الإسلامي في تطور العلوم.
7. الانحطاط: أسبابه وعواقبه.
8. المدرسة العربية الإسلامية، منطلق النهضة الغربية.
9. الطب الحديث: قوته (تفوقه) وضعفه.
10. الإسلام والطب المعاصر.
11. الخاتمة.

يؤكد الدكتور أحمد عروة هنا أن الالتفات إلى الطب الإسلامي القديم وما جمعه من خبرة ميدانية وحكمة لا يعني الرجوع إلى تراث فات أوانه وإنما هو الاستوحاء من أصول ثرية مفيدة، وذلك، بتتبع خطوات الفكر وتسلسل المعارف والتجارب عبر مختلف المراحل التاريخية.

ثم بالكشف من جديد على مناهج تعليمية وتطبيقية تفتقدها الحضارة المعاصرة.

حقيقة إن هذا التعريف الأولي بالتراث الطبي الإسلامي، قد يشكل منطلق بحوث هامة بالنسبة للمعرفة والممارسة التطبيقية والأخلاقية المعاصرة، حيث بإمكانه لمساهمة في إيجاد حلول مناسبة لكثير من القضايا الحديثة (كتحديد النسل وزرع لأعضاء) استلهاما من القيم الإسلامية من جهة ومن الطب والنظام الصحي الذي أنتجتها الحضارة العربية الإسلامية من جهة ثانية.

وحاول الدكتور أحمد عروة في كتابه هذا إبراز مدى ابتكار الأطباء المسلمين سواء في أعمالهم واكتشافاتهم في التشريح والفيزيولوجيا، وفي دراساتهم وتجاربهم للأدوية المفردة والمركبة، وفي معاملتهم مع المريض والتكفل به، وفي تنظيمهم لنصحة العمومية. تنطلق تأملاته من القيم الخلقية الإسلامية ومن التراث الطبي الإسلامي بهدف ضبط مفهوم أكثر شمولية وفاعلية بالنسبة لصحة الإنسان بمكوناتها الجسمية والعقلية والبيئية والروحية.

ونحن نعلم أن الأطباء المسلمين أدركوا مفهوم الصحة بمضمونها الإنساني الشامل للبعدين الروحي والمادي معا، فهم يراعون صحة الجسد والروح، وسلامة العقل والعقيدة في آن واحد، دون فصل بعضها عن بعض.

وأما القسم الثاني من الكتاب، فهو عبارة عن مواضيع هامة دقيقة تتم وتعلل القسم الأول، نذكر:

- الوقاية وحفظ الصحة عند ابن سينا.
- الصحة والحضارة عند ابن خلدون.
- فسيولوجيا التنفس عند ابن سينا.

- المناهج العلمية لمعرفة خصائص الأدوية عند ابن سينا.
- الأدوية النباتية في الطب العربي الإسلامي.
- معالجة السعال في أفريدين الفلنسي.
- الألم وعلاجه عند ابن سينا.
- فن التحميل في عصر ابن سينا.
- التقاط وزرع الأعضاء - الاحتمالات الخلقية والدينية.
- زرع الكلى - المسائل الخلقية.
- ضمير المسلم أمام الإجهاض.

ذلك هو الكتاب الهام الذي من غير شك سوف يستفيد منه الأطباء في مواجعتهم اليومية للتحديات العلمية الحديثة، كما سيفيد المواطن في تساؤلاته وانشغالاته الصحية والخلقية.

يعتبر هذا الكتاب جزء معتبر مما أنتجه الدكتور عروة من بحوث ودراسات في التراث الطبي الإسلامي.

دلائل آخـر محاضرات الدكتور أحمد عروـة -رحمة الله-

الفكر السياسي في العالم الإسلامي المعاصر

-مناهاات وعلامات-

د. وسيلة شريك

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

توطئة وعرض:

ينطلق الدكتور أحمد عروـة -رحمة الله عليه- من مسلمات يعيد التأكيد عليها في ظل أوضاع العالم الإسلامي المتغير وغير الثابت، حيث يعتبر السياسة هي تسيير شؤون الأمة الداخلية والخارجية والحضارية، كما أنها تخضع أيضا لمبادئ عقائدية تحدد لها أهدافها، ومجالاتها ومقاييسها، مما يجعل الفكر السياسي يعكس الأصول العقائدية وذلك الواقع الحضاري.

ولعل تركيزه الكبير شمل الأفكار السياسية التي راجت في العالم الإسلامي في ظل حقبة الاحتلال التي بدورها عكست جانب التطورات والتناقضات على العالم الإسلامي إن على مستوى الأصول العقيدية أو الواقع الحضاري حيث يرجع التأثيرات إلى جانبين من التحديات التاريخية وهي:

- أحدها ذاتي تمثل في ظاهرة الانحطاط الفكري والحضاري الذي أضعف الأمة وحل أوصالها وعطل رسالتها.

- الآخر خارجي تمثل في المد الاستعماري الذي طال معظم العالم الإسلامي.

الذي سبق التنويه إليه أدخل الأمة الإسلامية في مناهات ومآزق ومزالق عقائدية وحضارية زادت من مشاكلها وأكدت فرقتها وتمزقها، ثم يعرج -رحمة الله عليه- إلى تحديد الهدف المبتغى من هذه المحاضرة بصياغته لإشكال أساسي طرحه

كاستفهام وهو في الوقت نفسه تلمس للمخرج وتصحيح للمفاهيم وتوجيه للفكر السياسي نحو الأصول الدينية ومصلحة الأمة واقعا وتطلعا.

هذا وقد قسم المحاضرة إلى فصول ثلاثة هي¹:

الفصل الأول: العوامل العامة التي تؤثر في الفكر السياسي: من حيث نشوء هذا الفكر وتنوعه وتطوره من خلال الأصول العقائدية والسماوات الحضارية خاصة الإشارة إلى التطور الزمني ابتداء بالحضارات الفطرية البدائية، فالحضارات العلمانية، ثم الحضارات الدينية (اليهودية، المسيحية، الإسلامية).

الفصل الثاني: الفكر السياسي وتصادم الحضارات: حيث أبرز الحضارة الغربية ومظاهر التقدم والاستكبار فيها، ثم تكلم عن الحضارة الإسلامية ومظاهر التخلف والاستضعاف فيها، بعدها تابع إبراز آثار الغزو الاستعماري، وكذا التصادم الحضاري على الفكر السياسي الإسلامي.

الفصل الثالث: آفاق منهجية لتصحيح الفكر السياسي فعنونه بعلامات في الطريق حيث من خلاله أبرز الحلول الداخلية الذاتية من أجل إصلاح العوامل الذاتية على مستويات ثلاثة هي الأصول العقيدية، فالمكونات الحضارية، ثم الفكر السياسي فالتصدي للعوامل والتحديات الخارجية أيضا على المستويات المذكورة.

¹ - اختيرت هذه المحاضرة من مجموع محاضرات وقد جاءت في حدود 25 صفحة أي من ص 383

إلى 410.

الفصل الأول: تحليل العوامل العامة التي تؤثر

على الفكر السياسي:

أبان الدكتور أحمد عروة-رحمه الله-أن الفكر السياسي هو الأداة النظرية التي تركز عليها النظم الدولية أو الحركات السياسية الخاصة بتسيير وإدارة الشؤون العامة للمجتمع، حيث تساءل بدوره: كيف نشأ هذا الفكر وتطور وتنوع؟ لا شك أن المستويات الفكرية هي: الفطرة والعقل والدين، وهذه كلها ضمن المكونات الحضارية أي العقائد الأساسية، الأخلاق والنظم الاجتماعية، الاقتصاد، الثقافة، العلوم...

حيث نشأ الفكر السياسي رأسا من المكونات الحضارية المذكورة آنفا ثم انعكس عليها في الفكرة المصورة والمدبرة والمسيرة لتلك المكونات، ما يجعل الفكر السياسي متنوعا بحسب الأصول العقائدية أي المستوى الفطري وهو الأدنى لكون علاقاته بدائية ترتبط بالظواهر الطبيعية، ثم المستوى العقلائي ضمن ملكات العقل الإدراكية والتحليلية، فالمستوى الديني الذي أهدافه خارجة عن الإرادة الإنسانية وهي تضبط كلا من الدوافع الفطرية والمقاييس العقلانية.

أما السمات الحضارية فتختلف باختلاف الأصول العقائدية فمن الأولى تتكون حضارة بدائية ومن الثانية حضارة علمانية ومن الثالثة حضارة دينية وبالإسقاط على الفكر السياسي وباختلاف أصوله العقائدية وسماته الحضارية يتنوع بين فكر بدائي أي فطري وفكر مدني أي علماني وفكر ديني.

ثم أشار إلى تطورات الفكر السياسي في الحضارات الإنسانية ضمن سياق التقسيم ذاته الذي أثبتته أي ضمن الحضارة الفطرية الدينية والحضارة العلمانية وكذا الحضارة الدينية، هذه الأخيرة التي أبرزها فقط ضمن الديانات الإبراهيمية نظرا للترابط العقائدي والتاريخي الشديد، أي:

اليهودية في مختلف المراحل التي خصتها وهي: المرحلة الموساوية، المرحلة المدنية، ومرحلة التشرد، ثم المرحلة الصهيونية هذه الأخيرة التي تميزت بالاستيلاء على أرض فلسطين وتأسيس دولة دينية علمانية عنصرية تفرض وجودها بالتفوق العسكري وباندحاء السياسي، وكذا إخضاع الفكر السياسي الغربي والنظم السياسية التابعة له لاستراتيجية الصهيونية ومطامعها التوسعية بعملتين متناقضتين في الظاهر متحدثتين في الأهداف غير المعلنة أي:

* إثارة التيار المادي الإخادي لإبطال التعصب المسيحي.

* إحياء الجذور الدينية المشتركة بين اليهودية والمسيحية.

وباتجاه الإسلام اعتمدت على: الحرب المعلنة، تفكيك الفكر السياسي الإسلامي وجره إلى العلمانية، إحياء العصبية القومية، إثارة الفتن الداخلية، زيادة على الأحقاد الصليبية.

المسيحية: حيث يتميز الفكر السياسي في أصوله العقائدية وتطوراته التاريخية بالازدواجية التي تفصل بين الأصول الدينية والمكونات الحضارية، فبرزت مرحلة الدعوة التبشيرية ثم مرحلة الانفصال، فالعلمانية التي ميزت الحضارة الغربية المعاصرة بالسلمات سابق الإشارة إليها.

الإسلام: حيث أبرز أن أصوله الدينية في الكتاب والسنة التي تحيمن أخلاقيا وتشريعيا على كل المكونات الحضارية، وتتميز بالتوازن بين الفطرة والعقل والدين، مع نظرتها الشاملة للإنسان في تدبير الدولة وتسيير شؤون الأمة، عليه فقد مرت بمرحلة الدعوة والتكوين، ثم بمرحلة الحضارة المدنية بما فيها الاقتباس فمرحلة الانتكاس خاصة في ظل الاحتلال الغربي للعالم الإسلامي ضمن عاملين سلبيين:

أحدهما: ذاتي تمثل في الحمول الفكري والضعف العلمي والتشتت السياسي والركود الاقتصادي.

الأخر: خارجي تمثل في المد الاستعماري على أغلب البلاد الإسلامية، وما حمله ذلك من طمع واستكبار وكراهية للإسلام.

وفي ظل كل هذا كان الفكر السياسي مشتتا ومتناقضا ومتنازعا، إما خاضعا أو تائرا.

الفصل الثاني: الفكر السياسي وتصادم الحضارات بين

الغزو الذاتي والإغراء الخارجي

أبرز أحمد عروة -رحمه الله- أن فكرة التصادم بين الحضارتين الإسلامية والغربية ليس بالجديد¹، لكن موازين القوة رجحت لصالح الغرب، وعلى هذا أبرز أولا الفوارق بين الحضارتين خاصة من ناحية الأوضاع الحديثة.

فبالنسبة للحضارة الغربية تجمعت لديها المكونات العقائدية والثقافية والأخلاقية، والاقتصادية، وظهرت تيارات أخلاقية سياسية هي التيار العلساني الليبرالي، والتيار الاشتراكي، والتيار الكنسي.

أما بخصوص الحضارة الإسلامية وواقع الأمة الإسلامية معها فقد أثار أولا كيف صار المكون العقائدي لديها والذي تميز وميز بالتحجر والابتعاد عن الواقع الاجتماعي والسياسي والحضاري، رغم حركات التحديد، أما المكون الثقافي فاقصر على العلوم الفقهية تحديدا، وبخصوص المكون الأخلاقي فتغلب فيه الشكل على

¹ - انظر أيضا: تصادم الحضارات وفقدان التوازن في صالح الحضارة الغربية: الدكتور أحمد عروة، العلم والدين -مناهج ومفاهيم-، الطبعة 1، دمشق، دار الفكر، 1408هـ / 1987: ص 133-134.

البحر وفقدت الأخلاق روحها النظامية والرسالية، ما جعل المسلمين مستضعفين في أوطانهم قبل أن يستضعفهم الغرب.

ثم يأتي المكون الاقتصادي حيث بقي على حائه كما هو في القرون الوسطى.

ومن آثار المد الاستعماري على الفكر السياسي في العالم الإسلامي حيث ركز على عوامل توغل الحضارة الغربية داخل العالم الإسلامي وهي:

- عامل طبيعي أي حتمية للمبادلات الحضارية بين الشعوب، ولما كان العالم الإسلامي أدنى وضعاً من أوروبا فكان تأثره أوسع وأعمق.

- عامل تاريخي أي المد الاستعماري التوسعي الذي كانت الغاية الأساسية منه طمس السمات الحضارية الإسلامية واستبدالها بالمقاييس الغربية.

- عامل ذاتي وهو التخلف الذي ميز العالم الإسلامي لافتقاره إلى العوم والتكنولوجيا والمنتجات الفلاحية والصناعية والثقافية الغربية.

ثم بعد ذلك فصل التأثيرات على المستويات التي أشار إليها حيث عسى مستوى الأصول العقائدية ظهرت محاولة الفصل بين الدين والسياسة، أما عسى مستوى المكونات الحضارية فأخضعت الفكر السياسي للمقاييس الغربية في شتى الميادين الحضارية العامة، بينما كان التأثير على مستوى الأفكار السياسية فحمل القادة والنخبة مفاهيمها ومناهجها على النموذج الغربي، فبرزت على ذلك مواقف فكرية متنوعة من:

* فكر ديني سلفي محدود الآفاق،

* فكر انتهازي رجعي قصير النظر،

* فكر انعزالي عميل،

* فكر تجديدي منفتح النظرة.

* فكر إسلامي ثوري،

* فكر سياسي قومي منفتح للتأثيرات الغربية،

* فكر سياسي يصرح باتتمائه للغرب،

* فكر سياسي متشيع للماركسية والحركات الشيوعية.

هكذا تفرقت بالأمة الإسلامية السبل في كيانها وضميرها ونظمها ففقدت

السبيل وتاهت بين أطلال الحضارة الإسلامية وسراب الحضارة الغربية.

الفصل الثالث: علامات في الطريق:

من خلال العرض السابق تبين أن الفكر السياسي الإسلامي قد تعرض لنوعين من التحديات واحدة ذاتية تتجلى في مظاهر الانحطاط الفكري والأخلاقي والحضاري، وأخرى خارجية هي المحاولات المستمرة لطمس معالم الحضارة الإسلامية في سماتها ورسالتها¹.

عليه وانطلاقاً من القواعد الأساسية والتحليل الموضوعي للعوامل والمعاكسات يمكن تنميس الآفاق المنهجية لتصحيح الفكر السياسي وإعادةه إلى أصوله الإسلامية، وذلك على مستويين:

1- إصلاح الفكر السياسي على مستوى العوامل والتحديات الذاتية:

فعلى مستوى الأصول العقائدية فالحل هو إصلاح العامل العقائدي بالرجوع إلى الكتاب والسنة وتفتح الفكر الديني، وبالتالي الجمع بين العلوم الدينية والعلوم الطبيعية.

¹ - الدكتور أحمد عروة، العلم والدين، المرجع السابق، ص 134.

على مستوى المكونات الحضارية لا بد من الرجوع إلى المكون العقدي الذي بدوره يهيم على باقي المكونات الحضارية والعلمية والتكنولوجية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها.

الإسقاط على مستوى الفكر السياسي:

إن إصلاح الفكر السياسي في حد ذاته يخضع لمبادئ ومقاييس هي:

- السلطة التشريعية مستمدة ومستنهمة من الكتاب والسنة أساسا.

- السياسة تخدم الدين أي لا تعارض البتة.

- السياسة تهدف إلى تحقيق المجتمع الإسلامي في كل أبعاده.

- السياسة تسعى إلى حماية الدين وتبليغ رسالته العلمية.

- يتركز نظام الحكم على ثلاث سلطات: تشريعية، تنفيذية، واستشارية.

- إصلاح الفكر السياسي لا يكون منفصلا ولا مجزئا في مكوناته

وخصائصه الحضارية.

- إصلاح الفكر السياسي متفتح المنهجية باعتبار التطورات التاريخية

والحضارية والبشرية والبيئية خاصة جانب الوسائل.

- إصلاح الفكر السياسي لا ينحصر على نموذج ثنائي، وإنما هو متفتح

يستوعب كافة الشعوب الإسلامية من أجل التنسيق والتوحيد بينها.

2- إصلاح الفكر السياسي على مستوى العوامل والتحديات الخارجية:

ويظهر ذلك من خلال المستويات الآتية:

- على مستوى الأصول العقائدية من الحكمة التمييز بين ما تحمله

مكتسبات البحوث العلمية والنظرية من حقائق يقينية وما يشوبها من مغالطات لا

تغني من الحق شيئا.

- على مستوى المكونات الحضارية حيث إن التصدي للغزو الحضاري يعني ترقية المكونات الحضارية في سماتها ومقاييسها، وفي الوقت ذاته محاربة ومجاهمة صارمة للمفاهيم الإلحادية والإباحية والوثنية التي تتعارض مع الحقائق الدينية والقيم الأخلاقية الصحيحة.

- على مستوى الفكر السياسي والذي لا يخلو من التأثيرات الخارجية في جوانبها الإيجابية والسلبية.

وعليه تسربت المفاهيم المغرية من طرق عديدة منها¹:

- طرق التعليم المدرسي والاقتباس الثقافي.
- طرق التبادل البشري وملازمة الواقع الحضاري الغربي المزدهر.
- طرق الاكتشافات العلمية الخارجية.
- طرق الانخراط التضالي المباشر في المنظمات.

¹ - يقول الدكتور أحمد عروة -رحمه الله- في هذا الشأن: (كانت نتيجة التفاعل الثقافي في ميدان الفكر عامة وفي العلوم الإنسانية خاصة هي ما وصل إليها العالم الإسلامي من استضعاف سياسي واستخفاف ثقافي واستيلاء عقائدي. بحيث أن العلوم الإنسانية التي تطورت في العالم الغربي بما تحمله من انتماءات فكرية وغايات ومناهج، كانت مثل العلوم الرياضية والطبيعية تدرس وتنتشر في العالم الإسلامي عن طريق التعليم المدرسي والجامعي، والكتب والمجلات، وكل أنواع الإعلام، كما تشهد على ذلك برامج التعليم وتكوين المدرسين والأساتذة وترجمة الكتب أو طبع المؤلفات التي غلب عليها طابع الاستغراب العقائدي والفكري).

ولم يكن من حظ المسلمين أن يميزوا في كل ما تزخر به العلوم الحديثة، بين ما تحمله من حقائق موضوعية وما تجرّفه من نظريات وهمية ومغالطات عقائدية ومنهجية خطيرة). العلم والدين، المرجع السابق، ص 134-135.

ومنه لا يخلو الفكر السياسي من التأثيرات الخارجية بجوانبها الإيجابية والعملية نتيجة تفاعل التبادلات الحتمية بين الحضارات، ومقدار الضغط الكمي والكيفي، ما يجعل التحكم في هذه المعادلة غير المتكافئة لا يتأتى إلا بأمرين هما: * عملية ذاتية اجتهادية إصلاحية تسعى لترقية الفكر السياسي الإسلامي في أصوله العقائدية وآفاقه الحضارية خاصة المتابعة التطبيقية.

* عملية تعاملية استحسانية تميز بين الغث والسمين في الحضارة الغربية؛ فيؤخذ منها بموجب الحكمة ولواقعيته بما لا ينكره الإسلام، ويضرح منها ما كان من مغالطات علمانية وتحريفات أخلاقية تحدد الإنسانية بأفلاك والدمار.

الخلاصة:


يؤكد الدكتور أحمد عروة-رحمه الله- أن غرضه الأساس من هذا البحث هو تحليل العوامل التاريخية والحضارية الذاتية والخارجية التي حملت الفكر السياسي على السير في طريق التقليد بمغريات الاستغراب، وليس وضع مناهج جديدة للفكر السياسي الإسلامي.

وإذا كان الفكر السياسي تعرض لتحديات ذاتية خارجية أبرزت انعكاساتها على الأمة في كيانها ورسالتها وبالتالي واقعها؛ فإن الابتلاء قد بلغ أشده في ظل الفترة الاستعمارية التي جثمت على العالم الإسلامي ضمن محاولات عدوانية وإغراءات فكرية، الغاية الأكيدة منها طمس معالم الحضارة الإسلامية وإطفاء نور الله الذي سيتم نوره ولوكره الكائدون.

كما يؤكد مرة أخرى على أن علاج هذه المحنة والخروج منها لن يتحقق إلا في إطار المقاييس التي سنها الله تعالى لعباده وهي الإيمان به والاعتصام بكتابه وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم -.

ويخلص في الأخير إلى حكمة مفادها أن الفكر السياسي في أصوله العقيدية وتطوراته الحضارية هو الكلمة الطيبة الحكيمة التي تسير الأمة في طريقها المستقيم.

قال الله تعالى: "يُثِبْتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ" سورة إبراهيم/ الآية 37.

A decorative border with intricate floral and geometric patterns, featuring repeating motifs of leaves and diamonds, framing the central text.

الدكتور أحمد عروة
وجامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية

التغطية الإعلامية لجامعة الأمير عبد القادر

لذكرى وفاة أحمد عروة

- دراسة تحليلية -

د. زكية منزل غرابية

جامعة الأمير عبد القادر

مقدمة:

يعد الدكتور أحمد عروة من الأعلام الذين يشهد لهم بالخيرية، وهو أحد الأعلام الذين أفنوا حياتهم في نضجة الأمة الجزائرية وخدمة العلم والدين الإسلامي، يشهد له كل من تتبع حياته وآثاره العلمية، وليس غريبا فقد جمع الرجل بين العلم الدنيوي (الطب) والعلم الديني الإسلامي، وأكد حضوره في المجالين ما يجعل المستقرئ لحياته أنه أمام شخصية فذة تستحق الوقوف عندها والتأمل في معطياتها.

وتأتي جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية في طليعة الجامعات الجزائرية التي تقدر فضل علماء الجزائر ومفكرها على هذا الوطن وعلى هذا الجيل بما تركوه من بصمات مضيئة في المجالات المختلفة، وهو ما تؤكد الإصدارات العلمية السنوية التي تحمل أحد أسماء أعلام الجزائر للدفعات المتخرجة من طلبة الجامعة أو التغطيات الإعلامية التي تعرف الأجيال بتاريخ هؤلاء العظماء من أمثال عبد الحميد بن باديس، البشير الابراهيمي، مولود قاسم، الشيخ أحمد حماني وغيرهم كثير، ويأتي في ركب هؤلاء الدكتور أحمد عروة الذي حظي بتغطيات إعلامية خاصة قامت بها الجامعة اعترافا بفضل الرجل في خدمة العلم والدين، وليس هذا فحسب بل لكونه

التغطية الإعلامية لجامعة الأمير عبد القادر للذكرى وفاة أحمد عروة- دراسة تحليلية - د. زكية منزل غرابة

أحد الأقطاب الذين تفتنوا في خدمة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية علميا وإداريا، وهو ما سنتناوله هذه الدراسة.

مشكلة الدراسة:

التغطيات الإعلامية للتظاهرات العلمية وغيرها هي واحدة من أهم الأنشطة التي تقوم بها مديرية النشاط الثقافي لجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، وبأبي الدكتور أحمد عروة ضمن أهم الشخصيات التي حظيت بتغطيات خاصة لطيلة سنوات إحياء للذكرى وفاته، وتكريما له لما قدمه في خدمة الجامعة وعرفانا لإسهاماته العلمية.

إن المتتبع للتغطيات الإعلامية التي قامت بها جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية في حق الرجل الراحل يلاحظ أنها تزخر بكم كبير من المعطيات، واستشعارا منا بالقيمة المعرفية التي تقدمها التغطيات الإعلامية فيما يتعلق بالأحداث والشخصيات العلمية جاءت هذه الدراسة لتكشف عن معطيات هذه التغطية وقيمتها العلمية عبر هذا التساؤل المحوري: ما هو مضمون وشكل التغطية الإعلامية لجامعة الأمير عبد القادر للذكرى وفاة أحمد عروة؟.

وتتفرع عن هذا التساؤل المحوري أسئلة فرعية هي:

- ماهي مراكز الاهتمام في التغطية الإعلامية لجامعة الأمير عبد القادر في إحيائها للذكرى وفاة أحمد عروة
- من هي الفئات الفاعلة في التغطية الإعلامية لجامعة الأمير عبد القادر في إحيائها للذكرى وفاة أحمد عروة؟
- ماهي الأهداف المقصودة من التغطية الإعلامية لجامعة الأمير عبد القادر في إحيائها للذكرى وفاة أحمد عروة؟

التغطية الإعلامية لجامعة الأمير عبد القادر للذكرى وفاة أحمد عرووة - دراسة تحليلية - د. زكية منزل غرابة

- ماهي القوالب الإعلامية المستخدمة في التغطية الإعلامية لجامعة الأمير عبد القادر في إحيائها للذكرى أحمد عرووة؟

تحديد المفاهيم: يشير أحد المهتمين في إطار الحديث عن أهمية تحديد المفاهيم بالقول: "إن تحديد المصطلحات التي يستخدمها الباحث أمر في غاية الأهمية؛ إذ بدون سندور مع المؤلفين والمخالفين في حلقة مفرغة ولا نستطيع أن نتطلق من مفاهيم واضحة متفق عليها للوصول إلى حل أي مشكل"¹، ومن ثم نجد أنفسنا ملزمين بأن نحدد المقصود من المفاهيم التي استخدمها ضمن هذه الدراسة، ومن ثم نجد أنفسنا ملزمين بأن نحدد المقصود من المفاهيم التي تم استخدامها ضمن هذه الدراسة ومنها:

التغطية الإعلامية: يقصد بالتغطية الإعلامية في هذه الدراسة التي بين أيدينا أنها: "عملية الحصول على بيانات وتفاصيل عن حدث معين، والمعلومات المتعلقة به، والإحاطة بأسبابه، ومكان وقوعه وأسماء المشتركين فيه، وكيف وقع ومتى وقع، وغير ذلك من المعلومات التي تجعل الحدث مالكا للمقومات والعناصر التي تجعله صالحا للنشر"²، وهي هنا تبرز في الجهد الذي قامت به جامعة الأمير عبد القادر ممثلة في مديرية النشاط الثقافي والرياض في تغطيتها للذكرى وفاة أحمد عرووة.

منهج الدراسة: بما أن الدراسة التي بين أيدينا تتدرج ضمن البحوث الوصفية فإن المنهج الملائم لمثل هذه الدراسات هو منهج المسح الوصفي الذي يعرف بأنه "الطريقة العلمية، التي تمكن الباحث من التعرف على الظاهرة المدروسة من

¹ - أحمد إسماعيل المعاني وآخرون، أساليب البحث العلمي والإحصاء، دار إقراء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن. ط1، 2012م، ص86.

² - عمار موسى، "التغطية الإعلامية للعدوان الإسرائيلي على قطاع غزة"، عن موقع:

<http://omferas.com/vb/t54760/>، تاريخ الدخول: 2015/4/23م.

التغطية الإعلامية لجامعة الأمير عبد القادر لذكري وفاة أحمد عروة- دراسة تحليلية - د. زكية منزل غرابية

حيث العوامل المكونة لها والعلاقات السائدة داخلها، كما هي في الحيز الواقعي، ضمن ظروفها الطبيعية غير المصطنعة، من خلال جمع المعلومات والبيانات المحققة لها¹، وستحاول هذه الدراسة بناء على هذا المنهج توصيف التغطية الإعلامية لإحياء ذكرى وفاة أحمد عروة كما هي في الواقع.

مجتمع البحث وعينته : يطلق مجتمع البحث ليراد به "مجموعة من الناس أو الأشياء التي يقوم الباحث بدراستها"²، وهو هنا جميع التغطيات التي قامت بها جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ممثلة في مديرية النشاط الثقافي في إحياء ذكرى أحمد عروة، ونظرا للمدة المحددة لتسليم البحث للجهات المنظمة لهذا الحدث، فقد تم الاعتماد على العينة العشوائية في إجراء الدراسة والتي يقصد بها "المجموعة الجزئية التي يقوم الباحث بتطبيق دراسته عليها"³ وقد وقع الاختيار اعتمادا على هذا النوع من العينات على الذكرى الخامسة والسادسة لوفاة أحمد عروة من سنتي 1997 و1998م.

الدراسات السابقة: من أهم الدراسات التي أنجزت في حق أحمد عروة نذكر:

دراسة بعنوان: ترجمة الطبيب والأديب والمفكر الجزائري الدكتور أحمد عروة⁴:

¹ - أحمد بن مرسل، مناهج البحث العلمي في الإعلام والاتصال، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006م، ص 286-287.

² - محسن عبد الحميد، المنهجية الإسلامية والتغير الحضاري، مطابع الدوحة الحديبية، قطر، 1984م، ص 17.

³ - حسن مسني، مناهج البحث التربوي، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، دت، ص 93.

⁴ - مسعود فلوسي، ترجمة الطبيب والأديب والمفكر الجزائري الدكتور أحمد عروة، عن موقع:

<http://www.shamela-dz.com>، تاريخ الدخول : 12 / 4 / 2015م.

وهي عبارة عن مقال علمي حاول من خلاله الباحث التعريف بالدكتور أحمد عروة في جوانب حياته المختلفة.

وقد اعتمد الباحث على المنهج الوصفي، وبعد قراءة مستفيضة حول حياة الرجل توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج أبرزت معالم ثلاثة ميزت شخصية أحمد عروة تجسدت في الجوانب الآتية:

- 1- شخصية الطبيب.
- 2- وشخصية الأديب.
- 3- وشخصية المفكر الإسلامي.

أداة التحليل: تم اعتماد أسلوب تحليل المحتوى لمعالجة موضوع الدراسة التي بين أيدينا، حيث يعتبر هذا الأسلوب أداة مهمة في جمع البيانات المطلوبة وهو أيضا أداة " تستعمل لوصف المحتوى الظاهر والمضمون الصريح للمادة الإعلامية المراد تحليلها من حيث الشكل والمضمون لتلبية الاحتياجات البحثية المصاغة في تساؤلات البحث أو فروضه الموضوعية التي يحددها الباحث"¹.

تحديد فئات التحليل: وهي هنا على نوعين: فئات المضمون وفئات الشكل.

-تحديد فئات المضمون ماذا قيل ؟: وتتضمن الفئات الرئيسية الآتية:

* فئة مراكز الاهتمام في التغطية الإعلامية لإحياء ذكرى وفاة أحمد عروة : وهي واحدة من أهم الفئات، والغرض منها الإجابة على السؤال على ما يدور موضوع المحتوى،" وتفيد في الكشف عن مراكز اهتمام الجمهور بموضوعات

¹ - محمد عبد الحميد: تحليل المحتوى في بحوث الإعلام، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت، د ط، 2000 م، ص 21.

التغطية الإعلامية لجامعة الأمير عبد القادر للذكرى وفاة أحمد عروءة - دراسة تحليلية - د. زكية منزل غرابة

معينة¹، وتضمنت الفئات الآتية : آثاره الفكرية، نضاله السياسي والوطني، خصاله، علاقته بالجامعة، نشاطه العلمي، علاقته بالجمعية الدينية لمسجد الأمير عبد القادر.

* فئة الفاعلين في التغطية الإعلامية لإحياء ذكرى وفاة أحمد عروءة :
والمقصود منها الأشخاص والجهات التي كان لها دورا فاعلا في الإحاطة بحياة أحمد عروءة، وتضمنت الفئات الآتية : مديرية النشاط الثقافي لجامعة الامير عبد القادر، الأساتذة، التليفزيون الجزائري، الوالي، نائب رئيس الجمعية الدينية لمسجد الامير عبد القادر، مدرء الجامعة، عائلته، طلبة، العمال .

* فئة الأهداف المقصودة من التغطية الإعلامية لإحياء ذكرى أحمد عروءة : ويقصد بها مجموع الغايات التي تسعى التغطية الإعلامية تحقيقها وتمثل في الفئات الآتية : تعريف الأجيال به، حث الباحثين لدراسة آثاره، تشجيع روح الإبداع، الاقتداء به في تعامله وخصاله.

-تحديد فئات الشكل كيف قيل؟: وتتضمن الفئة الآتية:

* فئة القوالب الإعلامية :ويقصد بها الأنماط الإعلامية التي استخدمتها التغطية في إحياء وإبراز مآثر أحمد عروءة، وتمثلت في الفئات الآتية : الشريط الوثائقي، الخبر، الاستطلاع، المقابلة، التقرير، الندوة.

تحديد وحدات التحليل: يطلق هذا المصطلح ليقصد به "وحدات المحتوى التي يمكن إخضاعها للعد والقياس بسهولة ويعطي وجودها أو غيابها أو تكرارها دلالات تفيد الباحث في تفسير النتائج الكمية"².

وقد تم الاعتماد في هذه الدراسة على الوحدات الآتية:

¹ - المرجع نفسه، ص 171.

² - محمد عبد الحميد، مرجع سابق، ص 136.

وحدة الموضوع: وهي تعتبر من أكثر الوحدات شيوعاً في تحليل المحتوى، لأنها تمكن من التعرف عما يقوله المحتوى، وقد تم الاعتماد على هذه الوحدة من أجل التعرف على مراكز الاهتمام في التغطية الإعلامية لإحياء ذكرى أحمد عروة. وحدة الفكرة: تعد وحدة الفكرة من أهم الوحدات في تحليل المحتوى، واستخدمت في هذه الدراسة لمعرفة الأهداف المقصودة من التغطية الإعلامية لإحياء ذكرى أحمد عروة.

وحدة الفاعل: وقد تم الاعتماد عليها للتعرف على أهم الشخصيات والجهات المشاركة في التعريف بأحمد عروة في ذكرى وفاته.

نتائج التحليل¹:

1- فئة مراكز الاهتمام في التغطية الإعلامية لإحياء ذكرى وفاة أحمد عروة:

جدول رقم (1) يوضح مراكز الاهتمام في التغطية الإعلامية لإحياء ذكرى وفاة أحمد عروة

النسبة	التكرار	مراكز الاهتمام
41,6%	52	آثاره الفكرية
4,8%	6	نضاله السياسي والوطني
15,2%	19	حصوله
24,8%	31	علاقته بالجامعة
7,2%	9	نشاطه العلمي
6,4%	8	علاقته بالجمعية الدينية لمسجد الأمير عبد القادر
100%	125	المجموع

¹- في هذا الإطار تم تصميم استمارة التحليل والتي ضمت فئات التحليل وفئات الشكل ووحدات التحليل، وقد أخضعت الاستمارة للتحكيم العلمي.

أبرزت النتائج المحصل عليها من الجدول رقم (1) ما يلي: تصدر الحديث عن آثاره الفكرية الترتيب الأول بنسبة 41,6 %، وفي الترتيب الثاني علاقة أحمد عروة بالجامعة بنسبة 24,8 %، في حين جاء الحديث عن خصاله في الترتيب الثالث بنسبة 15,2 %، أما حياته ونشاطه العلمي وعلاقته بالجمعية الدينية لمسجد الأمير عبد القادر فكانت في مراتب متقاربة وفق النسب الآتية 7,2 %، 6,4 %.

ويمكن القول إن هذه النتائج منطقية بالنظر إلى شخصية موسوعية مثل أحمد عروة، فالحديث عن آثار الرجل هي الرسالة التي يجب أن تضطلع بها الجامعة، وعلى هذا الأساس كان تركيز التغطيات الإعلامية في إحياء ذكرى وفاة أحمد عروة حول ما تركه من مؤلفات سواء بالعربية مثل كتاب "الإسلام في مفترق الطرق" و"العلم والدين مناهج ومفاهيم" أو ما تركه بالفرنسية مثل: "L'Islam et la Démocratie" والإشادة بالمضمون العلمي لهذه المؤلفات¹.

وأما علاقة أحمد عروة بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية فكان الاهتمام بها ضروريا بحكم أنه كان على رأس إدارتها آنذاك، وقد جاءت التغطية مؤكدة على أن الرجل كان مهتما بشكل كبير بالجامعة في الجانب العلمي وقد تجلّى ذلك في الجوانب الآتية:

- اهتمامه بإثراء البرامج المدرسة في الجامعة الإسلامية عن طريق تواصله مع جامعة الأزهر والاستفادة من خبراتها في هذا المجال.
- اهتمامه بأساتذة الجامعة وموظفيها وعمالها ودفاعه عن حقوقهم.
- فتح أبواب الجامعة الإسلامية للمطلبة الأجانب من مختلف قارات العالم والسهر على توفير كل الظروف التي تحقق لهم سبل طلب العلم.

¹ -مديرية النشاط الثقافي والرياضي، الذكرى الخامسة لوفاة أحمد عروة، 27 فيفري 1997م.

- سعيه لأن تكون جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية مركز إشعاع لتعلم والمعرفة، فأبرم اتفاقية مع المعهد العالمي للفكر الإسلامي، واستقدم كبار المفكرين الإسلاميين أمثال الشيخين القرضاوي والبوطي¹.

وفي جانب خصاله أكدت التغطية الإعلامية على صفة التواضع² وهي من الصفات التي قلما يجتمع في مفكر وقائم على إدارة مؤسسة من المؤسسات الحكومي، وقد ركزت عليها التغطية لتستدعيها في نفوس كل من يعتلي منصباً إدارياً في أي مؤسسة من المؤسسات.

وأما علاقة أحمد عروة بالجمعية الدينية لمسجد الأمير عبد القادر فكان أمراً مضموناً بحكم أن الرجل الراحل كان يسهر بالتعاون مع هذه الجمعية في تقديم منح مالية للطلبة الأجانب في مجال التعليم، وتوفير أضحية العيد لهم³.

¹ - سيرة النشاط الثقافي والرياضي، الذكري الخامسة لوفاة أحمد عروة، مصدر سابق، والذكري السادسة لأحمد عروة، 27 فيفري، 1997م.

² - سيرة النشاط الثقافي والرياضي، الذكري الخامسة لوفاة أحمد عروة، 27 فيفري 1997م.

³ - أنظر: الذكري السادسة لوفاة أحمد عروة، المصدر السابق.

2- فئة الفاعلون في التغطية الإعلامية للذكرى وفاة أحمد عروة:

جدول رقم (2) يوضح الفاعلون في التغطية الإعلامية للذكرى وفاة أحمد عروة

النسبة	التكرار	الفاعلون في التغطية الإعلامية للذكرى وفاة أحمد عروة
7,69%	3	مديرية النشاط الثقافي لجامعة الأمير عبد القادر
29,51%	8	الأستاذة
5,12%	2	التليفزيون الجزائري
2,56%	1	الوالي
7,69%	3	نائب رئيس الجمعية الدينية لمسجد الأمير عبد القادر
5,12%	2	مدراء الجامعة
5,12%	2	عائلته
46,15%	18	طلبة
100%	39	المجموع

تشير النتائج الخاصة بالجدول رقم (2) الفاعلون في إحياء ذكرى وفاة

الدكتور أحمد عروة وقد جاء هؤلاء وفق النسب الآتية:

جاء الطلبة في إحياء الحدث في الترتيب الأول بنسبة 45% يليه الأستاذة

في الترتيب الثاني بنسبة 20%، ثم مديرية النشاط الثقافي لجامعة الأمير وكذا نائب

الجمعية الدينية لمسجد الأمير عبد القادر 7,50%؛ يليه مدراء الجامعة وعائلة الفقيد

والتليفزيون الجزائري بنسبة واحدة تقدر بـ 5% لكل منهم، ثم الوالي والعمال لكل

منهما بنسبة 2,50%.

وبالنظر في النتائج يلاحظ تركيزا واضحا في تغطية الحدث على الطلبة،

حيث يبدو أن الأمر كان مقصودا من القائمين على مديرية النشاط الثقافي في محاولة

لإحداث صورة من صور التواصل التاريخي بين جيل الطلبة وواحد من الشخصيات

العلمية التي مرت على هذه الجامعة ممثلا في شخص أحمد عروة، وقد يبرز ذلك من خلال سؤال محوري أجرته مديرية النشاط الثقافي مع الطلبة من جميع المستويات والتخصصات متمثلا فيما إذا كان هؤلاء لديهم معرفة بالرجل الموسوعة.

وإلى جانب الطلبة ظهر الأساتذة كفاعلين بارزين في الحدث، والتركيز عليهم كان له مدلوله من حيث أنهم يملكون المعلومة التاريخية فيما يتعلق بعلاقتهم بالدكتور أحمد عروة على الأقل فيما يتعلق بالجانب العلمي، وقد أكد هؤلاء-ومنهم الدكتور بوجناتة- رحمه الله- على وجه الخصوص بحكم قربه منه- في تصريحاتهم أنه كان شخصية علمية فريدة من نوعها، من حيث أنه اهتم بالجامعة وبأساتذتها وأنه كان صاحب تعامل رفيع¹، وكان رمزا للمثقف المسلم واستطاع أن يحافظ على هويته²، وأنه من الشخصيات القليلة التي تنظر إلى الإسلام بنظرة عصرية.

وأما مديرية النشاط الثقافي فكان حضورها في الحدث من خلال التقارير والأشرطة الوثائقية التي أعدها تحليدا لذكرى الرجل، وأما نائب رئيس الجمعية الدينية فكان حضوره منطقي للعلاقة الوطيدة التي كانت تربط أحمد عروة بهذه الجمعية في خدمة طلبة الجامعة وبخاصة الأجانب منهم.

¹-مديرية النشاط الثقافي والرياضي، الذكرى السادسة لوفاة أحمد عروة، مصدر سابق.

²-المصدر نفسه.

3- فئة الأهداف المقصودة من التغطية الإعلامية للذكري وفاة أحمد عروة:

جدول رقم (3) يبين الأهداف المقصودة من التغطية الإعلامية

للذكري وفاة أحمد عروة

النسبة	الكرار	الأهداف المقصودة من التغطية الإعلامية
42,10%	16	تعريف الأجيال به
26,31%	10	حث الباحثين لدراسة آثاره
7,89%	3	تشجيع روح الإبداع
23,68%	9	الاقتداء به في تعامله وخصاله
100	38	المجموع

تشير النتائج المبينة في الجدول رقم (3) النسب الآتية جاء هدف تعريف الأجيال بالدكتور أحمد عروة في الترتيب الأول بنسبة 42,10%، يليه مباشرة دعوة الباحثين للاهتمام بترائه في الترتيب الثاني بنسبة 26,31%، أما الاقتداء به في تعامله وخصاله ف جاء في الترتيب الثالث بنسبة 23,68%، وفي الأخير هدف تشجيع روح الإبداع بنسبة 7,89%.

إن الأهداف المبينة في التغطيات الإعلامية للذكري أحمد عروة إنما تشير إلى صدق نوايا الجامعة في إحداث جسر تواصل بين أجيال الجامعة وعلماء الجزائر ممن خدموا العلم والمعرفة والوطن على السواء ومنهم أحمد عروة، وهو ما تؤكد جهود الجامعة في تسمية دفعات التخرج من الطلبة باسم واحد من أعلام الجزائر، بل وما

أنجزته من كتب بأسمائهم¹ حتى ترسخ في الذاكرة الطلابية صورة هؤلاء العظماء وتكون نماذجهم قدوة يقتفى أثرها في العلم والمعرفة والنضال، وأما دعوة الباحثين إلى الاهتمام بآثار أحمد عروة من خلال البحث العلمي الأكاديمي الجاد، فهو يدخل ضمن سياسة الجامعة ووظيفتها التي يجب أن تشع على المجتمع بضرورة إحياء تراث علماء الجزائر وإبرازه للجيل القادم، وبالتالي فإن تراث أحمد عروة يستحق بأن يكون محالا للباحثين كي ينفصوا الغبار عنه، والمحالات في ذلك متعددة سواء في الفكر الإسلامي أو الطب أو البيئة أو الأدب مما تزخر به كتابات الرجل .

وأما الدعوة للاقتداء به في تعامله ونخضاله في التغطية الإعلامية، فكانت قصد منه أن يكون طلاب العلم وغيرهم على هذه الشاكلة، إذ لا معنى لعلم دون فضائل أخلاقية، ومن ثم جاء أحمد عروة في هذه التغطية ليعطي نموذجا عمليا يقتدى به لمن أراد أن يرتقي إلى مصاف الكمال الإنساني ويصبح بحق من ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وأما هدف تشجيع روح الإبداع فهو لدفع طالب العلم لأن ينهل من كل العلوم ويتذوقها ولا يبقى حبيس تخصصه.

¹ - نذكر هنا بنماذج من الشخصيات التي حظيت باهتمام الجامعة وأنجزت في حقهم كتب بمناسبة تخرج الطلبة من كل سنة: الفضيل الورتلاني، الشيخ البشير الإبراهيمي، الشيخ عبد الحميد بن باديس، أحمد حماني، مولود قاسم، الرئيس الراحل الشاذلي بن جديد، عبد الرحمن شيان.

4-القوالب الفنية المعتمدة في التغطية الإعلامية للحدث:

جدول رقم (4) القوالب الفنية المعتمدة في التغطية الإعلامية للحدث

النسبة	التكرار	القوالب الفنية المعتمدة في التغطية
15,38%	2	الشريط الوثائقي
15,38%	2	الخبر
30,76%	4	الاستطلاع
15,38%	2	المقابلة
7,69%	1	التقرير
15,38%	2	الندوة
100%	13	المجموع

تشير النتائج المبينة في الجدول رقم، تصدر قالب الاستطلاع بنسبة 30,76%، يليه المقابلة والشريط الوثائقي والخبر والندوة في الترتيب الثاني بنسبة 15,38%، تلاه التقرير في الترتيب الأخير بنسبة 7,69%.

ويلاحظ من خلال هذه النسب تقاربا واضحا في استخدام مختلف القوالب الإعلامية، وهو أمر يبدو مقصودا من القائمين على التغطية، ذلك لقناعة القائمين أن كل نوع من هذه القوالب يتميز بوظيفة إعلامية خاصة ويقوم بغرض محدد، والهدف منه محاولة الإحاطة الشاملة بكل جوانب شخصية المرحوم أحمد عروءة، واستحضار حياته شاخصة للتعريف به للأجيال، وإيفائه ما يستحق من التكرم لما قدمه للعلم والمعرفة والجامعة الإسلامية.

الاستنتاجات:

-ركزت الدراسة على إبراز آثار أحمد عروة الفكرية، وهو أمر محمود من القائمين على تغطية الحدث على اعتبار أنها الرسالة التي يجب أن تضطلع بها الجامعة، وعليه كان الحديث في مختلف التغطيات الإعلامية لإحياء ذكرى وفاة أحمد عروة منصبا بشكل كبير حول ما تركه من مؤلفات بالعربية أو الأجنبية. وكان في كل ذلك الحديث عن علاقة أحمد عروة بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ضروريا بحكم إدارته للجامعة آنذاك، وقد جاءت التغطية لتؤكد الدور الكبير الذي قام به الرجل في الارتقاء بالجامعة الإسلامية لتكون مركز إشعاع علمي يشهد له بين الجامعات الأخرى، وفي ثنايا ذلك كان الربط بين علم الرجل وخصاله الحميدة لتستدعيها في نفوس كل من يعتلي منصبا إداريا في أي مؤسسة من المؤسسات الحكومية.

-ركزت التغطية الإعلامية في إحيائها لذكرى وفاة أحمد عروة على الطلبة بشكل لافت كفاعلين في الحدث، في محاولة من القائمين على التغطية إحداث نوع من التواصل التاريخي بين جيل الطلبة وأحد أقطاب العلم ممن تركوا بصماتهم في هذه الجامعة ممثلا هنا في شخص أحمد عروة، ولم تغب في كل ذلك فئة الأساتذة الذين كان إبرازهم في الحدث ذا مدلول خاص من حيث امتلاكهم للمعلومة التاريخية فيما يتعلق بعلاقتهم بالدكتور أحمد عروة على الأقل فيما يتعلق بالجانب العلمي، وقد جاء التأكيد منهم على أن الرجل الراحل كان صاحب تعامل رفيع، وكان رمزا ..متقفا للمسلم .

التغطية الإعلامية لجامعة الأمير عبد القادر للذكرى وفاة أحمد عروة- دراسة تحليلية - د. زكية منزل غرابة

-تصدر التعريف بال الدكتور أحمد عروة جملة الأهداف المقصودة من التغطية الإعلامية لإحياء ذكرى وفاته في نية صادقة من الجامعة لإحداث جسر تواصل علمي بين طلبة الجامعة وعلماء الجزائر ممن خدموا العلم والمعرفة ممثلا هنا في أحمد عروة، وهو أمر تؤكد جهود الجامعة في تشريف الدفعات المتخرجة من طلبتها بتسميتها باسم واحد من أعلام الجزائر حتى ترسخ في الذاكرة الطلابية صورة هؤلاء العظماء وتكون نماذجهم قدوة يقتفى أثرها في العلم والمعرفة والنضال، وتجاوز اهتمام الجامعة بمثل هؤلاء إلى تخليد مآثرهم ضمن كتب خاصة تتضمن أفكارهم وجهودهم العلمية. وكان هدف دعوة الباحثين للاهتمام بآثار الرجل من خلال البحث العلمي الأكاديمي أمرا مطلوبيا يشير إلى سياسة الجامعة ووظيفتها التي يجب أن تشع على المجتمع بضرورة إحياء تراث علماء الجزائر وإبرازه للجيل القادم، وأحمد عروة من العلماء الذين يستحقون ذلك، والمجالات في ذلك متعددة سواء في الفكر الإسلامي أو الطب أو البيئة أو الأدب وكل ما تزخر به كتابات الرجل.

في حين كان هدف الدعوة للاقتداء به في تعامله ونخضاله تاليا لما سبق قصدا ليعطي أحمد عروة نمودجا عمليا يقتدى به لمن أراد أن يرتقي إلى مصاف الكمال الإنساني ويصبح بحق من ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

- جمعت التغطية الإعلامية -حول إحياء ذكرى وفاة أحمد عروة - بين مختلف القوالب الإعلامية، وإذا ما سلمنا بأن كل قالب يقوم بوظيفة إعلامية خاصة: وغرض محدد، فإنه يمكن القول بأن الاستخدام المقصود لهذه القوالب استطاع الإحاطة الشاملة بكل جوانب شخصية المرحوم أحمد عروة، واستحضار حياته شاخصة للتعريف به للأجيال، وإيفائه ما يستحق من التكريم لما قدمه للعلم والمعرفة والجامعة الإسلامية.

محاضرة للدكتور أحمد عروة - رحمه الله -
الفكر السياسي في العالم الإسلامي المعاصر
- متاهات وعلامات -

تمهيد:

إذا اعتبرنا أن السياسة هي تدبير شؤون الأمة الدينية والدولية والحضارية، وإذا اعتبرنا أن السياسة تخضع للمبادئ العقائدية التي تحدد لها أهدافها ومجالاتها ومقاييسها، يبين لنا الفكر السياسي يعكس في نفس الوقت تلك الأصول العقائدية وذلك الواقع الحضاري، وهكذا فإن الفكر السياسي بل السياسة التي راجت في العالم الإسلامي في عهد الاستعمار وبعده تعكس جملة التطورات والتناقضات التي طرأت عليه سواء على مستوى أصوله العقيدية أو على مستوى واقعه الحضاري.

ترجع تلك التأثيرات إلى نوعين من التحديات التاريخية:

- تحديات ذاتية تتمثل في ظاهرة الانحطاط الفكري والحضاري الذي أضعف الأمة وحل أوصالها وعطل رسالتها.

- وتحديات خارجية تتمثل في الصدمة الاستعمارية الحديثة التي غمرت العالم الإسلامي وهيمنت عليه سياسيا وحضاريا.

تلك التأثيرات بما فيها من إيجابيات ومعاكسات جعلت الفكر السياسي يكتسي مظاهر متضاربة في المفاهيم والأهداف والأساليب والمناهج أوقعت الأمة الإسلامية في مآزق ومتاهات عقائدية وحضارية وضاعفت مشاكلها وتمزيقاتها.

كيف يمكن تصحيح المفاهيم وتوجيه الفكر السياسي طبقا لأصوله الدينية والمصلحة الأمة الإسلامية في واقعها وتطلعاتها الحضارية؟ هذا هو الهدف الذي جعلناه أمام أعيننا في تناولنا لهذا الموضوع الذي تقدمه في ثلاثة فصول:

- **الفصل الأول:** تحليل العوامل العامة التي تؤثر في الفكر السياسي باعتبار الأصول العقائدية والمكونات الحضارية.

- **الفصل الثالث:** علامات في الطريق - آفاق منهجية لتصحيح الفكر السياسي.

- على مستوى العوامل الذاتية.

- وعلى مستوى العوامل الخارجية.

1- **الفصل الأول:** تحليل العوامل العامة التي تؤثر في الفكر السياسي:

الفكر السياسي هو الأدوات النظرية التي تتركز عليها النظم الدولية أو الحركات السياسية المدبرة والمسيرة لشؤون المجتمع.

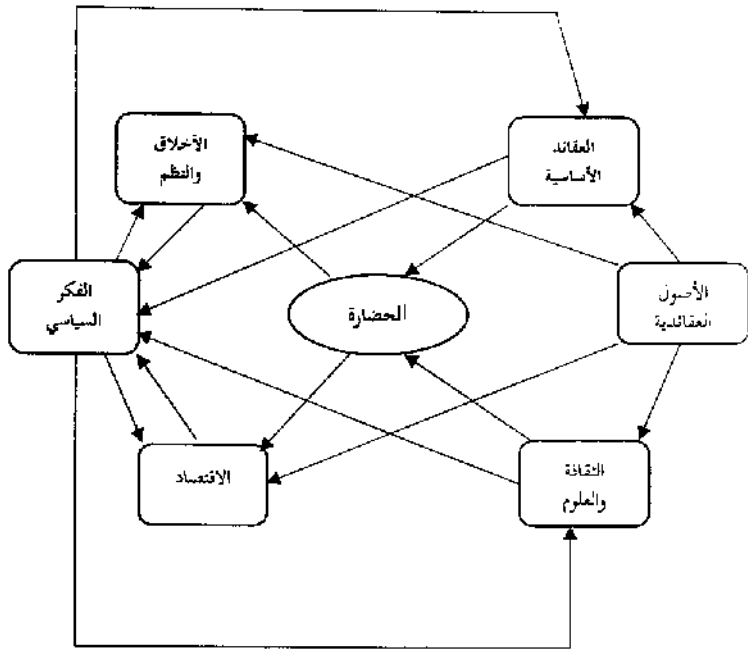
كيف نشأ الفكر السياسي وكيف تنوع وكيف تطور؟ هذا ما سنحاول التعرف عليه في هذا الفصل.

أ/ نشوء الفكر السياسي:

يرتبط الفكر السياسي بالتصور المبدئي لوجود الإنسان وللغايات الوجودية التي يفترضها ذلك التصور (حسب المستويات الفكرية التي يصل إليها وهي: الفطرة والعقل والدين)، ويمتد ذلك الفكر السياسي من تلك الأصول العقائدية إلى المكونات الحضارية التي نلخصها في أربعة مرافق.

-العقائد الأساسية - الأخلاق والنظم الاجتماعية - الاقتصاد - الثقافة والعلوم.

ينشأ الفكر السياسي من تلك المكونات الحضارية ثم يعود عليها في الفكر والمدبرة والمسيرة لتلك المكونات كما يظهر في الشكل التحليلي التالي:



ب- تنوع الفكر السياسي:

يتنوع الفكر السياسي حسب تنوع الأصول العقائدية والسمات الحضارية

تتبع لها:

- أما الأصول العقائدية فتختلف حسب المستويات التي وصل إليها الإنسان في تطوراتها الفكرية وهي: الفطرة-العقل-الدين.

“ مستوى الفطري يخضع للدوافع الطبيعية وهي الاقتصاد المعاشي والتناسل والدفاع عن الذات ويقتصر فكريا على العلاقة البدائية مع الظواهر الطبيعية كما تبرز في الاعتقادات الوثنية.

* المستوى العقلائي ويرتقى إلى ملكات العقل الإدراكية والتحليلية والإبداعية لتقدير الأعمال وتنظيمها وإنجازها طبقاً لأهداف مقررّة، وقد تتجه تلك الأهداف نحو الضرورات الغريزية والشهوات الترفيحية أو نحو الكماليات الأخلاقية والروحية.

* المستوى الديني يرتفع إلى أهداف وغايات خارجة عن الإدارة الإنسانية وتتمسك على دوافعه الفطرية ومقاييسه العقلانية.

- وأما السمات الحضارية فتختلف باختلاف الأصول العقائدية.

* إذا تغلبت الأصول الفطرية تكون الحضارة بدائية أمة.

* إذا تغلبت الأصول العقلانية تكون الحضارة مدنية علمانية.

* إذا تغلبت الأصول الروحية تكون الحضارة دينية.

- وأما الفكر السياسي فيختلف بدوره باختلاف أصوله العقائدية وسماته

الحضارية فيكون:

* فكراً بدائياً (فطرياً).

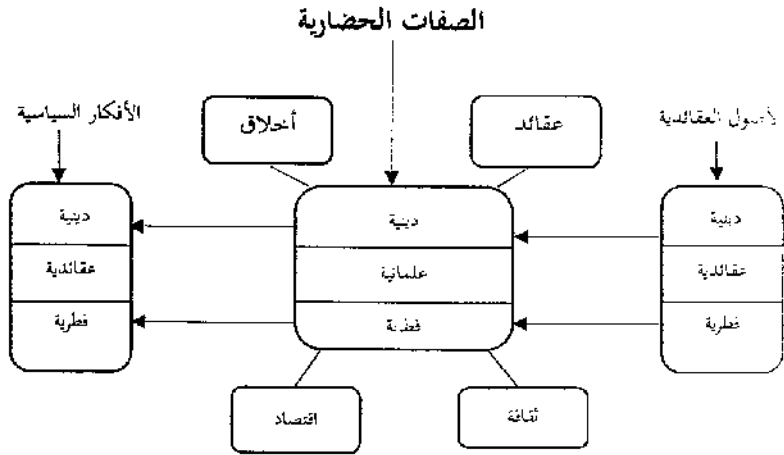
* فكراً مدنياً (علمانياً).

* فكراً دينياً.

ذلك ما نوضحه في الشكل الجامع التالي وفي التعقيبات التي تليه:

ينشأ الفكر السياسي من تلك المكونات الحضارية ثم يعود عليها في الفكر والمذبرة

والمسيرة لتلك المكونات كما يظهر في الشكل التحليلي التالي:



- الفكر السياسي القطري:

يقتصر على التدبير البدائي للعلاقات الاجتماعية وللشؤون المعاشية والدفاعية داخل عصبية عشائرية أو قلبية ضيقة ترجع فيها القيادة إلى رجل أو إلى جماعة يغتصبونها بالقوة أو يعنون حسب ما يتميزون به من مكانة أو حكمة أو شجاعة أو إخلاص للمجتمع.

- الفكر السياسي العلماني:

يعكس مجموع المكونات الحضارية ويهدف إلى إثبات أو تعديل أو تغيير البنية والروابط الاجتماعية طبقاً للأهداف المصلحية التي يقرها لفائدة جميع أفراد المجتمع أو أغلبيتهم أو الفئة المتغلبة على أمرهم، وقد تختلف نوعية وأساليب تلك السلطة ما بين الملكية الاستبدادية المتوارثة والملكية الاستشارية والإمبراطورية المتوارثة أو المنتخبة والديمقراطية الواسعة والاستقرائية الطبيعية والإقطاعية وقد تداول تلك

النظم كما كان الحال في الإمبراطوريات الشرقية القديمة وفي اليونان والرومان وفي المجتمعات الغربية منذ عهود النهضة العلمانية إلى يومنا هذا.

- الفكر السياسي الديني:

يختلف مع الانتماءات والتأثيرات العقائدية والحضارية وإذا كان مبدئيات يخضع للغايات والتشريعات الدينية فقد تعطيه السمات الحضارية طابعها الخاص ولربما تهمين عليه كما ستره في المراحل التي مرت عليها الديانات الكبرى.

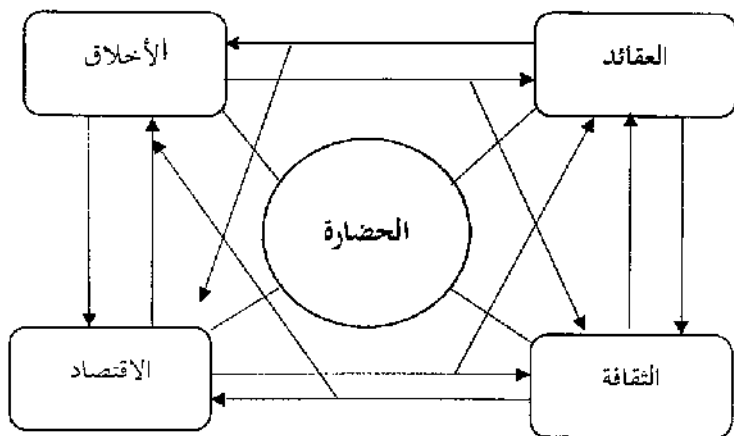
ج/ تطور الفكر السياسي:

يتطور الفكر السياسي مع:

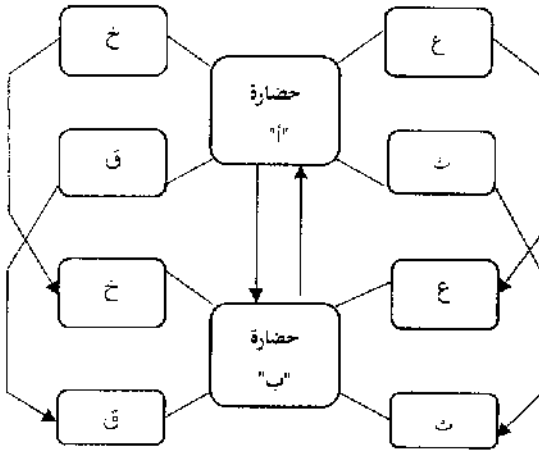
- تطور الأصول العقائدية.
- وتطور السمات الحضارية.
- وتداخل الحضارات.

* تطور الفكر السياسي مع تطور الأصول العقائدية وتنوعها لأن تلك الأصول لا تنفرد ولا تنفصل عن بعضها، فالفطرة مثلا لا تخلو من بعد عقلائي وبعد ديني كما لا ينفصل العقل من البعدين القطري والديني، وكما لا ينقطع الدين عن البعدين الفطري والعقلي. ثم تتغير النسبة التكوينية بين هذه الأبعاد حيث يتغلب أحدهما ويهيمن على الفكر السياسي كما هيمن البعد العلماني على الحضارة الغربية أو كما يهيمن البعد الديني في الحضارة الإسلامية.

* يتطور الفكر السياسي مع تطور السمات الحضارية ذلك لأن الحضارة (مثل التقدم العلمي والتكنولوجي في النمو الاقتصادي) تتطور في ذاتها وتتداخل في بعضها كما نمثله في الرسم التالي:



- التطور العلمي يؤثر في العقائد وفي الأخلاق وفي الاقتصاد.
 - الأخلاق والنظم تؤثر في العقائد والشرائع وفي الثقافة والعلوم وفي الاقتصاد.
 - الاقتصاد يؤثر في الأخلاق والنظم وفي العقائد والشرائع وفي العلوم.
- * يتطور الفكر السياسي بتداخل الحضارة في بعضها وبجتميه التبادل بينها إما جملة في حالة الامتزاج عن طريق الغلبة والاحتلال، وإما جزئياً عن طريق المعاملات الاقتصادية أو الثقافة. ويحدث ذلك التأثير المتبادل طبقاً لنسبة الضغط والافتقار في المكونات الحضارية كما عرضناه في بحث سابق (الحضارة الغربية في الميزان- الملتقى الإسلامي 19 بجاية- الجزائر-1985)-بحيث إنه في حالة حضارة (أ) وحضارة (ب) يكون التأثير والتبادل كما يلي:



* يتطور الفكر السياسي بتداخل الأفكار السياسية الناتج عن تداخل الحضارات.

د/ تطورات الفكر السياسي في الحضارات الإنسانية:

⁴⁰ في الحضارة القبطية البدائية: ليس هنالك فكر سياسي بمعناه العلماني، وإنما هو تدبير عرفي لشؤون المجتمع يرتكز أساساً على ضرورات الحياة ونوعية الثروات الطبيعية وعلى الحجم البشري الذي يثير في المجموعة مطلع يجعلها إما تتوضع في معيشتها وإما تتوسع في الأرض على حساب غيرها من الحضارات والمجتمعات سواء كانت في نفس مستواها الفطري أو أرقى منها ثقافياً، كان ذلك شأن القبائل البدائية في جزيرة العرب قبل الإسلام وفي القارات الأخرى ويشهد التاريخ عبر أحقابها عن تصارع الحضارات القبلية والمدنية فيما بينها.

^{٢٠} في الحضارات العلمانية: يرتقي الفكر السياسي العلماني حينما تستقر المجتمعات البشرية في القرى والمدن والبلدان وتتطور فيها المكونات الحضارية كالعلوم والفنون والصناعات والتجارة والمعاملات الخارجية وتوضع القوانين والأحكام التشريعية والإدارية والأمنية.

ثم تتعدى السياسة إلى خارج حدودها بدافع المطامع والطموحات الترفيفية والتوسعية على حساب الشعوب المجاورة تارة عن طريق التحالف والولاء وتارة عن طريق الاغتصاب والاستيلاء.

^{٢١} في الحضارات الدينية: سيقصر البحث على تطور الفكر السياسي في الديانات الإبراهيمية لما يوجد من ترابط عقائدي وتاريخي شديد وخطير بينهم في الماضي وفي الحاضر.

- اليهودية:

إذا اعتبرنا أن هنالك فكرا سياسيا يهوديا متميزا فإننا نراه يمر على مراحل تاريخية من صماتها الثابتة أما تركز على عصبية ضيقة لا تخرج عن عنصرها المعرفي والديني ومن سماتها المتغيرة أنها مرت على مراحل تاريخية متعددة نذكر منها:

- المرحلة الموساوية: وهي أقرب إلى الفطرة منها إلى المدنية تتميز بالبداوة والعصبية القبلية إلا أن العنصر الديني أعطاها بعدا جديدا جعل السياسة فيه لا تفصل بين المكون العقدي والتشريعي من ناحية والمؤن المادي الاجتماعي من ناحية أخرى وكان هم السياسة الموساوية تثبيت العقيدة في مجتمع طفت عليه الدوافع المادية ثم تكوين أمة موحدة قوية في كيانها الديني والدينيوي.

- المرحلة المدنية: تبتدئ مع إسرائيل على أرض فلسطين ونشوء دولة يهودية ذات حضارة دينية مدنية تميزت بالازدهار السياسي والعلمي والاقتصادي والعسكري

لا سيما في عهد داوود وسليمان، كانت السياسة تجمع بين الدين والدولة ولكنها تتصدى لعاكستين تحاول تذليلها: القبلية التي فرقت بين بني إسرائيل وأدت إلى تأسيس دولتين متنافستين: والمادية التي أدت بيني إسرائيل إلى الفساد والعصيان ومخالفة الشريعة رغم الرسالات النبوية التي ظهرت من بينهم إلى أن قضى الله أمره بتشريدهم واستضعافهم من جديد ((ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون)) البقرة 60.

- مرحلة التشرذ: هي ضياع الأرض التي استخلفهم الله فيها من قبل ثم أخرجهم منها ليشتتهم في أقطار الأرض. لكن اليهود رغم التشرذ والاستضعاف اندمجوا في الحضارات الأخرى اندماجا حضاريا لا عقائديا وهكذا كان حالهم مع الحضارات البابلية والرومانية والبيزنطية والإسلامية والأوروبية - ويبقى الفكر السياسي اليهودي في خدمة العصبية الدينية العرقية يهدف إلى المحافظة على الكيان اليهودي عن طريق التكتل والتكيف والمعاشة المستكنة تارة مستضعفين منبوذين وتارة متسلطين منتهزين إلى أن وجدوا في الحضارة الغربية العلمانية منفذا لمقاييد العلم والحكم فتقوت شوكتهم وتمحصنت مكائنتهم رغم أن تلك المكانة تتصدى لنفس الكراهية والاحتقار.

- المرحلة الصهيونية: وهي محاولة اليهود الرجوع إلى العهد المدني الأول بحيث أن الفكر السياسي تحول إلى غزو عالمي اعتدائي يزحف على ثلاث محاور مترابطة المناهج والأهداف وهي:

1- الاستيلاء على أرض فلسطين بقوة السلاح وتأسيس دولة دينية علمانية عنصرية تفرض وجودها بالتفوق العسكري والدهاء السياسي.

2- إخضاع الفكر السياسي الغربي والنظم السياسية التابعة له الاستراتيجية الصهيونية ومطامعها التوسعية وذلك بعمليتين متناقضتين في الظاهر متحدتين في الأهداف هما:

- إثارة التيار المادي الاحادي لإبطال التعصب المسيحي.
 - وإحياء جذور الدينية المشتركة بين اليهودية والمسيحية.
 - نتيجة ذلك المشروع السياسي تظهر في التحالف الوثيق بين إسرائيل ودول الغرب الأوروبي-الأمريكي ومحاولة التقارب بين الكنيسة واليهودية.
 - 3- محاربة المقاومة الوحيدة التي تعاكس مشروعها السياسي والعقائدي وهي الإسلام وتستعمل لذلك استراتيجية واسعة النطاق بعيدة الأمد تجمع بين:
 - الحرب المعلنة.
 - تفكيك الفكر السياسي الإسلامي وجره إلى العلمانية.
 - إحياء العصبية القومية.
 - إثارة الفتن الداخلية.
 - إثارة الأحقاد الصليبية والاستعمارية ضد المسلمين.
- المسيحية:

يتميز الدين المسيحي في أصوله العقائدية وتطوراته التاريخية بالازدواجية التي تفصل بين الأصول الدينية والمكونات الحضارية، وكانت تلك الازدواجية نتيجة للظروف التاريخية التي نشأت فيها المسيحية وقد جاءت لإصلاح الدين اليهودي في عهد كان فيه بنو إسرائيل خاضعين للاستعمار الروماني وتحت عن تلك الازدواجية سلسلة من الانفصالات سواء على مستوى المكونات الحضارية أو على مستوى الفكر السياسي:

- انفصال الدين عن الدولة.
- انفصال القوانين الوضعية عن التشريعات الدينية.
- انفصال السلوك الحضاري عن الأخلاق الروحية.

وأدى ذلك الانفصال العقيدي إلى تناقضات أساسية تبرز في المراحل التاريخية التي مرت عليها المسيحية وهي:

- المرحلة الدعوة التبشيرية: التي تهيمن فيها القيم الدينية والأخلاقية على دوافع الفطرة ومقاييس العقل وينتشر فيها الدين على هامش الدولة أو متعارض معها.

- المرحلة الثانية: نشأت مع انحراط قادة الجيوش ثم الملوك الرومانية والبيزنطيين في الدين المسيحي حيث التقت مصلحة الدولة مع الدعوة الدينية واختلطت فيها العصبية المدنية (الإمبراطورية الرومانية والبيزنطية) والعصبية الدينية (الكنيسة) وأدت باسم التوسع الديني والحضاري إلى الحروب التبشيرية والصليبية ثم الاستعمارية الأولى. ثم تقوى نفوذ الكنيسة في القرون الوسطى على الملوك والأمراء وفرضت عليه مصالحها الدينية والمادية والسياسية.

- المرحلة الانفعالية: التي ابتدأت مع النهضة العلمانية وتأثير الحضارة الإسلامية بما تحمله من مكتسبات علمية وفكرية بحيث إن التقدم الحضاري كان على حساب القيم الدينية والامتيازات الكنيسية سواء في ميادين العلم والفكر والأخلاق والسياسة والاقتصاد والفلسفة.

- المرحلة العلمانية: التي كانت نتيجة لثورات عارمة ضد القيم والتقاليد والنظم السياسية والاجتماعية وأدت إلى بروز قيم جديدة تمتد أصولها أساسا إلى الحضارة اللاتينية اليونانية وتبناها الفئة الاجتماعية الغنية والمتعلمة التي تتمثل في البروجوازية المدنية. المرحلة العلمانية هي التي تميز الحضارة الغربية بالسماوات التي نعرفها.

الأصول في الكتاب المنزل والسنة النبوية تهيمن أخلاقيا وتشريعيا على كل المكونات الحضارية وتتميز بالتوازن المدرج بين الفطرة والعقل والدين ونظريات الشاملة للإنسان بما في ذلك تدبير الدولة وتسيير شؤون الأمة لمن هذه العلاقات المبدئية لم

تمنع من التأثيرات المختلفة التي طورت السمات الحضارية وجعلت الفكر السياسي يمر على أطوار تاريخية.

● مرحلة الدعوة والتكوين:

التي تميز عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين لم يخرج الفكر السياسي في ذلك العهد من خدمة الدعوة للإسلام وتكوين الأمة وتوطيد دعائمها الدولية والاجتماعية ونشر الرسالة والدفاع عنها في الداخل والخارج.

● مرحلة الحضارة المدنية:

وهي مرحلة الاقتباس الحضاري، وذلك عندما امتدت رقعة الإسلام على بقاع الشام وفارس والروم ومصر... حيث كان الإسلام قويا في دفعته الرسالية حصينا في أسسه الدينية فأخذ يتفتح للحضارات التي احتضنتها وأخذ منها العلوم والفنون والنظم الإدارية والمناهج ويخضعها لمقاييسه الأخلاقية والشرعية وإذا كان الفكر السياسي يهدف إلى تنظيم الأمة الإسلامية دينا ودولة رسالة وكيانا طبقا لأصوله العقائدية فإن المقاييس الإستحسانية لم تكن دائما صارمة اليقظة والالتزام فتسربت في الحضارة الإسلامية عامة وفي الميدان السياسي خاصة بعض التقاليد الدخيلة أدت إلى تأسيس الملكية الوارثية وتقليص دور الشورى وبرز العصبية القومية والحزبية والمذهبية وكان الفكر السياسي عند علماء الدين يعكس تلك التحولات إما متعاملا معها وإما معارضا لها وإما ساعيا لترشيدها.

● مرحلة الاقتباس:

ظهرت حينما فقد التوازن بين المبادئ والمعاكسات الذاتية والخارجية التي أدت إلى الانقسامات القومية والقبلية وإلى استبداد الحكام والتعارض بين مصالح الرعية ومطامح السلطان.

● مرحلة الانتكاس:

تطبق على عهد الاحتلال الأجنبي والاستعمار الذي تحالف فيه عاملان سلبيان أحدهما ذاتي يتمثل في الخمول والتخلف العلمي والتشتت السياسي والركود الاقتصادي، والآخر خارجي يتمثل في المد الاستعماري الذي اغتصب رقعة الإسلام الممزقة وتداعى على قصعتها بكل ما تحمله من طبع واستكبار وكرهية للإسلام، أما الفكر السياسي في هذه المرحلة فيعكس نفس التشتت والتناقض والتنازع إما راضخا لها وإما تأثرا عليها كما سنبينه من بعد.

02 - الفصل الثاني: الفكر السياسي وتصادم الحضارات بين الغرور اللذاتي والأغراء الخارجي:

لم يكن التصادم بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية شيئا جديدا، ولكن موازين القوة تحولت في صالح الغرب كما يتضح في المقارنة بين أوضاع الحضارتين:

1- الحضارة الغربية وتطوراتها الحديثة:

- المكون العقائدي: ورثت الحضارة الغربية من عنصرين تاريخيين:
- العنصر الحضاري اللاتيني-اليوناني في طابعه المادي العلماني وأدت تلك الازدواجية الحضارية إلى الانفصال العقائدي الذي أشرنا إليه سابقا بين العنصرين العلماني والديني مع تغلب العنصر العلماني في تطوراته المادية والجدلية الحديثة.
- المكون الثقافي: كان التقدم العلمي والتكنولوجي أمثال الذي حققته الحضارة الغربية من أهم نتائج الاختبار العلماني المادي.
- المكون الأخلاقي: يعكس التناقضات الذاتية داخل المجتمعات الغربية بين الفئات والطبقات والقوميات التي تتكون منها ويتفرع إلى ثلاثة تيارات أخلاقية سياسية.

تيار علماني لبرالي: يمثل مصالح وقيم الطبقة البورجوازية في مطامعها الترفيهية والتحريرية والتوسعية ويمثل سياسيا في النظام الديمقراطي، يعبر عن تنافس الأفراد والفئات على الكسب والسلطة والامتيازات.

تيار علماني اشتراكي: يركز أساسا على استيلاء الطبقات العاملة على مقاليد الحكم ووسائل الاقتصاد في نظام سياسي هو أقرت إلى الاستبدادية الحزبية منه إلى الديمقراطية الشعبية التي يتغنى بها.

تيار كنيسي: مستقل عن الحكم نظريا ولكنه يتعامل معه وكثير ما يتورط في مشاريعه وسياساته سواء عن طريق الأحزاب المنتمة إليه أو عن طريق النفوذ المباشر على الشخصيات السياسية والفئات الاجتماعية.

المكون الاقتصادي: يمثل الدعامة الوسطى للحضارة الغربية ويسيطر على مكوناتها الأخرى لا سيما العقائدية والثقافية والأخلاقية.

2- الحضارة الإسلامية وواقع الأمة الإسلامية:

المكون العقائدي: بغض النظر عن المذاهب والطرق المورثة عن الجهود القديمة يتميز الفكر الديني المتخلف بتحجره وابتعاده عن الواقع الاجتماعي والسياسي والحضاري رغم الحركات السلفية والتجديدية التي حاولت ترشيده وتنشيطه.

المكون الثقافي: كاد يقتصر على العلوم وبعض التراث الحضاري الذي توارثه.

المكون الاقتصادي: بقي كما كان عليه في العصور الوسطى نوعية ونظاما ولم يتمكن من تلبية الحاجات الضرورية سواء في الفلاحة أو في الصناعة أو في المعاملات التجارية والمالية.

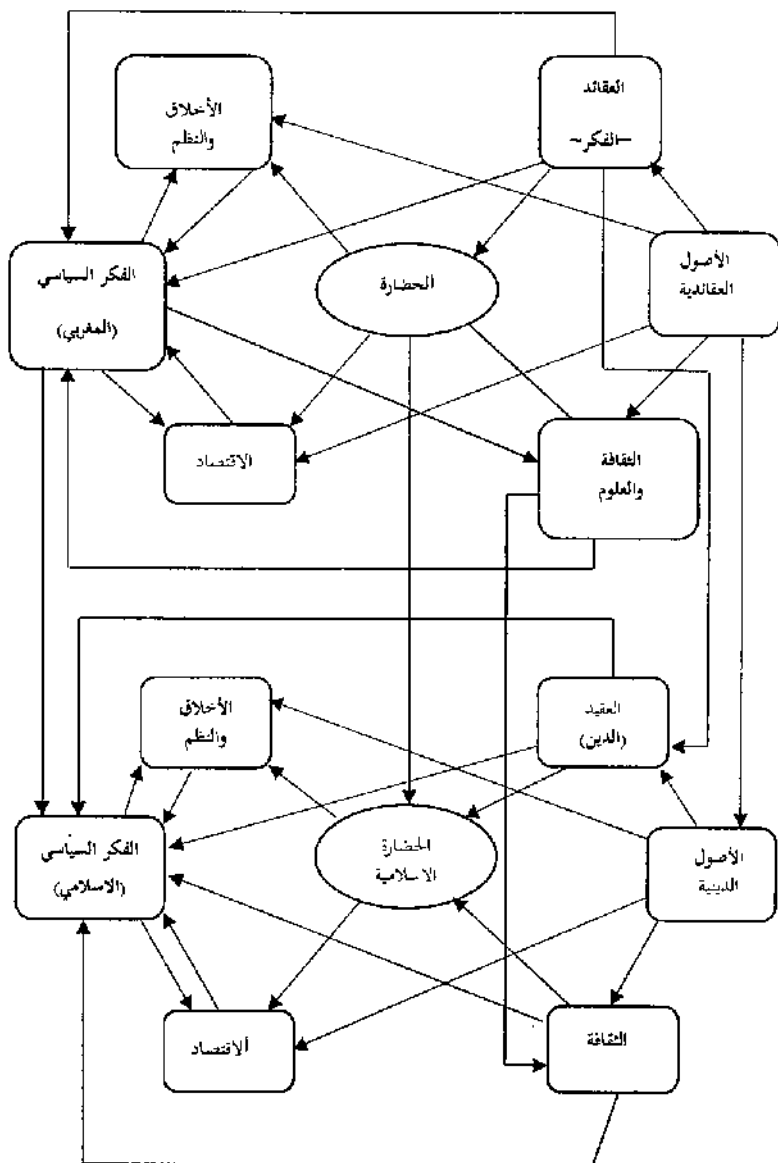
- آثار المد الاستعماري على الفكر السياسي في العالم الإسلامي:

توغلت الحضارة الغربية داخل العالم الإسلامي نتيجة لثلاثة أنواع من العوامل:

عامل طبيعي: يتمثل في حتمية التبادلات الحضارية بين الشعوب والمجتمعات طبقاً للفروق التي تفضل بين مستوياتها العلمية والثقافية والاقتصادية، ولما كان العالم الإسلامي في وضع أدنى من الوضع السائد في أوروبا كان تأثره أوسع وأعمق.

عامل تاريخي: يتمثل في الغزو الاستعماري التوسعي الذي حاول بكل الوسائل العسكرية والسياسية والاقتصادية والسياسية طمس السمات الحضارية واستبدالها بالمقاييس الغربية.

عامل ذاتي: تمثل في افتقار العالم الإسلامي إلى كل ما سبقه إليه الغرب في العلوم والتكنولوجيا والمنتجات الفلاحية والصناعية والثقافية.



تتداخل هذه العوامل في تأثيرها على الفكر السياسي هي مجموع التأثيرات

الخاصة على مستوى:

-الأصول العقائدية

-المكونات الحضارية

-الفكر السياسي.

أما التأثيرات على مستوى الأصول العقائدية: فتظهر في محاولة الفصل بين الدين والسياسة كما نجده في كثير من الحركات والزعامات العلمانية الجديدة. أما التأثير على مستوى المكونات الحضارية فهي التي جعلت الفكر السياسي يخضع للمقاييس الغربية في الميادين الحضارية العامة: العلم والتعليم والبحث العلمي والاقتصاد والتعاملات التجارية والمالية والأخلاق الاجتماعية والخدمات العامة والتشريعات الوضعية والمناهج التسييرية.

أما التأثيرات على مستوى الأفكار السياسية فهي التي جعلت المفاهيم والمناهج السياسية تسرب في عقول المفكرين والمتفكرين والقادة السياسيين فيتبنون النموذج الغربي في كل مقاييسه وظاهره وأسايبه.

وعلى هذا فإن التيارات السياسية السائدة في العالم الإسلامي سواء كانت مؤالية للفكر الغربي أو معارضة له تعكس ذلك التفاعل بين العوامل الذاتية والعوامل الخارجية كما تشهد عنه مختلف المواقف الفكرية التي نذكر منها:

- فكر ديني سلفي محدود الآفاق العقائدية والسياسية يدافع عن الأصالة الإسلامية في شكلها ومظاهرها التعبدية أكثر مما يدافع عن قضايا الأمة الإسلامية في تصعيدها لتحديات العصر.

-فكر انتهازي رجعي قصير النظر يخدم المصالح الخاصة باسم الدين على مستوى العصبية العائلية والإقطاعية والقبلية والقومية.

- فكر انغزالي عميل يتحالف مع القوات الاستعمارية مواليا لها ملتصقا دعمها وحماتها.

- فكر تجديدي متفتح النظرة متسع الآفاق يسعى من أجل بناء هيكل عقائدي جديد للأمة الإسلامية كما نجده عند جمال الدين الأفغاني ومحمد إقبال وغيرهم من مفكري النهضة.

- فكر إسلامي ثوري يناضل من أجل استبدال النظم العلمانية بنظام إسلامي أصيل كما نجده في حركات إسلامية مختلفة وأخيرا في الثورة الإسلامية في إيران.

- فكر سياسي "قومي" ما فتح للتأثيرات الغربية مجال التأييد والتكيف بين الأصول الدينية والتشريعية من ناحية والحضارة الغربية في تطوراتها العلمانية من ناحية أخرى وذلك ما نجده عند أغلبية النظم والحركات السياسية السائدة في الدول الإسلامية، وهي في الواقع أقرب إلى الفكر السياسي العلماني منه إلى المقاييس الإسلامية حتى في حالة تقريرها أن "الإسلام دين الدولة".

- فكر سياسي يصرح بانتماه للغرب لنموذجه القومي العلماني الذي يفصل بين الدين والدولة ويتبع المنهج السياسي الغربي في جميع أساليبه ومقاييسه.

- فكر سياسي يصرح بانتماه للغرب لنموذجه القومي العلماني الذي يفصل بين الدين والدولة ويتبع المنهج السياسي الغربي في جميع أساليبه ومقاييسه.

- فكر سياسي متشيع للماركسية وللحركات الشيوعية المنبثقة منها وهكذا تفرقت الأمة الإسلامية في كيانها وضميرها ونظمها الدولية وكانت شيعا واتبع السبل ففقدت السبيل وتاهت بين أطلال الحضارة الإسلامية وسراب الحضارة الغربية الذي يحسبه الظمآن ماء "حتى إذا جاءه لم يجده شيئا".

الفصل الثالث: علامات في الطريق:

يتبين مما سبق عن تعدد التيارات السياسية واختلافاتها العقائدية والمنهجية أن الفكر السياسي الإسلامي يتصدى لنوعين من التحديات:

-تحديات ذاتية تتمثل في مظاهر الانحطاط الفكري والأخلاقي والحضاري

-وتحديات خارجية تتمثل في المحاولة الاستعمارية لطمس الحضارة الإسلامية

في سماتها ورسالتها.

كما رأينا أن العوامل المؤثرة في تطور أو تغير الفكر السياسي تقع على ثلاثة مستويات:

-الأصول العقائدية

-المكونات الحضارية

-الأفكار السياسية

انطلاقاً من تلك القواعد الأساسية ومن التحليل الموضوعي للعوامل والمعاكسات تتضح الآفاق المنهجية لتصحيح الفكر السياسي وإعادته لأصوله الإسلامية.

-إصلاح الفكر السياسي على مستوى العوامل والتحديات الذاتية:

● على مستوى الأصول العقائدية:

تتمثل المعاكسات في ابتعاد المسلمين عن أصولهم الدينية فيما تحمله من وحدانية الله وشمولية للدين في أبعاده الشرعية والأخلاقية والثقافية والاقتصادية والروحية.

إصلاح العامل العقائدي يعني الاعتماد المبدئي على الكتاب والسنة وتفتح الفكر الديني في آفاقه العقائدية الواسعة التي تشمل العلم كمكون عقائدي أساسي في مفهومه الإسلامي الذي يجمع بين العلوم الطبيعية وعلوم الدين.

• علي مستوى المكونات الحضارية:

تدهورت أوضاع الحضارة الإسلامية بعامل الانحطاط الذي شمل حيويتها في جميع مكوناتها الدينية والأخلاقية والسياسية والاقتصادية والثقافية لتكون مطعما ومعنما للاستعمار الغربي.

تلك الحالة التي وصلت إليها الأمة الإسلامية مترابطة الأسباب والعوارض وترجع أساسا إلى فقدان أو نسيان المكون الذي يهيمن على المكونات الحضارية والعلمية والتكنولوجية والاقتصادية والاجتماعية.

• علي مستوى الفكر السياسي:

أدى التخلف الحضاري إلى نوعين من التأثيرات على الفكر السياسي، تأثيرات سلبية جعلت الفكر السياسي راكدا متخاذلا خاضعا لمصالح العصبية المحلية أو الجهود خادما لها ومتورطا معها في سياسات استعبادية واستغلالية مخالفة لتعاليم الإسلام. ردود فعل إيجابية أبرزت فكرا سياسيا يثور على ظواهر الانحطاط، ويسعى للرجوع إلى الأصول الدينية لبناء مجتمع

المكون الأخلاقي: تغلب فيه الشكل على الجوهر ورغم القيم الأخلاقية الراسخة في الجماهير المسلمة فإن الأخلاق فقدت روحها النظامية والرسالية الفعالة وتغلبت العصبية الاستبدادية والاقطاعية على أمرها مما جعل المسلمين مستضعفين في أوطانهم قبل أن تقع عليهم مقالة الاستعمار.

إسلامي أقرب إلى المقاييس الأخلاقية والنظامية السلفية الرشيدة.

إن إصلاح الفكر السياسي في ذاته يخضع لمبادئ ومقاييس لا يخرج عنها أما المبادئ العقيدية والمقاييس للفكر فتتخلص كما يلي:

● **السلطة التشريعية:** هي الكتاب الذي أنزله الله على رسوله هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان" ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون.

● **السياسة تخدم الدين.**

● **السياسة تسعى إلى تحقيق المجتمع الإسلامي في كل أبعاده الدينية والحضارية والرسالية بما في ذلك المناسك الدينية والقضاء والمصالح العامة والاقتصادية والخدمات العامة والاقتصادية والخدمات الاجتماعية والقيم والتربية والمعاملات والأمن الداخلي والخارجي والإدارة العامة والعلاقات الخارجية.**

● **السياسة تسعى إلى حماية الدين وتبلغ رسالته العالمية.**

● **يرتكز نظام الدولة (أو الخلافة) على ثلاث سلطات:**

-**السلطة التشريعية** التي تتمثل في الكتاب والسنة النبوية والاجتهادات الفقهية.

-**السلطة التنفيذية:** وهي الحكومة بمعناها النظامي العام وبفروعها الإدارية والقضائية، لها أن تحترم وتطاع وعليها أن تعمل لصالح الأمة وحماية الدين.

-**السلطة الاستشارية** التي يعتمد عليها الحكم وتشمل:

- **الاستشارة التأسيسية:** تعين السلطة وتفوض لها الإمارة عن طريق

الاختبار (أو الانتخاب) طبقاً لشروطها المشروعة (الكفاءة الوظيفية والالتزام بضاعة الله-الإخلاص لمصلحة الأمة...).

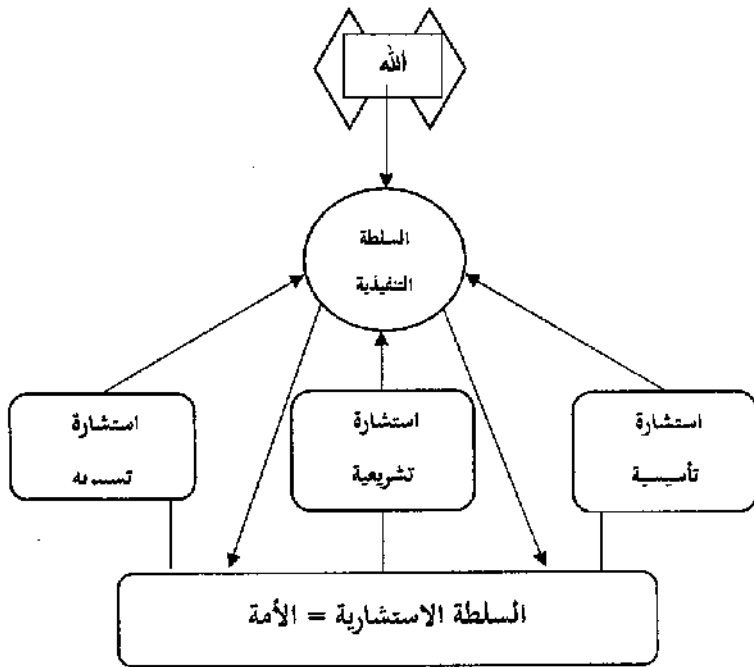
- **الاستشارة التشريعية:** الفقهية والقضائية) التي تعطي رأي الشريعة

وتجتهد فيها بطرح عليها من قضايا عامة.

- **الاستشارة التسييرية:** تعبر بها الأمة عن رأيها في تدبير شؤونها ومصالحها

الدنيوية وتتمثل في المجالس والهيئات العامة والمتخصصة.

مكندا يتشكل نظام الحكم الإسلامي كما تمثله في الهيكل التالي:



- إصلاح الفكر السياسي لا يتحقق إلا راسخا في أصوله العقيدية بما تحمله من مبادئ وشروط ومقاييس تهيمن على الظروف التاريخية والأوضاع المحلية.
- إصلاح الفكر السياسي لا يكون منفصلا ولا مجزئا في مكوناته وخصائصه الحضارية بل شاملا لها ورابطا بينها، فالتنمية الاقتصادية مثلا لا تنفصل عن مقاييسها الأخلاقية والشرعية.

- إصلاح الفكر السياسي لا يقتصر على نظرة سلفية ساكنة للأمة الإسلامية حتى في مثالها الرشيد الأفضل ولكنها منهجيا باعتبار التطورات التاريخية والحضارية والبشرية والبيئية التي تتطلب أنواعا جديدة من الوسائل والسبل العلمية والتنظيمية لم تكن في بال ولا في متناول القدماء.

- إصلاح الفكر السياسي لا ينحصر في نموذج نهائي وإنما يتفتح للاستشارة الاجتهادية المتعددة المناهج والوسائل والواسعة الآفاق المتسامحة من الفروق الشكلية والثقافية التي تميز الشعوب الإسلامية ولكنها تسعى من أجل التأليف والتنسيق والتوحيد بينها

2 - إصلاح الفكر السياسي على مستوى العوامل والتحديات الخارجية:

2-1- على مستوى الأصول العقائدية:

تمثل التحديات الخارجية في أنواع الغزو الفكري المادي العلماني الذي ساد في الحضارة الغربية المعاصرة والذي اندفع بكل إغراءاته العلمية والجدلية والجمالية عن طريق الفلسفة والآداب والنظريات الفكرية والعلوم الإنسانية.

ليست الحكمة في الرفض المبدئي لمكتسبات البحوث العلمية والنظرية وإنما هي في التمييز بين ما تحمله حقائق يقينية وما يشوبها من مغالطات شبه جدلية وتخمينات ظنية لا تعني من الحق شيئا.

ذلك لأن العلم إذا كان ينفذ لمعرفة القوانين الطبيعية التي سنها الله في الكون فإنه لا يصل إلى الأسباب والحقائق الأولى مهما بلغ من التعمق والتوسع في معرفة الكون والكائنات.

2-2 على مستوى المكونات الحضارية:

تمثل التحديات في جميع أنواع الغزو الحضاري وفي كل مكوناته وسماته.

أما المكون العقائدي: فيتمثل في الفلسفة الغربية وانتمائها للفكر العلماني الذي ورثته من الحضارة اليونانية اللاتينية وطورت جذوره وفروعه اعتمادا على الاكتشافات العلمية الحديثة لا سيما في ميادين الطبيعة الكونية والبيولوجية البشرية. وأما الكون الثقافي فله جانب علمي تكنولوجي تقدم فيه الغرب بصفة هائلة حاسمة وجانب فني جمالي يخضع لتقييم مادية ترفهية شهوانية ليس من العلمية إلا الوسائل التكنولوجية التي استخدمها لأغراضها الاستهلاكية.

وأما المكون الأخلاقي: فيعكس ازدواجية الأصول الحضارية وهي المسيحية من ناحية والمادية اليونانية الرومانية من ناحية أخرى إلا أن العنصر المادي تغلب تدريجيا على العنصر الديني فطغت عليه الدوافع الترفهية الشهوانية في طابعها الإباحي الفردي. وأما المكون الاقتصادي: فتغلب على الحضارة الغربية بتغلب عنصرها المادي العلماني فكان هو المبدأ والمقصد والميزان في كل مكونات الحضارة.

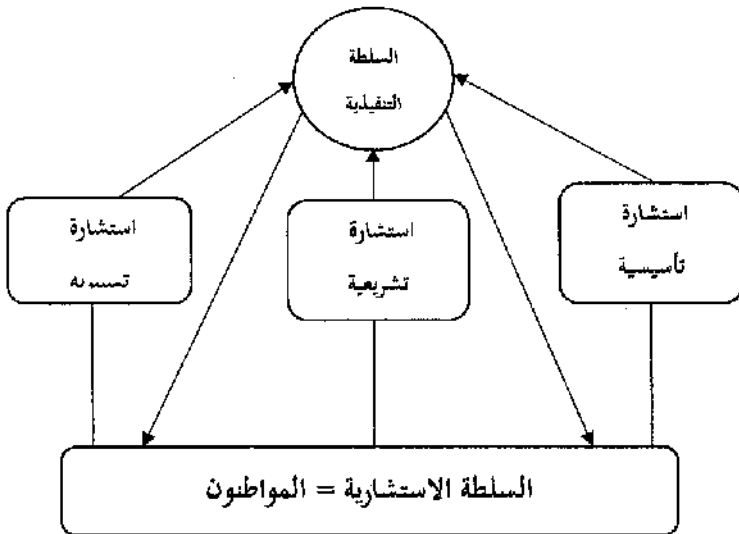
إن التصدي لتحديات الحضارة الغربية لا يجعلها هدفا في ذاتها وبجملتها لأن الإسلام يميز بين ما هو مكتسب فكري أو علمي أو اقتصادي يستفيد منه الإنسان في حياته الدنيوية وفي عقيدته وبين ما هو فساد وخروج عن القيم الأخلاقية والروحية ونقض لميثاق الشريعة التي وضعها الله لخلقه.

لذلك فإن التصدي للغزو الحضاري يعني في نفس الوقت ترقية المكونات الحضارية في سيماتها ومقاييسها الإسلامية ومحاربة صارمة لكل ما تحمله الحضارة المادية من مفاهيم إلحادية وإباحية ووثنية تتعارض مع الحقائق الدينية والقيم الأخلاقية الإسلامية.

2-3 على مستوى الفكر السياسي:

كان تطور الفكر السياسي في العرب نتيجة للتطورات الحضارية مؤثراً فيها ومتأثراً بما يعبر عن التنافس بين الأفراد والفئات والطبقات الاجتماعية ويعكس تناقضاتها وتفرعاتها المصلحية والحزبية والمذهبية التي تمتد من أقصى اليمين المحافظ إلى أقصى اليسار الفوضوي ماراً على كل ما يمكن تصوره من تجمعات وتكتلات تتنافس على السلطة والامتيازات المادية والمعنوية التي تتبعها ولكنها تنفق على المبدأ المادي وتقتصر على البعد الديني.

أما النظام السياسي - وبعض النظر عن الملبسات والمغالطات التي تشويهه - فيتمثل في الهيكل العلماني التالي في نموذج الديمقراطية:



إن الفكر السياسي الغربي يعكس كل ما أحرزته الحضارة المعاصرة من تقدم علمي تكنولوجي واقتصادي وثقافي جعل سلبياتها الفاحشة تستر تحت مظاهر الرفاهية والازدهار والقوة المادية والمعنوية فسلبت عقول الكثيرين من المسلمين الذين آمنوا بشعاراتها الخلابة التي تحمل أسماء الحرية والديمقراطية والعقلانية التقدمية والمسارات والرفاهية. تسربت تلك المفاهيم المغرية عن طرق عديدة منها:

- طريق التعليم المدرسي والاقتراب الثقافي الذي جعل المسلمين يكتشفون الحضارة الغربية في جميع أبعادها وإنجازاتها العلمية ويطلعون على إنتاجها الفكري والأدبي والفلسفي.

- طريق التبادل البشري ومشاهدة الواقع الحضاري المزدهر الذي تشهد عنه المعالم الهائلة في فرنسا والبلجيترا وألمانيا وأمريكا وروسيا لاسيما إذا قورنت بمظاهر التخلف والجهل والفقر والاستبداد في العالم الإسلامي.

- طريق الاكتشافات العلمية الحارقة التي فتحت آفاقا واسعة للفكر الإنساني في معرفة الكون والكائنات ونسخت كثيرا من النظريات القديمة وشككت في المسلمات العقائدية.

- طريق الانخراط النضالي المباشر في المنظمات والحركات والأحزاب السياسية والارتباطات الولائية مع النظم السياسية الغربية والشرقية.

وهكذا لا يخلو الفكر السياسي من التأثيرات الخارجية منها إيجابيات ومنها سلبيات تندفع فيه تفاعل التبادلات الحتمية بين الحضارات ويقدر الضغط الكمي والكيفي الذي يفرق بينها.

إن التحكم في هذه المعادلة غير المتساوية لا يتحقق إلا باستكمال جملتين متلازمتين:

- عملية ذاتية اجتهادية إصلاحية تسعى لترقية الفكر السياسي الإسلامي في أصوله العقيدية وآفاقه الحضارية ومناهجه التطبيقية.

- عملية تعاملية: استحسانية تميز بين ما توصل إليه الفكر السياسي الغربي من تجارب ومكتسبات وقيم إنسانية لا ينكرها الإسلام لأنها من صلبه وبتبناها بموجب الحكمة والواقعية وبين ما يجره الفكر الغربي من مغالطات علمانية وتحريفات أخلاقية. وما تتمخض عنه حضارة تؤمن بالطاغوت وتكفر بالله من فساد وآفات ومخاطر تهدد الإنسانية بالهلاك والدمار ونحسران الدنيا والآخرة.

الخلاصة:

لم يكن غرضنا من هذا المبحث أن نضع مناهج جديدة للفكر السياسي الإسلامي ولكننا قصدنا تحليل العوامل التاريخية والحضارية الذاتية والخارجية التي جعلت الفكر السياسي يتحول في مضائق التقليد أو يفتتن بمغريات الاستغراب. وإذا كان الفكر السياسي قد تعرض في العهد الأخير لمعاكسة ذاتية وتحديات خارجية ابتلته عبر العصور وابتليت بها الأمة الإسلامية في كيانها ورسالتها فإن الابتلاء بلغ أشده في العهد الاستعماري وما بعده لما يحمله من محاولات اعتدائية وانغراءات فكرية تهدف إلى طمس المعالم الحضارية واطفاء نور الله في الأرض - (والله متم نوره ولو كره الكافرون).

لكن علاج المحنة والخروج من الأزمة التي يتخبط فيها الفكر السياسي في العالم الإسلامي المعاصر لا يتحقق خارج المقاييس التي سنّها الله لعباده وهي الإيمان به والاعتصام بكتابه وسنة رسوله.

الفكر السياسي في أصوله العقيدية وتطورات الحضارية الكلمة الطيبة الحكيمة التي تسير بها الأمة في طريقها المستقيم: " والكلمة الطيبة كالشجرة الطيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء " ينبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل ما يشاء".

المراجع:

- 1- أحمد عروة، الإسلام في مقترب الطرق، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1974.
- 2- أحمد عروة، الأمة الإسلامية بين الاعتصام والانفصال، الندوة الدولية حول تأثير القومية، المعهد الإسلامي 1985.
- 3- أحمد عروة، الثابت المتغير في نظام الدولة الإسلامية، الندوة الدولية عن الدولة والسياسة في الإسلام، المعهد الإسلامي 1983.
- 4- أحمد عروة، الأخلاق والنظم الإسلامية: أسس عقيدية وآفاق، مجلة الأضالة عدد 75 و 78، 1979.
- 5- أحمد عروة، ملتقى الفكر الإسلامي، بجاية الجزائر 1985.
- 6- محمد فتحي عثمان، من أصول الفكر الإسلامي، مؤسسة الرسالة بيروت.
- 7- كريم صديقي، التوحيد والتفسيخ وسياسة الإسلام والفكر، المعهد الإسلامي: 1983.
- 8- محمد إبراهيم حفص علاونة، الفكر السياسي في القرآن الكريم، للمعهد الإسلامي 1983.
- 9- محمد أنجاني، تأثير الحضارة الأوروبية على الفكر السياسي في القرآن الكريم، المعهد الإسلامي 1983.
- 10- محمد حسين فضل الله، تأملات ونظرات في خط السياسة الإسلامية، المعهد الإسلامي 1983.
- 11- آية الله جرادى الأملى، المعهد الإسلامي 1983.
- 12- أنور الجندي، الإسلام والدعوات المهدامة، الموسوعة الإسلامية العربية، دار الكتاب اللبناني.
- 13- أبو حامد الغزالي، ميزان العمل - دار المعارف، مصر.
- 14- MALEK BENNABI, islam et democratie, cd,revolution Africaine, Alger.
- 15- Mohamrd taqi jafar, Theocracy and Democracy, Al Tawhid Vol 1 n° 1 Muharam 1404.
- 16- Wadja k, EMULA Islamic Political, THOUGHT AND INSTITUTIONS, Islamic Institute 1983.
- 17- H.A. Boisord, L'humanisme de L'islam, 1979.
- 18- RAAfat CIJambour, Juridiques de L'islam , Ed Méditerranéennes.Lausaua. 1973.



شهادت و أقوال

صور وكلمات مضيئة من الملتقى الوطني الأول حول

الدكتور أحمد عروة بالمكتبة الوطنية الجزائرية .

الحامة يوم 26 ماي 2007 م

- معالي وزير الشؤون الدينية والأوقاف: الدكتور أبو عبد الله غلام الله: (الدكتور عروة تمكن بفضل حسه الأصلي ومنبته الصحيح أن يجمع بين الطب والفكر الاسلامي وإن الدكتور أحمد عروة يتصف بالإيمان العميق والامتلاء الفكري والثقافي الذي يتمتع به المجتمع الجزائري وحاول إقناع الشباب بهذا الامتلاء).
- معالي وزير الصحة والسكان وإصلاح المستشفيات: الدكتور عمار تو: (إن أحمد عروة من الشخصيات النادرة التي تمكنت من الادمج بين علوم الطب والفكر الاسلامي وظل واحدا من أبرز المفكرين الجزائريين الذين وهبوا حياتهم خدمة للدين و الوطن وإصلاح المجتمع).
- رئيس المجلس الاسلامي الأعلى الدكتور الشيخ بوعمارن: (لقد عرفت الدكتور أحمد عروة منذ أكثر من أربعة عقود وكان رجل تقي وطبيب وشاعر وفقه وكشاف ومجاهد وحافظ للقرآن الكريم، وله اجتهادات فكرية كثيرة واجه بها المتعصبين من المستشرقين).
- مدير المكتبة الوطنية الجزائرية: الدكتور أمين الزاوي: (حيث أعرب عن أسفه للتأخر في تكريم الدكتور أحمد عروة لكون الرجل من الشخصيات الوطنية المهمة التي كتبت أسماها بأحرف من ذهب في سجل التاريخ الجزائري الحديث وخدمة الوطن بكل إخلاص وتفان وبأنه شخصية محورية تجمع بين الثقافة و العلم و الفقه مما يجعلها استثناء في الثقافة الجزائرية حيث لم يكن غريبا وهو يكتب بالفرنسية وكان أصيلا و هو يكتب ويتكلم بالعربية.

- البروفيسور ورفيقه الدكتور مسعود حناص: (لقد كان المرحوم الدكتور أحمد عروة رمزا للمناضل الوطني الذي عرف كيف يمزج التراث بالحدائثة).
- رئيس جمعية الثقافة والتراث التاريخي الأستاذ الجمعي طيبي: (إن حياة الراحل أحمد عروة مليئة بالنشاط الفكري والعلمي والأدبي، حافلة بالدروس والعبر يتجلى فيها تسامح العلماء وسمو الأدباء ومبادرتنا هذه في تنظيم الملتقى الوطني الأول حوله تأتي لإمطة اللثام عن بعض الجوانب الخفية من حياته واهتماماته الفكرية).

شهادة صديقه الدكتور مسعود جناس رفيقه لمدة أكثر من خمسين سنة

والذي كتب عنه كتاب: Docteur Ahmed AROUA mon ami

Le docteur Ahmed Aroua

un grand fils de l'Algérie contemporaine

une grande figure de l'Islam, à la fois

innovateur et fidèle

par le docteur Mohamed Djenna

Professeur honoraire

Mon Amour de près et un demi-siècle
m'a appris à apprécier que l'Algérie a perdu, avec
la mort du Dr Ahmed Aroua le 27 février 1992,
un de ses meilleurs enfants, qui porta haut et
loin l'étalon de l'Amour, de la tolérance, de
l'ouverture épistémologique, de l'humilité, de la sobriété
en un mot de valeurs civiques et humaines, en conformité
avec le Coran, le Hadith, la Science et la Raison.

Se voir durant, j'en témoignai et mettra en
leur forme des convictions religieuses, philosophiques,
politiques et une vie quotidienne, en famille, en
société, au travail. Je n'ai pas vu une seule

3
fut mon ami en colère, ni critique de façon
constructive ou simplement en haussant les ton en
contradiction. Il était complètement au
service du Humbler.

Né en mai 1926 à M'doukel, commune de
Berizka, dans la Wilaya de Batna, c'est à
l'âge du village natal et auprès de son auguste
père, si l'adab - diplômé de la Zitouna de
Tunis et imam local - qu'il apprend l'arabe et
le Coran.

La famille est installée à Relizane en ludo-
craie d'Alger en 1939, c'est là qu'il poursuit ses
études, puis à Belcourt (Beleghdad) et au lycée

Boujeand (Emir Abdelkader) jusqu'en 1945.
C'est à Belcourt (France) et à Montpellier qu'il suit
son baccalauréat et obtient sa licence de

Doctorat en médecine en décembre 1955.
Installé à Belcourt, il participe tout natu-
rellement à la lutte de libération nationale au
sein du FLN, jusqu'à son arrestation en

fév. 1957 pendant la Bataille d'Alger.

Arna passe plusieurs années dans le
camp de concentration, notamment celui
de Bassuet, où il rédigea tout de même
un grand nombre de lettres et

à l'U.G.T.A., à la demande de son directeur
général : le député André Edouard, un peu ou
en rien libéral à la manière du général de Gaulle.
Mohamed Belouizdad :

Libre en 1958, il reprit ses activités professionnelles
en tant qu'enseignant. Et c'est avec sa femme
prenant en charge le nombre de lettres et
manifestations du 11 Décembre 1960.

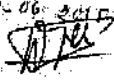
Professeur en médecine jusqu'en 1970, poète,
homme de lettres, journaliste, membre à moment
de nombreux ouvrages : poèmes, récits et
autres. Il a écrit, sous le pseudonyme de
Mohamed Belouizdad, les lettres de son livre
chez Editions, sous le pseudonyme de

L'Islam ?», « Islam et Démocratie »,
« L'Islam et la Science », « L'Islam à la crise »,
« Les étonnants », « L'Islam et la morale de nos jours »,
« L'Islam et l'Éducation » etc.

Azama a fait de nombreux conférences
à propos de la religion, de l'éthique,
notamment à Damas, à Beyrouth, et à Constantinople
avec le professeur Saïd Chidani, à l'occasion de
l'histoire de la Médecine arabe, etc.

Au lieu de me répéter, j'affirme que l'Islam
n'est pas écarté. Azama met en relief le caractère éminent
tolérant, juste de l'Islam, auquel il se conforma la
vie durant, lui, lui-même et un « Islam » dévastation qui
n'est observé chaque jour. Azama ne se
reconnaît pas s'il était encore de ce monde.

Wahid Dr Ahmad Azama Repère au présent
Dr M. D.

Alger le 22.06.2015


A decorative rectangular border with intricate floral and geometric patterns, featuring repeating motifs of leaves and flowers.

من أقواله

1- من خواطر الطبيب الدكتور أحمد عروة، رحمه الله تعالى:

"الجاهل متخذ دليلاً"

Celui qui se donne comme guide un ignorant, est semblable à celui qui s'éclaire la nuit avec une lampe éteinte. Elle l'égaré plus qu'elle ne lui fait retrouver son chemin (les pensées, éditions Dahlab, Alger, 1992).

"إن مثل من اتخذ الجاهل دليلاً كمن اتخذ من الظلمة قنديلاً، فإنه يضلّه أبداً ولا يهديه سبيلاً"

2- من خواطر الدكتور الطبيب أحمد عروة، رحمه الله تعالى "الإنسان والأحزان"

Parmi les animaux, l'homme seul connaît la tristesse. Parce qu'il pense à ce qu'il a perdu qu'à ce qu'il a gagné.

- الاقتراح (1): "الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي يعرف الحزن لأنه يفكر فيما فقد أكثر مما يفكر فيما وجد".

- الاقتراح (2): "بين الحيوان، الإنسان هو الوحيد الذي يعرف الأحزان لأنه يفكر فيما فقد أكثر مما يفكر فيما وجد". (ترجمة حسين ليشوري).

3- la haine est comme une grande offensive dans la main C'est une arme efficace, mais toujours dangereuse à manier (les pensées, Dr Ahmed AROUA, p17, Edition Dahlab, 1992)

"مثل الحقد كمثل قنبلة هجومية في اليد، هي سلاح فعال لكنها خطيرة الاستعمال"
ترجمة حسين ليشوري (1999/04/21).

4- من خواطر الطبيب الأديب أحمد عروة، رحمه الله تعالى "شتيمان متضادتان"

Il n'est pire insulte pour un cheval que d'être traité d'âne ; Mais il n'est pire insulte pour un âne que de ne pas être traité de cheval.

"ليس بحصان شتيمة أقذع من وصفه بالحصان، ولكن ليس للحصان أقذع شتيمة من وصفه بأنه ليس حصاناً".

(وهذه الخاطرة هي التي بنيت عليها قصتي:

" غباء الحمار!" وهي القصة الأولى التي بدأت بها مشاركتي هنا في المنتدى وكان ذلك يوم 06 ديسمبر 2008، وثبتت لفترة وقد جاءت التضمين هكذا: " لا سبة أقذع للحصان من وصفه بالحمار، ولا أوجع شتيمة للحمار من وصفه بأنه ليس حصانا".

قصيدة: فلسطين

١/ أحمد عروة

فلسطين مهد العز أم قبر عزنا
فلسطين أرض للبطولة معقل
فلسطين صرح للحضارة منبر
فلسطين في أرض الرسالات مسجد
فيا أسفا أماننا ذهب سدى
ويا عابثا أسلاكنا من صنعنا
وفحشى عدوا كان بالأمس لاجئا
نرى في سوانا من يدبر أمرنا
ونستجد الأعداء ضد شعوبنا
وما غرنا إلا دجيل وطامع
وما ضرنا إلا سراب مخادع
فمنا فقير في السؤال معاشه
ومنا جهول في الضلالات خابط
ومنا أمير لا يراعي رعيه
إذا خان عهد الأرض من رزقه بما
وإن قطعت منه الجذور وأعدمت
ولسنا غاب للموت والصدمة الكبرى
إلى كل حزب نتمى فتعددت
انستورد النور الضئيل سخافة

تباعد عنها أم تداق لها العتق؟
وشعب أمين في الأصالة صادق
فصيح لسان بالهداية ينطق
مناراته في قبة القدس تشرق
نراود أشباحا تلوح وتنفق
تطوق أبطال الحما وتمزق
لدنا فصرنا لا جئين نطوق
فيستنزف الأموال منا ويسرق
ونطرق باب الخصم والباب مغلق
وما ساءنا إلا سلب منافق
يغازلنا فيه الخيال المزوق
ومنا غنى في الرفاهة مهسرق
ومنا أديب في الخيالات غاسق
ومنا عميل لا يراوده رفق
فلا طاب فيها من مناكبها رزق
فكيف يعيش الغصن أو كيف يورق
ولكننا في أمرنا ننفـرق
بأحزابنا أربابنا والفوارق
وأنوارنا من شمسنا تندفق

ونكن منا صامدون قلوبهم
و منا جنود مؤمنون بواسل
وإن ندنا في الحضارة غرة
ومنا تسامت في النفوس فضائل
ومنها أضاءت في العلوم كواكب
س الخي والأرياف والحقل والكدي
س الشارح العضبان والطفل والحصا
ومنا المجد إلا ما يصون رسالة
فلسطين عهد بين أيدي شباها
تنادي بينها فاستجاب حماها

تفيض وفاء للجهود وتصديق
دعوا للوغي فاستبشروا وتسايقوا
تزود من أنوارها الغرب والشرق
وفي أرضنا يستظهر الحق والصدق
سوايح طريق النصر من أين تطرق
فما الأرض إلا بالأمانة تنطق
وزغرودة الثكلي وأعلام تحفـق
لها المجد أضحي خادما يتعشق
تدانت لها الأرواح فاقترب العتق
ومن يحمي بالحق ينصره الحق

هذا البيت من قصيدة
مؤلفة من قبل الشاعر
السوري الكبير

هذا البيت من قصيدة
مؤلفة من قبل الشاعر
السوري الكبير

هذا البيت من قصيدة
مؤلفة من قبل الشاعر
السوري الكبير

هذا البيت من قصيدة
مؤلفة من قبل الشاعر
السوري الكبير

قصيدة: محمد بلوزداد

د. أحمد عروة

قصيدة أُلقيت في مركز شباب جبهة التحرير الوطني بحي بلكور بمناسبة اتخاذ الفرع اسم المناضل الفقيه " محمد بلوزداد " .

لا زال ذكرك بيننا يتجدد
لا زالت بين صفوفنا في الثورة
قد كنت فينا باعنا ومفكرا
وهنا شباب واثق بتضالهم
واختار "بلوزداد" رمزا حالدا
قد كنت تؤمن والزمان معاكس
ولدى الجموع تدهور ولدى الشباب
قد كنت تحلم مثلنا بالفجر يعقب
ذهب الفناء بجسمك البالي وعادت
لكن ذكرك مرتين مخلدا
ناداك ربك فارتفعت مطهرا
وتركت فيه رسالة التحرير تلهب
قد كنت فينا والسحاب مخضب
قد كنت حيا بعد موتك في اندلاع
لما تواترت الملاحم وارتوت
خنتقوا البلاد ليظفوا أنوارهم

لا زال صوتك بالمخافل يرشد
الكبرى تقاسم مجدها وتجاهد
واليوم أنت ملازم ومعاقد
يشنه عن نخوضها متمرد
وحياته المثلى طريقا تقصد
ولدى العدو صلابة وتهدد
تباعد ولدى العقول تسرد
ليلة الظلم الطويل فتحمد
للتراب فريسة لا تحلصد
ومعزز بنفوسنا لا يكسد
وتركت نورا هاديا لا يخمد
في النفوس وحثتها الأنجد
والنار تلعب في الهشيم وترعد
الثورة الكبرى تقود وتشهد
أرض الجزائر من دم لا يجحد
فيذا اللهب زوابع تتصعد

ضعفوا على الشعب الأبي وهددوا
ملاؤا السجون وطوقوا أهل القرى
قتلوا النفوس الأبرياء ودمسروا
واليوم نور الحق يغمر أرضنا
واليوم نبي والبنا متعسروا
اليوم نبي دولة ترنو لها الدنيا
حرت عروش اللطغات وزحزحت
هذي الجزائر في غبار النصر تبسم
وهنا جنود هم أسود في الوغى
وإذا دعوتهم للنضال بسواد
قد علمتنا الحرب صنع المعجزات
وإذا الإرادة أثبتت أقدامها

فإذا الشباب كتائب تتجند
فإذا الجبال كمان تترصده
فإذا من الموت الحياة تجدد
والنصر شق مسالكنا تتعدد
لكن سواعد جهدنا لا تجمد
ويرفعها الصعيد الأمجد
عن أرضنا غمم تحيش فتطرد
للحياة وترتقي وتشيد
ولدى السلامة لا تشل لهم يد
فسلاحهم متجرد لا يفمد
ومعجزات السلم لا تنفرد
فالسير سهل والطريق ممهد

من إنتقاء السيد فيصل منيجل

منشور ثقافي بالجامعة

Islam et démocratie : Dr Ahmed Aroua

Chapitre 1 : l'islam et les institutions politique, P 22,23

« le pacte primordial On dira sans doute que l'histoire du monde musulman n'a que rarement illustré cet idéal de démocratie .Il est vrai qu'à côté des saints et des grands homme d'Etat qui ont marqué l'histoire du monde musulman celui-ci a connu aussi des péripéties regrettables régimes despotique. Dictatures oppressives, oligarchies et féodalités plus soucieuses de luxe que de justice. Le monde musulman livre à nos yeux le spectacle désolant d'un sous-développement qui couvre non seulement les domaines de l'économie et de la technologie, mais aussi celui de la conscience des croyants à l'égard de leur propre destin et de l'Umma islamique ».

Chapitre 2 : le system de Shura ou démocratie islamique : P 35

« La démocratie dans sa signification littéral, signifie en gros, la souveraineté du peuple, c'est à dire que le peuple directement ou indirectement, conçoit, Crée et gère ses institutions tant étatiques que sociales. L'histoire. Depuis la Grèce antique jusqu'aux démocraties moderne nous montre l'extrême diversité à la fois du concept et de la pratique de la démocratie admirable dans ses principes. La démocratie n'a été. Pourtant le plus souvent, Qu'un consensus établissent et défendant le privilège ou d'une peuple d'une catégoric de populations la démocratie. Esclavagiste de la Grèce et de Rome .la démocratie colonialiste de l'Europe la démocratie totalitaire du communisme.la démocratie sectaire de l'Afrique du sud ou d'Israël ne sont pour les peuple qui le en ont été victimes ou qui sont encore .qu'une parodie à double face qui nourrit l'égoïsme des uns en asservissant ou en exploitant les autres.»

Editions la maison des livres – Alger

Islam et contraception : Dr Ahmed Aroua

Chapitre 1 : la reproduction chez l'homme : P 13

« Il est difficile de prendre un point de repère dans le cycle ininterrompu de la vie .Nous prendrons donc arbitrairement l'enfant au moment de sa naissance. L'enfant naît avec un sexe différencié qui nous fait dire que c'est un garçon ou une fille. Mais ce n'est qu'à la puberté que les organes génitaux se développent et commencent à fonctionner. Les ovaires produisent des ovules et les testicules des spermatozoïdes. En même temps, d'autres caractères sexuels secondaires apparaissent pour distinguer l'homme et la femme : développement des seins, distribution des poils sur le corps (pubis, barbe), modification de la voix, comportement affectif...

L'étude de la reproduction chez l'homme nous fait revenir à la fois à la division cellulaires de type amibien et à la spécialisation des gamètes de type végétal, comme nous allons le voir dans le fonctionnement des appareils génitaux».

Chapitre 2 : islam et contraception : p 44

« parmi les innombrables méthodes de contraception, nous citerons les plus utilisées 1- le moins naturel des moyens naturels serait l'abstinence, c'est-à-dire le refus d'une fonction biologique. Certains hommes dans des religions et des philosophies diverses ont refusé de prendre femme pour se consacrer aux choses de la foi et de la vie spirituelle (moines bouddhistes, hommes d'Eglise Chrétiens...) Les sœurs Chrétiennes ont également renoncé à la vie sexuelle et conjugale pour se consacrer à Dieu et aux œuvres de charité.

L'islam, par l'exemple et les recommandations du Prophète, rejette cette attitude parce qu'elle est contraire à l'ordre de Dieu sans la nature. Sauf, bien sûr, lorsque des contraintes personnelles ou sociales justifient ou imposent l'abstinence ou le célibat.

2-l'abstinence périodique en fonction du calendrier de fécondité de la femme, suppose une connaissance précise du cycle de l'ovulation. Ogino en a dressé les premières tables cette méthode est basée sur le rythme de la ponte ovulaire. Celle -ci survient aux environs du 14ème jour des règles. Sachant que l'ovule reste vivant et fécondable pendant environ 2 jours et que le spermatozoïde, lui aussi, perd son pouvoir de fécondation au bout de trois jours, on en conclut que le risque de grossesse se situe en gros, entre le 3ème jour après.

Seulement, les rendez-vous de la nature ne sont pas toujours rigoureux. Les avances et les retards sont fréquents. On essaie d'y pallier en décelant le moment de la ponte ovulaire par la petite élévation de température qu'elle provoque. Mais cela non plus n'est pas très précis.

3-L'allaitement maternel, lié à des fonctions complexes des systèmes hormonal, contraire généralement et surtout dans les premiers mois, l'éventualité d'une grossesse. Méthode qui n'est pas totalement garantie et qu'il faut compléter par d'autres précautions. Celles-ci sont d'autant plus légitimes qu'une nouvelle grossesse est inopportune et peut être nuisible autant pour la mère que pour l'enfant qu'elle peut porter. Rapportons à ce propos ce Hadith du Prophète : « Ne tuez pas vos enfants inconsciemment par la pratique du « ghail » (allaitement au sein chez une femme enceinte), car il affecte l'enfant jusqu'à ce que, devenu cavalier, il le fera culbuter de son cheval ».

4-le retrait volontaire (coïts interruptus ou azl) est une méthode ancienne qui consiste à se retirer avant l'expulsion du liquide séminal.

5-l'injection par poire vaginale d'eau ou moins additionnée d'antiseptique peut avoir des avantages .méthode courante et classique qui connaît aussi des échecs.

6- Les moyens mécaniques.

7- L'utilisation des pilules macro ou micro-dosées est le deuxième grand moyens utilisé actuellement dans le monde. » P 46.

Chapitre3: la conscience du croyant devant le problème de l'avortement p 60

Que nous enseigner le Coran ? « Nous retrouvons dans le Coran un certain nombre de principes fondamentaux qui se ramènent globalement à l'acte créateur de dieu et à la finalité existentielle de l'homme».

L'office des publications universitaires –ben Aknoun Alger.

L'islam et la morale des sexes

Chapitre 1 : Les reproductions des êtres vivants p 18.

«Tous les êtres vivants qu'ils soient formés d'une seule cellule comme une bactérie ou une amibe, ou de plusieurs milliards de cellules comme les animaux supérieurs, se reproduisent et se multiplient. Cette reproduction peut se faire par une division végétative dans laquelle la fécondation sexuelle n'est pas évidente comme c'est le cas d'une cellule isolée, d'une amibe, d'un infusoire ou d'une plante qui se reproduit par bouture. La reproduction peut mettre en œuvre des cellules sexuellement différenciées en gamètes mâle et femelle, qui doivent se rencontrer et se féconder pour donner un être semblable à l'organisme dont elles sont issues. Prenons quelques exemples, en commençant par le plus petit mais non le moins complexe des êtres vivants : le virus, situé par ses caractères et ses dimensions physiques à la frontière de la vie, entre la chimie et la biologie, il n'en possède pas moins un potentiel de multiplication et d'action qui déconcerte la science la plus avancée de l'homme».

Chapitre 2 : P 42: la morale des sexes avant l'islam :

«la femme dans le christianisme enraciné dans ces sources bibliques et judaïques est né dans ce Moyen-Orient où se rencontrent et fusionnent les peuples et les cultures, les traditions et les croyances un souffle d'amour, de charité, d'universalisme a sans doute marqué la mission de Jésus, mais l'influence réelle du Christianisme sur l'évolution du statut social de la femme s'est trouvé d'abord fortement compromis par les textes bibliques se rapportant à la création et par l'interprétation que les pères de l'église ont donné à ces textes comme nous allons le voir ».

Les enfants abandonnés P 210.

«Les enfants d'amour sont généralement des enfants sans amour ! Parce qu'ils leur manque la double dimension du droit et du cœur. Produit indésiré d'une union libre ou d'une rencontre fortuite, ils sont coupés des liens affectifs et légaux au moins avec l'un des parents, généralement le père. Lorsque la mère aussi se désiste, l'enfant est dit « abandonné ». Page 211.

Chapitre 5 : homme et femme devant dieu – P 225

«Quand ils goûtèrent a l'arbre, ils découvrirent leur nudité et se mirent à la cacher avec les feuilles du Jardin ».Coran22/7 Surate Al Aaraf. Lorsque le couple primordial enfreignit le commandement de Dieu, il s'est retrouvé tout nu. Et il l'est resté tout au long de son histoire.la nudité symbolise l'entité inséparable du corps et de l'esprit. Elle est liée à un acte de rupture du contrat d'investiture qui donne à l'homme la dimension transcendante de l'esprit et de la responsabilité. Chaque fois que l'homme se dépouille du manteau de la foi, il retrouve sa condition d'animal dans laquelle n'existe ni le sens de la raison ni le sens de la pudeur. C'était valable pour le premier homme, c'est valable pour l'homme contemporain, Prétentieux et pressé de jouir du paradis terrestre, l'homme moderne, à l'instar de son prototype original, et des s'est retrouvé nu dans son corps et dans son âme ».

Entreprise national de livre -Livre : l'islam et la science

Chapitre1 : la science et la foi dans le cadre de l'idéologie islamique : p 17

L'unité fondamentale dans la philosophie de l'islam entre la matière créée et l'esprit vivant qui l'anime, conduit à l'unité de la foi révélée et de la science acquise, comme dans la pratique elle conduit à l'unité de la raison et du comportement moral. La science et la raison se situent à l'intérieur d'une doctrine de l'universel. Toute contradiction apparente la science et la foi, vient des défaillances de la raison dans son effort d'appréhension de l'Univers et aussi de la confusion de deux modes de connaissance fondamentalement différents entre lesquels il n'y a ni fusion ni opposition, mais complémentarité.

Vues sous un angle critique restreint, il s'agit de deux disciplines indépendantes, au moins dans leurs méthodes.

S'il est arrivé souvent à la science de démentir des hypothèses philosophiques ou des interprétations théologiques, il lui arrivé de la même façon d'infirmer ses propres acquis, au fur et à mesure que les moyens d'information et d'appréciation dont elle disposait, se transformaient et se développaient. Cela ne saurait mettre en cause la valeur de la science dans ses méthodes ni dans ses résultats. Mais c'est pour dire que la science n'est pas nécessairement le juge irrécusable dans l'explication des phénomènes subtils de la

conscience et encore moins dans le domaine de la révélation religieuse à caractère surnaturel et transcendant.

Mais vues sous un angle plus général, science et religion se réunissent dans la conscience de l'homme, pour lui donner une dimension nouvelle, d'ordre spirituel. Ainsi, toute découverte scientifique réelle s'intègre au champ de vision de la foi auquel elle donne des perspectives enrichissantes.

La conscience religieuse de l'homme a besoin pour s'épanouir du double éclairage de la lumière révélée par Dieu et de la lumière émanant de la raison, ces deux sources n'étant d'ailleurs pas indépendantes, puisque la raison elle-même est une création de Dieu, Mais la raison seul est incapable d'appréhender le mystère de l'origine et du destin. Tout au plus, elle peut pressentir par d'éducation multiples, l'ordre et la logique de la création, et c'est ainsi qu'à son stade suprême, elle rejoint la vérité révélée. Cette rencontre finale entre la déduction de l'esprit et la révélation, est magnifiquement exprimé par ce versé coranique : «nous leurs montrerons nos signes dans l'univers et en eux-mêmes au point que la vérité (de Dieu) leurs devienne évidente» coran 41/53.

Mais nous ne saurions aller plus loin dans l'affirmation de cette unité, sans faire un parallèle entre la conception religieuse du monde et l'idéologie matérialistes qui s'y oppose, car il nous faut dissiper des malentendus aussi tenaces qu'inacceptable.

Page de couvert la fin. L'entreprise nationale des arts graphiques atelier Ahmed ZabanaAlger1984.

1-Panoramas : poèmes Dr Ahmed Aroua

Le paysan : p 14

« Fends de la terre
La terre qui fume
La terre qui pleure
La terre qui saigne
La terre qui baigne
Dans le soleil
Soc puissant
Couleur de sang
Soc d'airain
Fends la terre
Sillons la terre

De douleur
Et de vie
C'est l'amour
De la terre qui se donne
Au plus fort
Paysan, lève tes yeux
Elle est à toi la terre
Sème ta peine
Et ta sueur
Et ton sang
Car ton sang
Vient de la terre ».

L'orage : p 28 --p30

« Venant du nord
Un rideau épais et noir
S'avance lourdement
D'immenses fouets de flamme
S'agitent dans la nuit
Auxquels répond
Le mugissement lugubre
De monstres déchaînés
Sinistre châtement
Déferiant sur la terre ?
Cauchemar de fin du monde ?
Furie de la nature contre elle-même ?
Les sabres flamboyants
Déchirent les flancs du ciel
Et par les trous profonds
De sa cuirasse grise
Echancrée de toutes parts
Se déversent des torrents de vapeur
Et de boue
Mais la terre
Enlacée par les griffes du ciel
Qui labourent son corps
Dans une virile étreinte
En assauts répètes
Qui écument et qui tonnent
Ressent une étrange volupté

Dans cet dans cet amour sauvage
Ses flancs frémissants
S'ouvrent
Au souffle de la vie
Qui s'engloutit en elle
Elle sent battre son cœur
Et ruisseler son sang
Et dans ses entrailles
Les semences de vie
Frissonnent
Comme une fièvre »

2-Fleurs des champs : Poèmes Dr Ahmed Aroua

Sans toi ? ...p 14.

« Ce que je serais devenu sans toi ?
J'aurais sans doute continué mon chemin
Tout droit
Jusqu'au bout
Et je t'aurais rencontrée
Au même endroit
Et au même moment
Et j'aurais lu dans tes yeux
Le même mystère
De la vie
Et de l'amour ».

3-Au-delà des barrières : poèmes Dr Ahmed Aroua

Conditions humaine : p 15-p16

« L'homme
Observe l'univers
Et l'interroge
Il regarde les nuages gris et lourds
Qui couvrent le ciel
Il contemple inquiet
Le vent qui se lève
Et quand le soleil surgit
Il ferme ses yeux éblouis
Devant les lumières
Qu'il ne peut voir

Ses pieds harcelés
Continuent à fouler le sol
Mais dans sa course folle
Il a heurté l'homme»

Art et religion : p 27 –p28

« Tu doutes de toi
Et de ton existence
De ta puissance et de tes lois
De tes douleurs et de tes joies
Comment ne douterais-tu pas de de dieu
Que tu ne connais pas ?!
Mais ta pensée immense et vide
Cherche à se remplir
Avec n'importe quoi
Pour échapper au gouffre
Ou se débat ton âme
Tu as créé des mythes
Qui sont devenus des lois
Mais tu n'as pu subir
Ni les lois de l'homme
Ni les lois de la terre
Ni la matière mouvante
Qui n'est jamais la même
Ni les cieus qui te menacent de perdition
Tu t'es révolté
Dans ta grande ferveur»

4-Les temps modernes : Poèmes Dr Ahmed Aroua

L'enfer des hommes : p 49 –p50

« Dis-moi, citoyen de la terre
Tes yeux hagards se tendent
Vers je ne sais quel enfer
Sur cet écran écarlate
Ou éclatent des atomes de feu ?
Je vois des montagnes
Qui s'écroulent
Et qui s'écoulent

Et qui s'effritent
Comme des ballots de laine
Dissous par la tempête
Je vois des océans
Agites d'étranges convulsions
Ou les vagues déchainées
Déchainent d'autres vagues
Et les flots »

1917, 1918, 1919, 1920, 1921

Dimanche : p 15-p16

« Le cheval hennit
La vache beugle
L'âne braie
L'homme jure
Le cochon grogne
Le chat miaule
Le chien aboie
Et sa gueule qui bave
Poursuit l'ombre qui passe
Et la déchire en lambeaux gris
La poule caquette
Et cherche dans le fumier
Le grain d'avoine mal digéré
Qu'elle vient de pondre
La mouche
Ivre des ferments de l'étable
S'attable
Au bord d'une mare de lait sale
Et porte ses pattes velues
Vers des moustaches fières comme celles d'un paysan».

كلمة تأبينية في جنازة المرحوم الدكتور أحمد عروة

(الرئيس السابق لجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية)

لقاها الدكتور غازي عناية (أردني) وهو أستاذ التفسير وعلوم القرآن

بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

"أحمدك ربي حمدا طيبا كثيرا مباركا فيه.

أحمدك ربي في السراء والضراء، لا يحمد على مكروه سواه.

أحمدك ربي في الحياة والممات.

أحمدك ربي ونحن نؤين فقيدنا الدكتور أحمد عروة، وتحت ظلال قولك:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ الْجُؤَرَ كَظَمٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْرِمَ

عَنِ النَّارِ وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾

(آل عمران: 185)

أشهد لربي بكلمة التوحيد لا شريك له، هو الأول بلا بداية، وهو الآخر

بلا نهاية، وهو الأول ليس فوقه أحد، وهو الباطن ليس دونه أحد.

نؤين رئيسنا أحمد عروة، حبيبنا الذي فرقنا بدون استئذان، مضت روحه إلى

بارئها طالبة إرضاء ربها وهذا ما نرجوه لفقيدنا.

رضائك يا ربي خير من الدنيا وما فيها يا مالك النفس قاصيها ودانيها

فليس للروح آمال تحققها سوى رضاك فذا أقصى أمانها

يا ربنا، إننا رضينا بقضائك، ولا راد لقضائك.

إن فقيدنا هو عبدك مؤمن بك وموحدك.

حبيبنا دكتور أحمد عروة، إننا نؤينك الآن، وأنت عند ربك في قبرك.

إن سألتك الملائكة عن ربك فقل ربّي الله.

وإن سألتك عن دينك فقل ديني الإسلام.

وإن سألتك عن نبيك فقل نبي محمد بن عبد الله.

وإن سألتك عنا فقل لهم إنا على الدرب سائرون.

إن فقيدنا أحمد عروة الذي توثقه جمع بين علوم الدين والدنيا معا.

وشارك في مسيرة الجهاد، وكان ثائرا مع الذين حرروا الجزائر من نير الاستعمار.

لقد ازدياده في ولاية باتنة، ورأى النور في إحدى قرأها والتحق بالمدرسة الثانوية في

الجزائر العاصمة وأكمل دراساته العليا في فرنسا.

لقد أنف عدة كتب في شتى العلوم الأدبية، والطبية، والإسلامية. ولقد كان حقا خير

خلف الخير سلف، كان التواضع شيمته، والتفاني في أعماله من أفض شئامه، وحسن

معاملاته من أحسن خصاله.

كان جهم الأخلاق، متعاوناً، مرحاً ترك فراغاً بيننا بموته.

اللهم ارحم فقيدنا أحمد عروة، وكفر عنه سيئاته.

اللهم احشره في الجنة مع الأبرار.

اللهم اسكنه فسيح جناتك وضاعف له نعمك.

اللهم اغفر لفقيدنا، واغفر لموتانا، واغفر لنا وهم السابقون ونحن اللاحقون".



ملحق الصور



التلميذ عروة بالقلبعة في العام الدراسي 1942-1943
الخامس بالصف الأعلى من اليسار إلى اليمين



الدكتور / أحمد عروة في ريعان شبابه



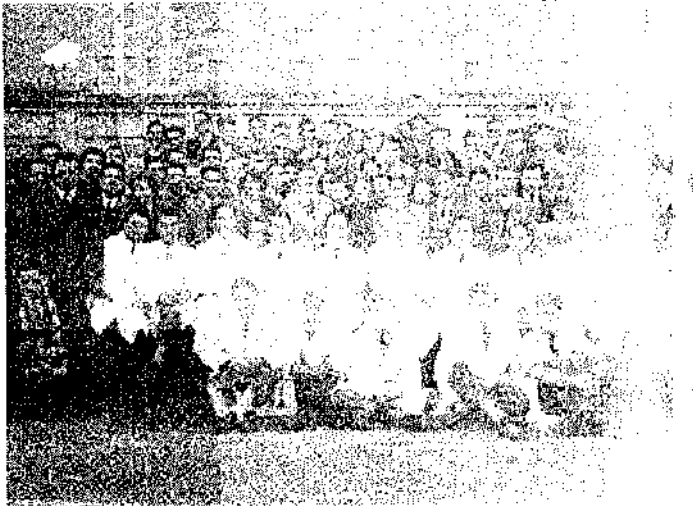
الدكتور أحمد عروة والدكتور مسعود جناس والدكتور العربي



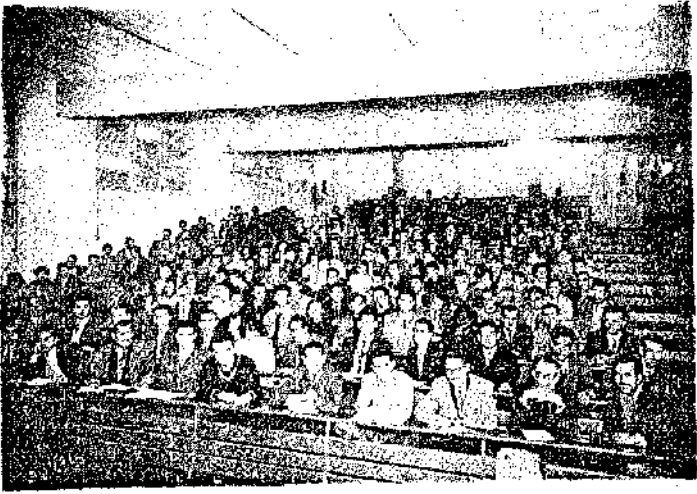
الدكتور / أحمد عروة سنة 1959



الدكتور / أحمد عروة في مخبر هيستول سنة 1950-1951



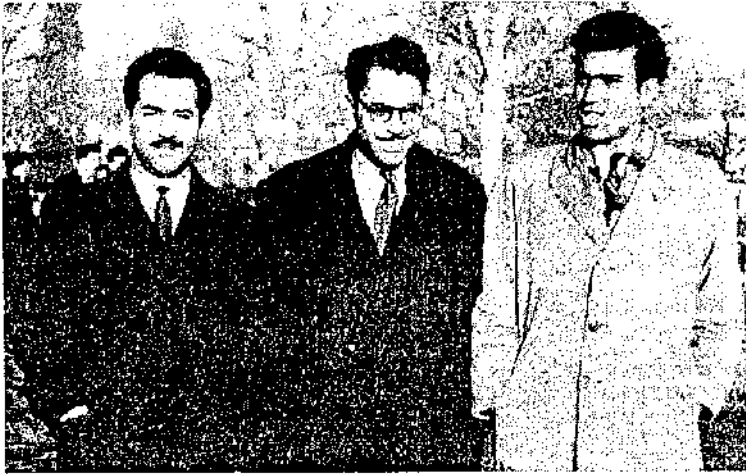
كلية الطب بمونبولي



الدكتور / احمد عروة في مدرج الجامعة بمونبولي سنة 1950-1951



الدكتور / أحمد عروة بمونبولي في سنوات الخمسينات



الدكتور / أحمد عروة بمونبولي مع صديقه د. مسعود جناح سنة 1953



مناقشته لرسالة الدكتوراه في الطب بمونبولي ديسمبر 1955



في مومباي مع أخيه قادة علي 1969



الدكتور / أحمد عروة في مؤتمر الأدباء العرب ببغداد 1969م



في ميلانو (ألقى محاضرة في ملتقى دولي بعنوان : الطب العربي والإسلامي



الدكتور / أحمد عروة



الدكتور أحمد عروة مع الدكتور بن عدودة بعثان



الدكتور أحمد عروة مع الدكتور مراد



الدكتور أحمد عروة والدكتور بوجلاب في INSP سنة 1975



الدكتور أحمد عروة في محاضرة CCI سنة 1978



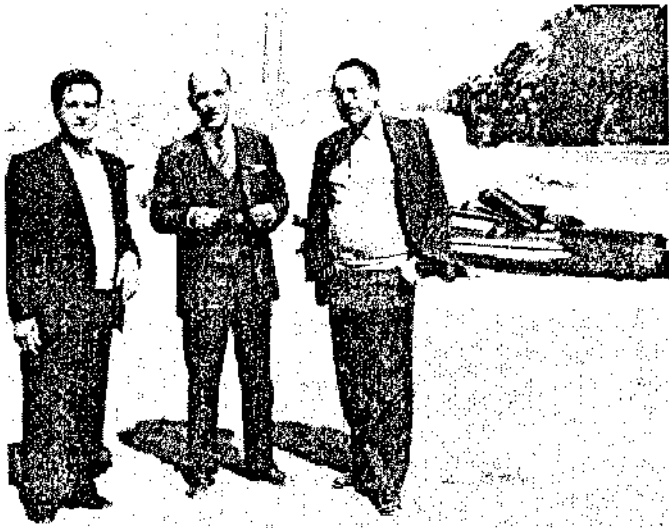
الدكتور أحمد عروة في الأوراسي نوفمبر 1983



الدكتور أحمد عروة يفرس شجيرة في نوفمبر 1986



الدكتور أحمد عروة بإسلام آباد سنة 1987



الدكتور أحمد عروة مع السيد عبد الحميد والسيد كيوان



الدكتور أحمد عروة في جريدة (تونس) مع البروفيسور المعيد شيان والبروفيسور حجازي



الدكتور / أحمد عروة وهو يستقبل ضيوفه



الدكتور أحمد عروة مع السيد محمد الميلي وزير التربية الوطنية آنذاك بمدخل جامعة الامير عبد القادر
للعلوم الاسلامية سنة 1990



الدكتور / أحمد عروة

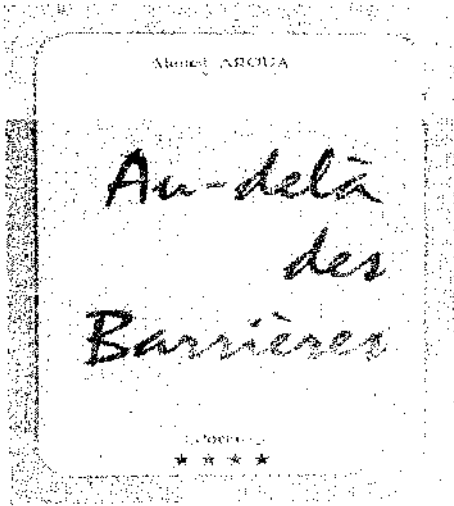
الأسبوع الثاني - 2011

دكتور أحمد عروة مع صديقه الدكتور مسعود جتاس

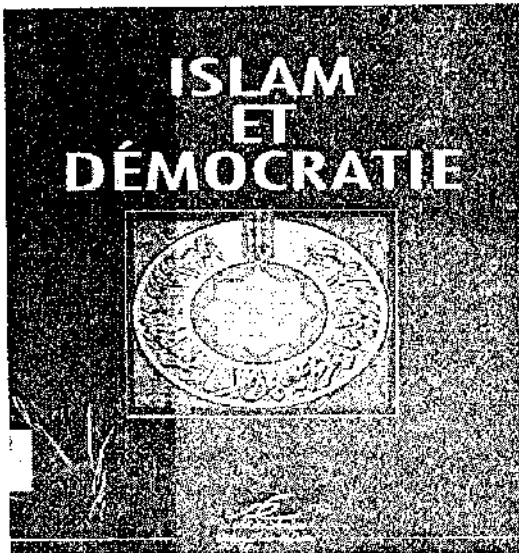


أحمد عروة مع صديقه الدكتور مسعود جتاس

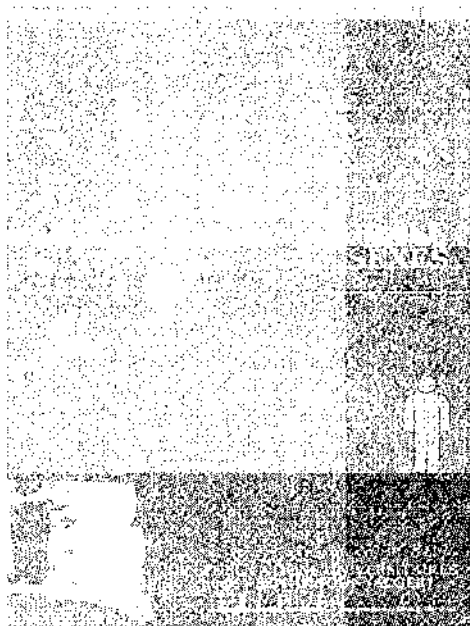
صور لمؤلفاته



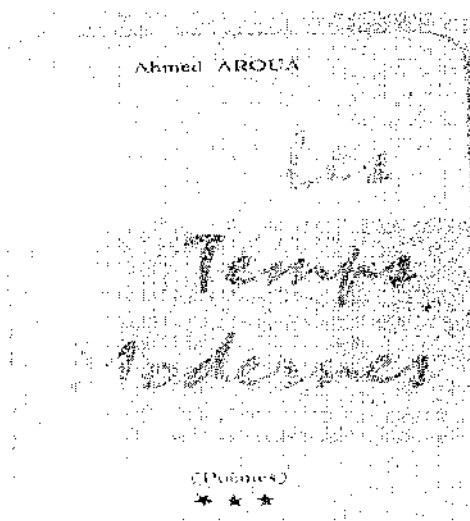
كتاب أحمد عروة "Au-Delà DES Barrières-Poèmes"



كتاب أحمد عروة "ISLAM ET Démocratie"



كتاب أحمد عروة " L'ISLAM ET LA MORALE DES SEXES "



كتاب أحمد عروة - Les Temps modernes - poèmes

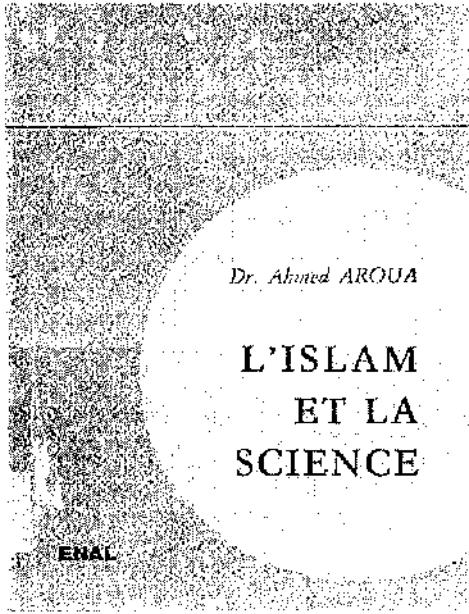
Ahmed AROUA

Amor

(Poèmes)

★ ★

كتاب أحمد عروة - Panoramas-poèmes



كتاب أحمد عروة "L'ISLAM ET LA SCIENCE"

Dr AHMED AROUA

ISLAM
ET
CONTRACEPTION



DES PUBLICATIONS UNIVERSITAIRES

كتاب أحمد عروة " ISLAM ET CONTRACEPTION "

AHMED AROUA

*Fleurs
des
Champs*

(Poèmes.)

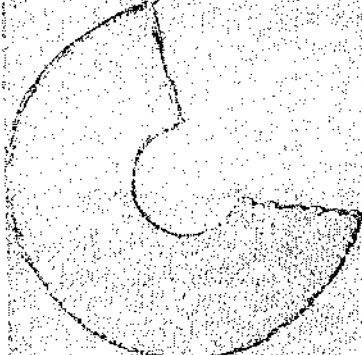


كتاب أحمد عمرو - Fleur des Champs - poèmes

أحمد عمرو

ذكري وبشري

من ديوان السيرة الجارية



مكتبة الشكر - الجزائر

الاعجاز العلمي في القرآن والسنة

القرآن والسنة

التي لا تزول

مكتبة الشكر - الجزائر
TEL: 021 4000000 FAX: 021 4000000

صور لوثائق المرحوم د. أحمد عروة

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

نسخة من سجل أعضاء جيش التحرير الوطني
والمنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني

رقم المحفوظات

مديرية ولاية

رقم البطاقة

المرحوم: هادي بومحمد 131-03 هادي بومحمد 16 مارس 1993

الجنسية والمهنة: المنظمة الوطنية للتحرير والوحدة الوطنية

مكان ميلاد: إلى :

تاريخ ميلاد: إلى :

تاريخ ميلاد: إلى :

تاريخ ميلاد: إلى :

تاريخ ميلاد: إلى :

تاريخ ميلاد: إلى :

تاريخ ميلاد: إلى :

تاريخ ميلاد: إلى :

تاريخ ميلاد: إلى :

تاريخ ميلاد: إلى :

تاريخ ميلاد: إلى :

الإسم : الصغير

لقبها : و

تاريخ ومكان الميلاد :

أين :

تاريخ ميلاد :

من :

في طرف اللجنة :

أول الأرشيف :

تاريخ :

تاريخ :

تاريخ :

تاريخ :

تاريخ :

تاريخ :

LE MINISTRE

الوزير

LE C I S I O H
167

LE MINISTRE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR,

- VU - la loi n°78.12 du 05 Août 1978 relative au statut général du travailleur, ensemble les textes législatifs et réglementaires pris pour son application ;
- VU - le Décret n°84.182 du 04 Août 1984 portant création de l'Université des Sciences Islamiques (Emir Abdelkader) de Constantine ;
- VU - le Décret exécutif n°89.82 du 06 juin 1984 fixant les attributions du Ministre de l'Enseignement Supérieur ;

LE C I D E

- ARTICLE 1/ Monsieur AHOUA Ahmed est nommé Recteur, par intérim de l'Université des Sciences Islamiques (Emir Abdelkader) de Constantine.
- ARTICLE 2/ Le Secrétaire Général du Ministère de l'Enseignement Supérieur est chargé de l'exécution de la présente décision.

Fait à Alger, le 09 SEPT 1989



وزير التعليم العالي
عبد الحميد ابراهيم كان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي

جامعة الأمير عبد القادر

للعلوم الإسلامية

• فلسطين •

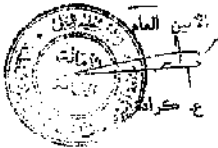
محض مسر تميم

بمنا ١٠ على قرار وزارة التعليم العالي رقم 167 المؤرخ في
09/09/1989 المتضمن تعيين السيد / مروة أحمد كرهين جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية بقسنطينة ،

بمنا ١١ على حفل التتصيب الذي تم تحت اشراف السيد / مقتسب
العام لوزارة التعليم العالي ،

بشهاد الأمين العام لجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بأن السيد /
أحمد مروة نصيب فعلا في مهامه كرئيس جامعة الأمير عبد القادر للعلوم
الإسلامية بقسنطينة يوم 01 أكتوبر 1989 .

حرر بقسنطينة في 01 أكتوبر 1989 .



رئيس الجامعة

د / أ. مروة .

الفهرس

- 005 كلمة مدير الجامعة
أ.د. عبد الله بوخلخال
- 007 كلمة نائب مدير الجامعة
أ. عزيز حداد

حياته وشخصيته

- 011 ترجمة حياة الدكتور أحمد عروة 1926-1992
أ. علي عروة - شقيق الدكتور أحمد عروة -
- 018 أحمد عروة العالم المفكر الوطني المتواضع
أ.د. إسماعيل سامعي - جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية-

جهوده الفكرية

- 025 منهج القرآن الاستدلالية في نظر الدكتور أحمد عروة.
أ. سعاد دوقاني - جامعة الأمير عبد القادر عبد القادر للعلوم الإسلامية
- 042 التكامل بين العلم والدين في فكر الدكتور أحمد عروة من خلال كتابه العلم والدين
د. الزهرة لحلمح - جامعة الأمير عبد القادر عبد القادر للعلوم الإسلامية
- 062 شروط إحياء الإسلام عند الدكتور أحمد عروة من خلال كتابه "الإسلام في مفترق الطرق"
أ. لخضر بوطبة - جامعة سطيف 2
- 090 الدكتور أحمد عروة وملتحقيات الفكر الإسلامي بالجزائر
أ.د. بلقاسم شتوان - جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
- 095 الإعجاز القرآني عند الدكتور أحمد عروة في ضوء المعارف العلمية الحديثة
د. السعيد رحمانى - جامعة الجزائر

جموده في المجال الاجتماعي والسياسي

- 128 قضايا اجتماعية في تحليل الدكتور أحمد عروة
 د- بشير فايد - جامعة سطيف 2
- 146 الدكتور أحمد عروة ودراساته في التراث الطبي الإسلامي
 د. محمود عروة - مختص في التخدير والانعاش

جموده الأدبية

- دور المثقف ورسالته عند الدكتور أحمد عروة من خلال قصيدة:
 " إن شعري ليس شعري" مقاربة في الرؤية التشكيلية
 د. رابع طبحون - المدرسة العليا للأساتذة قسنطينة
- 156
 التشيد عند أحمد عروة بين القوة والغضب والأمل والفرح
 د. مراد مزعاش - المدرسة العليا للأساتذة قسنطينة
- 168
 د. مراد مزعاش - المدرسة العليا للأساتذة قسنطينة

آثاره

- 184 المفكر أحمد عروة بين الاصلية والحدأة بناء على كتابه "الاسلام في مفترق الطرق"
 د. أبو عمران سامية - جامعة بوزريعة الجزائر
- 192 كتاب الطب الاسلامي "سيماط وآفاق" للدكتور أحمد عروة
 د. محمود عروة مختص فب التخدير والانعاش
- 196 دلالات آخر محاضرات الدكتور أحمد عروة الفكر السياسي في العالم الإسلامي المعاصر
 د. وسيلة شريط - جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الدكتور أحمد عروة وجامعة الأمير عبد القادر

- 208 التغطية الإعلامية لجامعة الأمير عبد القادر للذكرى وفاة أحمد عروة
 د. منزل غرابية - جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
- محاضرة للدكتور أحمد عروة - رحمه الله - الفكر السياسي في العالم الإسلامي المعاصر
 مناهات وعلامات
 د. أحمد عروة - رحمه الله - مدير أسبق لجامعة الأمير عبد القادر
- 224

شهادات وأقوال

254 شهادات وأقوال

من أقواله

261 أقواله وأشعاره

277 كلمة تأبينية في جنازة المرحوم الدكتور أحمد عروة القاهما د. غازي عناية

279 ملحق الصور

302 فهرس